فلسفة شعراء العرب

(عبر العصور)

د. سير غيث

حقوق الطبع والنشر محفوظه
لدار الأدباء

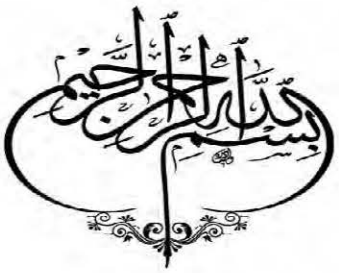

اسم الدار: دار الأدباء للنشر والتوزيع

اسم الديوان: فلسفة شعراء العرب عبر العصور

اسم المؤلف: د. سيد غيث

رقم الإيداع: (٢٠١٨/٣٨٠٦) بدار الكتب المصرية

الإخراج الفني: دار الأدباء. (إيهاب القاضي)

الغلاف: من تصميمات الدار

مقدمة الكتاب

الشعر العربي:

الشعر.. هو: شكل من أشكال الفن الأدبي في اللغة والتي تستخدم الجماليات الحسية.. وحسن الصفات الوجدانية .. بالإضافة إلى أو بدلاً من معنى الموضوع الواضح والمباشر.. اذ ان الشعر العربي بمعانية وكلماته ومرادفاته يكون لنا صور من نسج تعابير اللغة تصف ما يصول ويجول بالوجدان وتخرج لنا في صورة قالب شعري .. ومضمون يعبر عما بداخل الشاعر من انفعالات تؤثر في الآخر بالايجاب كونها تخرج من الوجدان لتمس في المتلقي الوجدان قبل الاذان.

وكان الشعر العربي.. في الجاهلية، ديوان العرب، وعلمهم الذي لم يكن لهم علم أصح منه. واستمر بعد تلك الحقبة فنا أدبيا بارزا إلا أنه نوفس من قبل العديد من الفنون الأخرى مثل الخطابة والرسائل .. وفنون الكتابة الادبية مثل الرواية والقصة وغيرها من الفنيات التي كثرت على ساحة الادب العربي.

تعريف الشعر العربي:

الشعر له تعريفات عدة إختلف فيها علماء اللغة فمنهم من قال أن الشعر هو منظوم القول .. غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية وإن كان كل علم شعراً (ابن منظور: لسان العرب) وعرّف أيضا وقالوا هو: النظم الموزون والمركب تركيباً متعاضّداً، وكان مقفى وموزوناً، مقصوداً به ذلك. فما خلا من هذه القيود أو بعضها فلا يسمى (شعراً) ولا يُسمّى قائله (شاعراً).

وما ورد في الكتاب أو السنة موزوناً، فليس بشعر لعدم القصد والتقفية، وكذلك ما يجري على ألسنة الناس من غير قصد؛ لأنه مأخوذ من (شعرت) إذا فطنت وعلمت، وسمي شاعراً؛ لفطنته وعلمه به، فإذا لم يقصده، فكأنه لم يشعر به"، وعلى هذا فإن الشعر يشترط فيه أربعة أركان، المعنى والوزن والقافية والقصد) (الفيومي) وقال: الجرجاني إن الشعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبعُ والرّواية والذكاء

* الجاهلية:

هو مصطلح ظهر مع ظهور الإسلام، يشير إلى الفترة التي سبقت الإسلام وتربطها بالجهل من الناحية الدينية. أما من الناحية الحضارية والفكرية للعرب قبل الإسلام، فإن الواقع العربي في تلك الحقبة شهد تنوعاً فكرياً وإبداعاً وحضارياً تثبته الآثار والمخلفات الأدبية العديدة في منطقة شبه الجزيرة العربية. من الأمثلة العديدة نذكر سد مأرب في اليمن كدليل على التقدم العلمي والعمراني، والقصائد العديدة والمؤلفات ومن أشهرها المعلقات السبع أو (العشر) كدليل على التقدم الفكري والثقافي تلك الفترة الزمنية .

* الشعر في العصر الجاهلي:

الشعر في الجاهلية كان وسيلة العرب في التعبير عن حياتهم وآليات التعايش مع البيداء هذا المناخ الصحراوي بطبيعته البكر الذي فرخ الخيال الخصب عند شعراء العرب .. وكانت العرب تقيم الأفراح إن برز من أبنائها شاعر مبدع، فالشعر عند العرب قديما كان يرفع من شأن قبيلة ويحط من قيمة أخرى. وكان الشعر، في صدر الإسلام وسيلة من وسائل الدفاع عن رسالة الإسلام ضد مشركي قريش. كما كان الشعر، في عهد بني أمية، وفي عصر العباسيين، وسيلة من وسائل الفرق السياسية والفكرية المتنازعة، قصد تبليغ آرائها، والدفاع عن مبادئها، في مواجهة خصومها.

وعلى الرغم من أن معظم الشعر في تلك الحقبة لم يتم الحفاظ عليه , فإن ما تبقى يعتبر من أرقى الشعر العربي المقروء حتى الآن. بالإضافة إلى بلاغته وقيمته الفنية، الشعر الجاهلي يشكل مصدرا رئيسيا للغة العربية الفصحى سواء في قواعد اللغة والمفردات، وبوصفه يمثل سجلا تاريخيا موثوقا للحياة السياسية والثقافية في ذلك الوقت.

* الشعر في العصر الإسلامي:

بدأ الشعر يصور التغير الاقتصادي والاجتماعي، الذي نشأ من إنتشار الدعوة المحمدية وتكوين الدولة الإسلامية، ففقد الهجاء مركزه الجاهلي، وإذا هو في صورة جديدة، هي المناقضة بين الشعراء أو طوائف منهم. والحماسة تكتسي بالوان الاستشهاد الديني، وخاصة عند الخوارج. والغزل ينفرد بقصائد كاملة في بعض المدن الزاهرة في الحجاز، فيرق أسلوبه باللهجة الحجازية، وبسبب شيوع فن الغناء وتأليف الشعر الغزلي الذي يقصد التغني به. وغزل الحجاز نوعان: نوع قصصي واقعي مرح، يمثله عمر بن أبي ربيعة في مكة، وآخر عذري رمزي حزين محروم، عند الشعراء العذريين في المدينة، مثل جميل والأحوص والمجنون.

في هذه الفترة يظهر الشعر السياسي، ويتطور الرجز – من مجرد شعر حماسي لاستثارة المحاربين – إلى ميدان استعراض البراعة اللغوية عند "العجاج"، ويصبح الشعر – دون أن يفقد رونقه ولا فنيته – أكثر التصاقاً بحياة الجماعة، مؤدياً لوظيفته الاجتماعية. وهنا يتوافق الشكل مع المضمون، وتعود القصيدة العربية بعد توقف قصير المدى في أثناء الفتوح– إلى قوتها، وقد تخلصت من كثير من جمود الموضوع في الجاهلية.

لقد نمت القصيدة في العراق والجزيرة، وحمل لواء الشعر في هذه المنطقة جرير والفرزدق والأخطل وذو الرمة، وكان الأخطل أكثرهم تمثيلاً وتنفيذاً للشكل الجاهلي، في شعر الفخر ومدح الأمويين. وصور الفرزدق وجرير فجاجة الحياة البدوية واستعملا الشعر للوصول إلى الثراء، وطورا موضوع القصيدة، وأدخلا فيها تفصيلات من الخلافات السياسية والقبلية، وانتعشت النقائض على أيديهما، وأساسها المفاخرة والهجاء، وركزا مقدرتهما على إبراز معارفهما اللغوية، لإثارة إعجاب مدرسة النقادر اللغويين التي تكونت في هذه الفترة من جامعي اللغة والشعر القديم. وشعر ذو الرمة أمعن في استعراض اللغة، وأجمل في وصف الصحراء تلهب

صوره الغزل أحياناً. وبينما كان الشعر الجاهلي يمثل العاطفية والمحدودية، والمستوى الخلقي السامي، كان الشعر الأموي يمثل تضارب القوى، وتصارع المثل في الحياة الجديدة، وخلافات الأحزاب على الخلافة والحكم. وفيما عدا الغزل الذي ظل في مستواه المثالي، فإن الموضوعات الأخرى تنزل إلى مستوى الحياة اليومية وبالرغم من التمثل بكثير من آيات القرآن، فإن الاتجاه الخلقي يضعف وقد غص الشعر بما يعجب الجماهير المحتشدة لمشاهدة مباريات النقائض.

* الشعر العمودي:

هو أساس الشعر العربي وجذوره وأصل كل أنواع الشعر التي أتت بعده. يتميز الشعر العربي بتكونه من مجموعة أبيات يتألف كل منها من مقطعين يدعى أولهما الصدر وثانيهما العجز. الشعر العمودي يخضع في كتابته لقواعد الخليل ابن أحمد الفراهيدي وهذه القواعد تدعى علم العروض وهو علم يهتم بوزن الشعر وقافيته بشكل يعطيه الجزالة ويحببه إلى الأذن ويحافظ له على أصالته وهو نوع من الشعر عبارة عن القول الجميل مقفى موزون يعبر عن اللب أوتوماتي الصدر ويؤثر في السامع بالإيقاع والمعاني والصور والأخيلة وهو يقوم بعد النية والقصد على أربعة أسس هي اللفظ والوزن والمعنى والقافية القصيدة العمودية هي شعر عمودي مقفى تكتب بالعربية الفصحى وتعتبر من أرقى أنواع الغناء العربي، وتغنى ملحنة أو مرتجلة فإن كانت ملحنة فيجب أن تكون هناك لوازم موسيقية تتخلل أبياتها، وإيقاع محدد يناسب الوزن الشعري وأما إذا كانت مرتجلة فتعتمد على مقدرة المغني أولا وأخيرا وعلى حسن تصرفه في المقام.

يميز الشعر العربي أنه قد التزم بالوزن والقافية، في مجمل أنماطه، وفي مختلف أجياله، وإن جاءت بعض المحاولات المعاصرة خالية من الوزن والقافية مثل قصيدة النثرفقد ظهر مصطلح قصيدة النثر في الأدب العربي وكان اسلوب تعبيري جديد انتهت إليه الكثير من الأشكال التجريبية التي جربها جيل النصف الأول من القرن العشرين، كالنثر الشعري والشعر المنثور والشعر الحر. ويعد في

مرحلته بمثابة الثورة الأخيرة على عمود الشعر العربي في بعده الإيقاعي خاصة وهكذا كان للشعر العربي دور بارز في الحياة الأدبية والفكرية والسياسية والشعر يتطور حسب تطور الشعوب العربية والإسلامية، وحسب علاقاتها بالشعوب الأخرى، من فرس وروم وبربر وغيرها. وبرزت في الشعر فنون جديدة متطورة، من حيث المضمون، ومن حيث الأسلوب واللغة، ومن حيث الأوزان والقوافي، وما إليها، حيث ظهر إلى جانب شعر الوصف، وشعر الأطلال، شعر الغزل العذري، والشعر السياسي، والشعر الصوفي، والشعر الاجتماعي والوطني والشعر المعاصر الحديث. بمدارسه المختلفة والمتنوعة.

سيظل الشعر العربي قديما وحديثا مع اختلاف مدارسة ديوان العربي وفكرهم الذي يصاغ بلغة اختصها الله لقرآنه العظيم وذلك لعظمة اللغة العربية الجليلة.

•••

شاعر الرسول.. (حسان بن ثابت).. رضي الله عنه :

ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم .. هي منزلة كبرى يتنافس فيها المتنافسون ويسعى إليها العاملون. وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال وإذا كان المرء يحب من أسدى إليه معروفا، أو أنقذه من تهلكة أو دفع عنه مضرة عارضه؛ فما بالك بمن وقاه من العذاب السرمدي. وإذا كان الإنسان يحب غيره على ما فيه من صورة جميلة، وأخلاق طيبة، فكيف بهذا النبي الكريم الذي جمع محاسن الأخلاق، والذي بفضله منحنا الله تعالى خيري الدنيا والآخرة؛ لذلك وجب أن تكون محبتنا له أوفى من محبتنا لأنفسنا وأهلنا وأموالنا والناس أجمعين. روى البخاري عن أبي هريرة رضوان الله عليه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين». وروى البخاري أيضا عن عمر بن الخطاً برضي الله عنه وارضاه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي.

فقال :النبي صلى الله عليه وسلم:

لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه. فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إليّ من نفسي التي بين جنبي. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر. وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس، أن رجلا قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال ما أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله. قال أنت مع من أحببت. قال أنس .. فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت. وقوله صلى الله عليه وسلم: (المرء مع من أحب).

وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا» . «ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنّة من الحرم ليقتلوه. قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا نضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت أحدا من الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد صلوات الله وسلامه عليه ومنهم (حسان بن ثابت) الملقب بشاعر الرسول رضي الله عنه وارضاه.

* حسان بن ثابت الأنصاري:

اســـمـــــه:

حسان بن ثابت الأنصاري شاعر عربي وصحابي من الأنصار، ينتمي إلى قبيلة الخزرج من أهل المدينة، كما كان شاعرًا معتبرًا يفد على ملوك آل غسان في الشام قبل إسلامه، ثم أسلم وصار شاعر الرسول بعد الهجرة. توفي أثناء خلافة علي بن أبي طالب.

نسبه وولادته:

هو: أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، من قبيلة الخزرج التي هاجرت من اليمن إلى الحجاز، وأقامت في المدينة مع الأوس. ولد في المدينة قبل مولد الرسول بنحو ثماني سنين، فعاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة أخرى، وشب في بيت وجاهة وشرف، منصرفًا إلى اللهو والغزل. وهو من بني النجار أخوال عبد المطلب بن هاشم جد النبي محمد من قبيلة الخزرج، ويروى أن أباه ثابت بن المنذر الخزرجي كان من سادة قومه، ومن أشرفهم، وأما أمه فهي الفزيعة بنت خنيس بن لوزان بن عبدون وهي أيضا خزرجية. ولد سنة: (ستين قبل الهجرة النبوية) اي.. ولد قبل الرسول الكريم بثماني سنوات .. وكان (حسان بن ثابت) رضي الله عنه ينشد الشعر قبل الإسلام، وكان ممن يفدون على ملوك الغساسنة في الشام، وبعد إسلامه اعتبر شاعر النبي محمد بن عبد الله.

وأهدى لهُ النبي محمد صلي الله عليه وسلم جارية قبطية قد اهداها لهُ المقوقس ملك القبط واسمها سيرين بنت شمعون فتزوجها حسان وأنجبت منهُ ولدهُ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، وحسن إسلامها وهي أخت زوجة الرسول مارية القبطية.

ولقد سجلت كتب الأدب والتاريخ الكثير من الأشعار التي ألقاها في هجاء الكفار ومعارضتهم، وكذلك في مدح المسلمين ورثاء شهدائهم وأمواتهم. وأصيب بالعمى قبل وفاته، ولم يشهد مع النبي مشهدًا لعلة أصابته ويعد في طبقة المخضرمين من الشعراء لأنه أدرك الجاهلية والإسلام. فقد عاش ستين سنه في الجاهلية. وستين سنه في الاسلام.. رضي الله عنه.

- حسان بن ثابت وإسلامه:

لما بلغ حسان بن ثابت الستين من عمره، وسمع بالإسلام، دخل فيه، وراح من فوره يرد هجمات القرشيين اللسانيّة، ويدافع عن محمد والإسلام، ويهجو خصومهما.. قال يومًا للأنصار: «ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟!" فقال حسان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه، وقال عليه السلام: "والله ما يسرني به مِقْول بين بصرى وصنعاء.

ولم يكن حسان بن ثابت وحده هو الذي يرد غائلة المشركين من الشعراء؛ بل كان يقف إلى جانبه عدد كبير من الشعراء الذين صحّ إسلامهم، وكان النبي يثني على شعر حسان، وكان يحثّه على ذلك ويدعو له بمثل: "اللهم أيده بروح القدس" وعطف عليه وقرّبه منه، وقسم له من الغنائم والعطايا، إلا أن حسان بن ثابت لم يكن يهجو قريشًا بالكفر وعبادة الأوثان؛ وإنما كان يهجوهم بالأيام التي هُزِموا فيها ويُعيرهم بالمثالب والأنساب، ولو هجاهم بالكفر والشرك ما بلغ منهم مبلغًا.

ومما لا شك فيه أن حسان بن ثابت كان يحظى بمنزلةٍ رفيعةٍ، يجلّه الخلفاء الراشدون ويفرضون له في العطاء في الوقت نفسه، فإننا لا نجد في خلافة أبي بكر- رضي الله عنه- موقفًا خاصًا من الشعر، ويبدو أن انشغاله بالفتوحات وحركة الردّة لم تدع له وقتًا يفرغ فيه لتوجيه الشعراء أو الاستماع إليهم، في حين نجد أن عمر بن الخطاب يحب الشعر.

*** حسان بن ثابت يؤيده سيدنا (جبريل).. وحي السماء..**

قال رسول الله: «"اهجُ قريشًا، فإنه أشد عليهم من رشق بالنبل"، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: "اهجهم"، فهجاهم فلم يُرْضِ، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنَبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحقّ! لأفرينّهم بلساني فرْيَ الأديم.. فقال رسول الله: "لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبًا، حتى يلخص لك نسبي"، فأتاه حسان، ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق!! لأسلنّك منهم كما تسل الشعرة من العجين.. قالت عائشة: فسمعت رسول الله يقول لحسان: "إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله"، وقالت: سمعت رسول الله يقول: هجاهم حسان فشفى واشتفى.

*** حسان بن ثابت يدافع عن الاسلام بشعره:**

نصب حسان نفسه للدفاع عن الدين الإسلامي، والرد على أنصار الجاهلية وقد نشبت بين الفريقين معارك لسانية حامية، فكان الشعر شعر نضال يهجو فيه الأعداء ويمدح فيه رجال الفريق، ولم يكن المدح ولا الهجاء للتكسب أو الاستجداء؛ بل للدفاع عن الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم.

_ يقول في رسول الله .. صلي الله عليه وسلم:

وأحسنُ منكَ لم ترَ قطُّ عيني وأجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ

خلقتَ مبرءاً منْ كل عيبٍ كأنكَ قدْ خلقتَ كما تشاءُ

المدح في شعر حسان مقصور على مدح النبي وخلفائه وكبار الصحابة والذين أبلوا في الدفاع عن الإسلام بلاءً حسنًا، وهو يختلف عن المدح التكسُّبي بصدوقه عن التقلب على معاني العطاء والجود، والانطواء على وصف الخصال الحميدة ورسالة محمد وما إلى ذلك مما ينبثق من العاطفة الحقّة والعقيدة النفيسة.

_ قال حسان:

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثـــان فـــي الأرض تعـــبد
فأمسى سراجًا مستنيرًا وهاديًا يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا نارًا وبشر جنة وعلمنا الإسلام، فالله نحمد
وأنت إله الخلق ربي وخالقي بذلك ما عمرت في الناس أشهد

***

وأما في الهجاء النضالي فقد وجهه إلى القرشيين الذين قاموا في وجه الدين الجديد يحاربونه ويهجون محمدًا وكان موقف الشاعر تجاههم حربًا لما بينهم وبين محمد من نسب.

فقد كان يعمد إلى الواحد منهم فيفصله عن الدوحة القرشية، ويجعله فيهم طائرًا غريبًا يلجأ إليها كعبد، ثم يذكر نسبه لأمه فيطعن به طعنًا شنيعًا، ثم يسدد سهامه في أخلاق الرجل وعرضه فيمزقها تمزيقًا في إقذاع شديد، ويخرج ذلك الرجل موطنًا للجهل والبخل والجبن والفرار عن إنقاذ الأحبة من وهدة الموت في المعارك.

_ قوله في الرثاء.. (يرثي سيدنا عثمان رضي الله عنهما)

ماذا اردتم من اخي الدين باركت يد الله في ذاك الأديم المقدد
قتلتم ولي الله في جوف داره وجئتم بأمر جائر غير مهتد
فهلا رعيتم ذمة الله بينكم وأوفيتم بالعهد عهد محمد
ألم يكُ فيكم ذا بلاء ومصدق وأوفاكم عهدا لدى كل مشهد

* مقتطافات من أشعار حسان بن ثابت.. رضي الله عنه:

* قصيدة الله أكرمنا:

الله أكرمنا بنصر نبيه ... بنا أقام دعائم الإسلام
وبنا أعزّ نبيهُ وكتابهُ ... وأعزنا بالضرب والإقدام
في كلّ معترك تطيرُ سيوفنا ... فيه الجماجمَ عن فراخ الهام
ينتابنا جبريلُ في أبياتنا ... بفرائض الإسلام والأحكام
فنكونُ أولَ مستحلّ حلاله ... ومحرمٍ لله كلّ حرام

***

* قصيدة(جزى الله رب الناس خير جزائه)

جزى اللهُ ربُّ الناسِ خيرَ جزائهِ ... رفيقين قالا خيمتيْ أمّ معبدِ
هما نزلاها بالهدى، واهتدتْ به ... فقدْ فازَ منْ أمسى رفيقَ محمدِ
فيا لقصيّ ما زوى اللهُ عنكمُ ... بهِ من فخارٍ لا يبارى وسؤددِ
ليهنِ بَنِي كعبٍ مقامُ فتاتهمْ ... ومقعدها للمؤمنينَ بمرصدِ
سلوا أختكمْ عن شاتها وإنائها ... فإنكمُ إنْ تسألوا الشاةَ تشهدِ
دعاها بشاةٍ حائلٍ، فتحلبتْ ... لهُ بصريحٍ ضرةُ الشاةِ مزبدِ
فغادرها رهناً لديها لحالبٍ ... يرددها في مصدرٍ ثمّ موردِ

***

* قصيدة (بطيبة رسم للرسول)

بطيبةَ رسمٌ للرسولِ ومعهدٌ ... منيرٌ وقد تعفو الرسومَ وتَهمد
ولا تمحي الآياتُ من دارِ حرمةٍ بها ... منبرُ الهادي الذي كانَ يصعدْ
وواضحُ آياتٍ وباقي معالمٍ ... وربعٌ لهُ فيهِ مصلىً ومسجدْ

* قصيدة (أتانا نبي)

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل ... والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجًا مستنيرًا وهاديًا ... يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا نارًا وبشر جنة ... وعلمنا الإسلام، فالله نحمد
وأنت إله الخلق ربي وخالقي ... بذلك ما عمرت في الناس أشهد

***

* قصيدة (عفت ذات الأصابع)

عفتْ ذاتُ الأصابعِ فالجواءُ ... إلى عذراءَ منزلها خلاءُ
ديارٌ منْ بَني الحسحاسِ قفرٌ ... تعفيها الروامسُ والسماءُ
وكانتْ لا يزالُ بها أنيسٌ ... خلالَ مروجها نعمٌ وشاء
فدعْ هذا، ولكن منْ لطيفٍ ... يؤرقني إذا ذهبَ العشاءُ
لشعثاءَ التي قدْ تيمتهُ ... فليسَ لقلبهِ منها شفاءُ
كأنّ سبيئةً من بيتِ رأسٍ ... يكونُ مزاجها عسلٌ وماءُ
على أنيابها أو طعمِ غضٍّ ... منَ التفاحِ هصرهُ الجناءُ
إذا ما الأسرباتُ ذكرنَ يوما ... فهنّ لطيبِ الراحِ الفداءُ
نوليها الملامةَ، إنّ ألمنا ... إذا ما كانَ معتٌّ أوْ لحاءُ
لساني صارمٌ لا عيبَ فيهِ ... وبحري لا تكدرهُ الدلاءُ

***

وفاة (حسان بن ثابت) شاعرالرسول والصحابي الجليل رضي الله عنه :

توفي حسان بن ثابت رضي الله عنه وارضاه في المدينة ما بين عامي (٣٥) وبين (٤٠) هجريه في عهد علي بن أبي طالب عن عمر ناهز المائة والعشرين عامًا. ورجح بعض المؤرخين، أن حسان ابن ثابت: توفي في زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان ما بين عام٥٠ هجري وعام ٥٤ للهجرة.

وكان رضي الله عنه لساناً للدعوة الاسلامية.. وكان شعرة حادعلي المشركين.. يرد علي هجاءهم للرسول الكريم وللصحابة فقد نصب حسان بن ثابت نفسه وشعره للدفاع عن الدين الإسلامي، والرد على أنصار الجاهلية، وقد كان شعره اشد عليهم من رشق النبل رضي الله عن شاعر الرسول وأدخله فسيح جناته يموت الشاعر والصحابي الجليل.. حسان وتبقي ذكراه وشعره في الذاكرة وفي الوجدان.

***

* الشاعر الجاهلي ..(الجساس بن مرة)

روي .. أن كليب بن ربيعة التغلبي كان سيدا لقبائل معد وملكا عليهم ثم بغى عليهم ودخله الزهو والتكبر.. فكان يقول:" وحش أرض كذا في جواري فلا يهاج" ولا تورد إبل أحد مع إبله، ولا توقد نار مع ناره حتى قيل: " أعز من كليب وائل" وقد جاء الإسلام بكل ما يعود على الناس بالخير والنفع العاجل والآجل وأرسى وأسس مقومات هذا الدين، وجعل أخوة الإسلام والإيمان بين الناس هي أقوى الروابط بينهم لتبني أقوى جسور مقومات بناء اللحمة بين أبناء الأمة الإسلامية ولتذوب وتضمحل كل الفوارق إلا فارق التقوى، وجاءت نصوص الكتاب والسنة في ذلك وايضاحه والأمر به والدعوة إليه فقال تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وقال تعالى (والمؤمنون المؤمنات بعضهم من بعض) وقال سبحانه نافيا الأخوة الإيمانية في حق من كان اقرب الناس إلى المسلم إن كان غير مسلم (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) وقد جمع الإسلام بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر وبلال وصهيب وسلمان الفارسي، وفرق بين محمد صلى الله عليه وسلم وأبي طالب وأبي جهل وهم من اقرب الناس إليه وصدق صلى الله عليه وسلم إذ يقول (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه).

ولأهمية الأخوة الإيمانية ، ولما لها من دعم لمسيرة العمل الإسلامي، والدعوة إلى الله ،فقد كان من أول ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم حال قدومه المدينة النبوية مها جرا أن آخى بين المهاجرين والأنصار فكان لهذه الأخوة الأثر البالغ في إزالة جميع الفوارق إلا فارق التقوى وزالت بذلك آثار الجاهلية البائدة.

وتوقفت الحروب التي كانت تدوم اجيال واجيال.. وحرمت الدماء المسالة وضربت الرحمة في القلوب .. وسادت المؤاخاة بين القبائل بدين الحق الذي ارسله الله للبشرية جمعاء كي يكون الشاهد .. والحكم .. والعدل بين الامم الى يوم يبعثون

***

*** يقول المولى عز وجل:**

(وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا).

وجعل الله جل وعلا قتل النفس الواحدة كقتل جميع الناس مبالغة في تعظيم أمر القتل وتفخيما لشأنه أي كما أن قتل جميع الناس أمر عظيم القبح فكذلك قتل الواحد يجب أن يكون كذلك فالمراد هنا مشاركتهما في أصل الاستعظام لقتل النفس التي حرمت قتلها الا بالحق.

***

(الجساس بن مـــرة)

إسمه:

هو: جساس بن مرة الشيباني البكري ..شاعر جاهلي من أمراء العرب وهو الذي يسمى الحامي الجار.. والمانع الذمار لقتله كليب بن ربيعة بسبب ناقة البسوس بنت المنقذ بن سلمان المنقذي خالة جساس وكان ذلك سبب نشوب الحرب بين تغلب وبكر وكان جساس آخر من قتل في هذه الحرب والتي دامت أربعين سنة.

ذكره ابن سعد الأندلسي في "نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب": وأما جساس بن مرة فكان من أبطال بكر في الجاهلية وفتاكها، وهو قاتل كليب وائل سيد بني تغلب ومسبب حرب وائل التي أتت على الفريقين ويدعي الأقلة أن خادم أبي نويرة التغلبي قد قتله.

أولاده :

- شهاب
- ولؤي
- والفزر
- و ماعز
- و عبد
- وعدي.

نسبـــه:

هو: جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، الشيباني البكري.

أمه: وإسمها :

هي :(الهالة) من بني عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم:

شاعر شجاع من أمراء العرب في الجاهلية، وهو الذي يسمى الحامي الجار المانع الذمار لقتله كُليب وائل بن ربيعة بسبب ناقة البسوس بنت المنقذ بن سلمان المنقذي خالة جساس، وكان ذلك سبب نشوب الحرب بين تغلب وبكر وكان جساس آخر من قتل في هذه الحرب والتي دامت أربعين سنة.

أقــوال عنــه:

قال عنه ابن سعد الأندلسي في كتابه "نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب": وأما جساس بن مرة فكان من أبطال بكر في الجاهلية وفتاكها وهو قاتل كليب وائل سيد بني تغلب ومسبب حرب وائل التي أتت على الفريقين.

وقال عنه البيهقي: ومن ولد جساس بنو الشيخ الذين كانت لهم بآمد دولة متوارثة.

يقول البيهقي: كان حديث جساس من أعجب ما يسطر: وذلك أنه قتل صهره زوج أخته كليب وائل لكونه رمى ناقة جارة له بسهم .. وأقام الحرب العظيمة التي أفنت الأبطال والأشراف.

الناقة التي أشعلت الحرب وكانت سبب مقتل كليب :

حدث أن كليباً دخل على امرأته جليلة بنت مرة يوماً فقال لها: هل تعلمين على الأرض أمنع مني ذمة؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ثم أعاد عليها الثالثة فقالت: نعم، أخي جساس.. فسكت كليب ومضت مدة، وبينما هي تغسل رأسه وتسرحه ذات يوم إذ قال لها: من أعز.. واقرب اليك فقالت: أخواي جساس وهمام، فنزع رأسه من يدها وخرج.

وكانت لجساس خالة اسمها البسوس بنت منقذ التي سميت على اسمها (حرب البسوس) فقد جاءت ونزلت على ابن أختها جساس، فكانت جارة لبنى مرة، ولها ناقة خوارة ومعها فصيل لها، فلما خرج كليب غاضباً من قول زوجته جليلة رأى فصيل الناقة فرماها بقوسه فقتلها.

ثم أن كليباً أعاد القول على امرأته فقال: من أعز بني وائل لديك فقالت له: أخواى .. فأضمرها في نفسه وأسرها حتى مرت به إبل جساس وفيها ناقة البسوس فأنكر الناقة ثم قال: ما هذه الناقة.. قالوا: لخالة جساس. فقال: أو بلغ من أمر ابن

السعدية ويعني بذلك (جساس) أن يجير عليّ بغير إذني.. إرم ضرعها يا غلام، فأخذ القوس ورمى ضرع الناقة، فاختلط دمها بلبنها.

جساس بن مرة يقتل الملك كليب :

تزوج كليب بن ربيعة جليلة بنت مرة وكان لها عشرة أخوة أصغرهم يدعى "جساساً" وجاءت البسوس فنزلت في جوارهم وكان لها ناقة يقال لها سراب فمرت إبل لكليب بسراب وهي معقولة بفناء بيت البسوس، فنزعت الناقة عقالها واختلطت بإبل كليب الذي كان على حوض الماء ومعه قوسه وسهامه فلما رآها أنكرها ونزع سهماً رماها به فمزق ضرعها فنفرت وهي ترغو وقد اختلط لبنها بدمها فلما رأتها البسوس صاحت: واذلاه ..!! .. وا مجيراه ..!!

فقال لها جساس: اسكتي فلك بناقتك ناقة أعظم منها، فأبت أن ترضى حتى صاروا لها إلى عشرا، فلما كان الليل أنشأت تقول بخطاب سعداً أخا جساس وترفع صوتها تسمع جساساً:

لعمري لو أصبحت في دار منقذ لما ضم سعد وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دار معشر متى يعد فيها الذنب يعدو وعلى شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل فإني في قوم عن الجار أموات
ودونك أذ وادي إليك فإنني محاذرة أن يغدروا ببناياتي

***

وعندما سمعها جساس ثارت ثائرته فأسرع إلى فرس له فركبها وحمل معه سلاحه وتبعه أحد فتيان قومه وانطلق الفتيان ثائرين حتى دخلا على كليب فقال له جساس: يا أبا المحامد عمدت إلى ناقة جارتي فعقرتها فقال كليب: أكنت مانعي من أن أذود عن حماي! فاشتد الغضب بجساس وعطف عليه فرسه وطعنه برمحه وأقبل عمرو فطعنه أخرى وسقط كليب.

ثم ظعن ابنا وائل بعد ذلك، فمرت بكر على نهى أي غدير يقال له شبيث فنفاه كليب عنه وقال: لا يذوقون منه قطرة ثم مروا على نهى آخر يقال له الأحص فنفاهم عنه وقال: لا يذوقون منه قطرة، ثم مروا على بطن الجريب (واد عظيم) فمنعهم إياه، فمضوا حتى نزلوا الذنائب واتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليه، فمر عليه جساس ومعه ابن عمه عمرو بن الحارث بن ذهل وهو واقف على غدير الذنائب، فقال له: طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشا ! فقال كليب: ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون، فقال له: هذا كفعلك بناقة خالتي، فقال له: أوقد ذكرتها أما إني لو وجدتها في غير إبل مرة لا استحللت تلك الإبل بها أتراك مانعي أن أذب عن حماي، فعطف عليه جساس فرسه فطعنه برمح نافذ فلما تداعمه الموت وكاد ان يصل الى قلبه قال: يا جساس اسقني من الماء، فقال:

ماعلقت استسقاءك الماء منذ ولدتك أمك إلا ساعتك هذه فالتفت إلى عمرو وقال له يا عمرو أغثني بشربة ماء فنزل إليه وأجهز عليه ثم قال: عمرو بن الأهتم المنقري التميمي..

وإن كليبا كان يظلم قومه ... فأدركه مثل الذي تريان
فلما حشاه الرمح كفُ ابن عمه ... تذكر ظلم الأهل أي أوان
وقال لجساس أغثني بشربة ... وإلا فخبر من رأيت مكاني
فقال تجاوزت الأحص وماءه ... وبطن شبيث وهو غير دفان

***

ـ ما قالته العرب في (جساس):

المستجير بعمـــرو عـــند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

***

*** (جليلة بنت مرة) أخت جساس:**

هي الشاعرة الجاهلية ..الجليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان من بنو شيبان بن

بكر بن وائل أولى الشاعرات العربيات ومن أجمل نساء بكر وهي زوجة كليب صنو الزير سالم، وهي أيضاً أخت جساس بن مرة قاتل كليب تزوجت وائل بن ربيعة الملقب بكليب وهو أيضاً ابن عمها لكن أرادت خالتها(البسوس) تزويجها من التبع اليماني بعد أن وصفتها بحسن جمالها له. ولكن وبحيلة قام بها كل من: وسيم بن ربيعة ،وجساس بن مرة أخوها ثم انضم إليهم الزير سالم وامرؤ القيس. قُتل التبع اليماني ، حيث أن كليب أول شخص اراد ان يجعل للعرب مملكة.

- قصة مقتل كليب:

تزوج كليب بن ربيعه جليله بنت مرة احدى بنات ذهل بن شيبان البكرية وكان لها عشرة اخوة اصغرهم يدعى.

*** البسوس خالة جساساً :**

نزلت البسوس في جوارهم وكان لها ناقه يقال لها سراب فمرت إبل لكليب بسراب وهي معقوله بفناء بيت البسوس فنزعت الناقه عقالها واختلطت بإبل كليب الذي كان على حوض الماء ومعه قوسه وسهامه فلما رآها أنكرها وانزع سهماً رماها به فمزق ضرعها فنفرت وهي ترغو وقد اختلط لبنها بدمها فلما رأتها البسوس .. صاحت: واذلاه ..!! وا مجيراه.. !! ..

وثارت ثائره جساس فأسرع الى فرس له فركبها وحمل معه سلاحه وتبعه احد فتيان قومه وانطلق الفتيان ثائرين حتى دخلا على كليب فقال له جساس: يا أبا المحامد عمدت إلى ناقه جارتي فعقرتها فقال كليب: اكنت مانعي من أن اذود عن حماي..؟!

فاشتد الغضب بجساس وعطف عليه فرسه وطعنه برمحه واقبل عمرو فطعنه اخرى فسقط كلي. ووقعت جليله بنت مرة بن ذهل بين شقي الرحي فلقد قتل اخوها جساس زوجها كليب بن ربيعه فوفي مأتم "كليب" اجتمع عدد من النسوة قلن لأخت

كليب: رحّلي الجليلة – أي اطرديها – عن مأتمك، فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب، فقالت لها أخت كليب: يا هذه اخرجي عن مأتمنا فأنت أخت واترنا الواتر هو القاتل": فخرجت جليلة وهي تجر أعطافها ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب : رحلة المعتدي، وفراق الشامت! ويل غدًا لآل مرة، من الكرة بعد الكرة فبلغ قولها جليلة، فقالت: وكيف تشمت الحُرّة بهتك سترها, وترقُب وَتْرها..! أسعد الله جد أختي أفلا قالت: نفرة الحياء، وخوف الاعتداء! ثم أنشدت تقول:

يا إبنة الأقوام إن لمت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي
فإذا أنت تبينت الذي ... يوجب اللوم فلومي واعذلي
إن تكن أخت امرئ ليمت على ... شفق منها عليه فافعلي
جل عندي فعل جساس فيا ... حسرتي عما انجلت أو تنجلي
فعل جساس على وجدي به ... قاطع ظهري ومدن أجلي
لو بعين فقئت عيني سوى ... اختها فأنفقأت لم أحفلِ
تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الأم أذى ما تفتلي
يا قتيلاً قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعاً من عل
قوضت بيتي الذي استحدثته ... وانثنت في هدم بيتي الأولِ
ورماني قتله من كثيب ... رمية المنصمي به المستأصلِ
يانسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهر برزء معضلِ
خصني قتل كليب بلظىً ... من ورائي ولظى مستقبلي
ليس من يبكي ليوميه ... كمن إنما يبكي ليوم بجلِ
يشتفي المدرك بالثأر وفي ... دركي ثأري ثكل المثكلِ
ليته كان دمي فاحتلبوا ... درراً منه دمى من أكحل
فأنا قاتلةٌ مقتولةٌ ... ولعل الله أن ينظر لي

***

* (همام بن مرة) أخو جساس:

الشاعر الجاهلي.. همام بن مرة بن ذهل بن شيبان من بني بكر بن وائل فارس وشاعر جاهلي وهو من سادات بني شيبان.. وهو أخو جساس قاتل كليب من نله بنو مرة بن الحارث كانوا بعد الإسلام في خراسان، وبسطام بن قيس وهدبة الخارجي واسمه حريث بن إياس بن حنظلة و معن بن زائدة المشهور ويزيد بن مزيد القائد في أيام بني العباس وإبنه بن خالد بن يزيد من الأمراء وشبيب بن يزيد من كبار الثائرين الخوارج على بني أمية وآخرون.

* المهلهل: يرثي همام بن مرة:

كان همام و المهلهل أبناء عمومة وأصدقاء وكانت أخت المهلهل أسماء متزوجة من همام وحين علم المهلهل بمقتل همام أنشد يرثيه و يقول:

وهمام ابن مرة قد تركن عليه القشعمان من النسور
ينوء بصدره والرمح فيه ويخلجه خدب كالبعير
على أن ليس يعدل من كليب إذا طرد اليتيم عن الجزور
على أن ليس يعدل من كليب إذا ما ضيم جيران المجير

***

* حرب البسوس ومقتل جساس:

بعد أن قتل جساس الملك كليب قامت حرب البسوس أربعين سنة بين بكر قبيلة جساس وتغلب قبيلة كليب بن ربيعة بقيادة أخيه المهلهل بن ربيعة. أكلت الحرب الكثير من الحيين (مفردها حي أي القبيلة) ولم تنته إلا بعد سقوط المهلهل عدي بن ربيعة أسيرًا في يد الحارث بن عباد فتداعى كثيرون من القبيلتين للصلح، وقد تم على يد ملك كندة أبي امرئ القيس، الملك حجر آكل المرار بن عمرو في اليمامة وسط نجد. قتل أثناء الحرب جساس بن مرة بعد أن التقى في إحدى المعارك مع فارس تغلب أبو نويرة التغلبي فكلاهما ضرب الآخر ضربة أطاحته. نقل بعدها جساس إلى أخواله لتضميد جراحه إلا أنه لم يلبث طويلاً

فمات بسبب ضربة أبي نويرة الذي مات هو الآخر بعد مبارزة جساس، وبذلك استطاع جساس أن يقتل خمسة عشر فارسًا من تغلب أولهم الملك كليب وآخرهم أبو نويرة التغلبي في بداية الحرب.

وآخر من قتل فيها جانبها جساس المذكور: وذلك أنه ربى ولد كليب من أخته، فنشأ الغلام ولا يعلم له والداً غير جساس؛ فلما كبر وركب أعلم بقضية أبيه، وأن خاله هو الذي قتله فطلب بثأره فقتل خاله (الجساس) الذي تربى في كنفه

* مقتطفات من قصائد ديوان جساس بن مرة :

- يقول (جساس):

تأهَّب مثلَ أُهبَةِ ذي كِفاحٍ ... فإنّ الأمرَ جلّ عن التّلاحي
وإنّي قد جَنَيتُ عليكَ حرباً ... تُغِصُّ الشّيخَ بالماءِ القَراحِ
مُذكّرةً متى ما تَصحُ منها ... تَشُبُّ لها بأُخرى غيرَ صاحِ
تُسعّرُ نارُها وهجاً وجاءت ... غِذا خَمَدت كنيرانِ الفِصاحِ
وما تنفكُّ نائحةٌ تُعزّي ... بما ندبت وتُعلِنُ بالنُّواحِ
تعدّت تَغلبٌ ظُلماً علينا ... بلا جُرمٍ يُعدُّ ولا جُناحِ
سوى كلبٍ عوى في بطنِ قاعٍ ... ليمنعَ حميةَ القاعِ المُباحِ
فلمّا أن رأينا واستبنّا ... عُقابَ البغيِ رافعةَ الجناحِ
صرفتُ إليهِ نحساً يومَ سوءٍ ... لهُ كأسٌ من الموتِ المُتاحِ
تُشكّلُ دانياتُ البغيِ قوماً ... وتدعُو آخرينَ إلى الصّلاحِ
ذريتي قد طربتُ وحانَ منّي ... طِرادُ الخيلِ عارضةَ الرّماحِ
وما لي همّةٌ أرجُو أخاها ... سوى الخطّيِّ والفرسِ الوقاحِ

***

- ويقول(جساس):

أبلغ مُهلهلَ عن بكرٍ مُغلغلةً ... منّتكَ نفسُكَ من غيّ أمانيها
تبكي كُليباً وقد شالت نعامتُهُ ... حقّاً وتُضمرُ أشياءَ تُرجّيها
فاصبر لبكرٍ فإنّ الحربَ قد لقحت ... وعزّ نفسك عمّن لا يُواليها
فقد قتلنا كُليباً لم نُبالِ به ... بناب جارٍ ودونَ القتلِ يكفيها
نحمي الذّمارَ ونحمي كلّ أرملةٍ ... حقّاً وندفعُ عنها من يُعاديها

***

- ويقول (جساس):

ألا أبلغ مُهلهلَ ما لدينا ... فأدمُعُنا كأدمُعِهِ غزارُ
بكينا وائلَ الباغي علينا ... وشرُّ العيشِ ما فيهِ غيارُ
ونحنُ معَ المنايا كلَّ يومٍ ... ولا يُنجي من الموتِ الفِرارُ
وكلٌّ قد لقي ما قد لقينا ... وكلٌّ ليسَ منهُ لهُ اصطبارُ

***

- ويقول (جساس):

إنّي وربّ الشاعرِ الغرورِ ... وباعثِ الموتى من القُبورِ
وعالمِ المكنونِ في الضّميرِ ... إن رُمتَ منها معقرَ الجزورِ
لأثبتنّ وثبةَ المُغيرِ الذّيبِ ... أو ذي اللبدةِ الهصورِ

***

- ويقول (جساس):

إنّا على ما كانَ من حادثٍ ... لم نبدإِ القومَ بذاتِ العُقوقِ
قد جرّبت تغلبُ أرماحنا ... بالطعنِ إذ جاروا وحزّ الحُلوقِ
لم ينههُم ذلكَ عن بغيهم ... يوماً ولم يعترفوا بالحُقوقِ
وأسعروا للحربِ ثيرانها ... للظُلمِ فينا بادياً والفُسوقِ

أليسَ من أردى كُليباً لِمَن ... دونِ كُليبٍ مِنكُمَ بِالمُطيق
مَن شرعَ العُدوانَ في وائلٍ ... إقترفَ الظُلمَ وضَنكَ المضيق
بَدأتُمُ بالظُلمِ في قَومِكُمُ ... وكُنتُم مِثلَ العَدُوِّ الحَنيق
والظُلمُ حوضٌ لَيسَ يُسقى بِهِ ... ذو منعةٍ في كُلِّ أمرٍ يُطيق
فَإن أبَيتُم فَاركبوها بما ... فيها مِن الفِتنَةِ ذاتِ البُروق

- ويقول (جساس):

فَأدمُعًا كأدمُعِهِ غِزارٌ ... ألا أبلِغ مُهَلهِلَ ما لَدينا
وشَرُّ العَيشِ ما فيهِ غِيارُ ... بكينا وائلَ الباغي علَينا
ولا يُنجي مِنَ المَوتِ الفِرارُ ... ونَحنُ مَعَ المَنايا كُلَ يَومٍ
وكُلٌّ لَيسَ مِنهُ لَهُ اصطِبارُ ... وكُلٌّ قَد لَقي ما قَد لَقينا

***

- ويقول (جساس):

إنّما جاري لَعمري ... فَاعلَموا أدنى عِيالي
وأرى لِلجارِ حَقّاً ... كَيميني مِن شِمالي
وأرى ناقَةَ جاري ... فَاعلَموا مِثلَ جِمالي
إنّما ناقةُ جاري ... في جِواري وظِلالي
إنَّ لِلجارِ عَلَينا ... دفعَ ضَيمٍ بِالعَوالي
فَأقِلّي اللومَ مَهلاً ... دونَ عِرضِ الجارِ مالي
سَأودي حَقَّ جاري ... ويدي رَهنُ فِعالي
أو أرى الموتَ فَيبقى ... لُؤمُهُ عِندَ رِجالي

***

- ويقول (جساس):

وَإذا يُحاسُ الحيسُ يُدعَى جُندَبٌ وَإذا تَكونُ كَريهَةٌ أُدعَى لَها
لا أُمَّ لِي إن كانَ ذاكَ ولا أَبٌ هَذا لَعَمرُكُمُ الصَّغارُ بِعَينِهِ

***

ونختم بهذين البيتين (للجساس) وهو يقول:

وَإذا تَكونُ كَريهَةٌ أُدعَى لَها وَإذا يُحاسُ الحَيسُ يُدعَى جُندَبٌ
هذا لَعَمرُكُمُ الصَغارُ بِعَينِهِ لا أُمَّ لي إن كانَ ذاكَ ولا أَبٌ

***

(الشاعر العباسي ديك الجن)

لقد حدث تحول كبير للشعر العربي في العصر العباسي وانتقل الشعر العربي في القرن (الثالث الهجري) من طابع البداوة الى الحضارة على يد بشّار بن بُرد (بفن صنيع الشعر) وهو احد اساليب وسمات الشعر الحضري في العصر العباسي.. وتميز بالجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة ..واضاف ديك الجن و ابي تمام الى بشار بن برد الكثير من سمات هذا الشعر الجديد وهو ماسمي (بمذهب أبي تمام) كونه اكثرهم عناية بالصنعة الشعرية .. حتى عرف هذا النمط باسمه فاصبح العصر العباسي هو بداية التجديد في الشعر العربي .

* إسمه ولقبه:

هو:عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن مزيد بن تميم الكلبي الحمصي السلماني والملقب ب ديك الجن من اين جاء لقب(ديك الجن) .

- يقال انه كان يذهب الي البساتين بصورة مستمرة فشبه (بديك الجن) وديك الجن هو طائر يتواجد في البساتين يشبه الديك (كما قال القزويني).
- ويقال ان عينا عبدالسلام خضراوين فلقب (بديك الجن) وهذا ما جاء في تاريخ

دمشق وذكر أيضا في (أعلام الزركلي).

– ويقال ايضا بانه سمي (ديك الجن) لأنه ذكر الديك في شعره قال ذلك (محمد السماوي) أول من قام بجمع اشعاره.

– ويقال جاء لقب (ديك الجن) بسبب جنونه فاصبح يهيم على وجهه يقلد صوت الديك وذلك لقتل زوجته وصديقة بسيف واحد.

*** مولـــــده:**

ولد ديك الجن بمدينة (حمص على نهر العاصي) وفي واحدا من أحيائهـــا القديمة الذي يسمى اليوم (باب الدُريب) واسمه عبد السلام بن رغبان لقب (بديك الجن) وعاش في مدينتة حمص حياته الحافلة بالملذات.

*** أصولـــه:**

تعود اسرته في اصولها الى قرية (مؤته) ..ومولده ووفاته بحمص في سورية لم يفارق بلاد الشام ولم ينتجع بشعره. (اي لم يرتزق من شعره) ولم يمتدح أحداً من الخلفاء أو الولاة أو القادة او حتى من له أدنى صلة بالبلاط العباسي ولم يبع شعره على احد قط .

– شيء عن حياته:

كان (ديك الجن) ميسور الحال ، فعاش شاعرنا عيشة ترف مبددا أمواله الموروثة على لهوه وعبثه وعشق النساء وعلى ليالي شرابه ومجونه في بساتين حمص ومتنزهاتها.

زواج (ديك الجن) بورد بنت الناعمة النصرانية:

يذكر ان (ديك الجن) خرج يوما مع صديقه (الاثير بكر بن رستم) وذلك كعادتهما الى البساتين تحت ظلال النخيل والاعناب فدخلوا دون علم ارضا تابعة لدير من الاديرة النصرانية التي كانت منتشرة ذلك الوقت في مناطق الشام فشاهدا بعض الصبايا الجميلات يحتفلن بمناسبة دينية ويتسامرن ويتحدثن وكانت احداهن تتغنى بأبيات من شعر ديك الجن. فاحبها (ديك الجن) لجمالها وحبها لأشعاره حباً

عن بعد لم يجد فرصة ليلتقي بها ويعبر لها عن حبه.
والوسيلة الوحيدة للتقرب اليها هي أن ينشئ فيها قصائد الغزل ويرسلها إليها. وكانت هي من ناحيتها قد أحبت هذا الشاعر العبقري من خلال قصائده فيها. وكانت تتمنى أن تراه وتلتقي به. (وقد تزوجها بعدما اعتنقت الإسلام) .

وبعد زواج (ديك الجن) بورد إنصب إهتمامة على قراءة اللغة والأدب والتاريخ وكان له منها مكوّناتٌ ثقافية ممتازة ظهرت بوضوح في شعره. فوعيه لعلوم اللغة جعله مالكاً لناصيتها قادراً على التصرّف بها واستيعاب مفرداتها وتوظيف دلالاتها المعنوية لإبراز أفكاره ومعانيه، مع سلامة من اللحن، وقدرة على ترتيب المفردات في أنساق لغوية سليمة تجري على سنن العرب. كما قرأ ما وصل إلى عصره من آداب العرب السالفين، ووقف طويلاً عند الشعر الجاهلي عامّة، وشعر الصعاليك خاصة. وقد أعجب بالصعاليك وفلسفتهم القائمة على التمرّد والرفض، بل لقد فاق صعاليك الجاهلية في تمرّده ورفضه وعاصر ديك الجن قمة الثقافة والازدهار الحضاري في العصر العباسي وكان على الشاعر أن يكون مثقفاً مُلِمّاً بفنون عصره وعلومه ليتمكن من السير في زحمة حركات الإبداع والتجديد، وقد استطاع أن يكون واحداً من شعراء عصره المثقّفين المبدعين والمجدّدين. ولا يخفى على العارفين التطوّرُ الكبير الذي وصل إليه فنّ الموسيقى في زمنه، وما استتبعه من تطور في فنّ الغناء، وانتشار المغنيّن والمغنيّات من كلّ لون وجنس. لقد خطّ هذا الفن لنفسه طرقاً واضحة المعالم، وكان له علماؤه ومجيدوه، وكان له عشاقه ومؤيدوه. وديك الجن واحد من عشاق الغناء والموسيقى، فالشعر والموسيقى فنّان متواشجان، وهما جناحا الغناء، وبهما ينهض، كما أنّ موسيقى الشعر عنصر هام من عناصر بنائه الفنيّ. أقبل ديك الجن على الغناء إقبال المشارك المبدع، فتعلم العزف، وأتقن قواعد الغناء ولقد غدا ما تعلمّه في هذا الباب، جزءاً من مكوّناته الثقافية والفنية. كان حسن الصوت وكان يتغنّى بشعره لنفسه أو لندمائه الذين كانوا يتحلّقون حوله في مجالس الشراب، فيلتذّ بشعره وغنائه ويلتذّ بما يحدثه من إعجاب في نفوس سامعيه).

- لقائه مع (أبو نواس):

ويذكر(إبن خلكان) في اخباره فيقول: عندما اجتاز أبو نواس مدينة (حمص)

ببلاد الشام قاصداً مصر لامتداح (الخصيب) سال عن بيته فجاءه إلى بيته فاختفى منه (ديك الجن) فقال لجاريته قولي له: اخرج فقد فتنت أهل العراق بقولك:

(موردة من كف ظبي كأنما تناولها من خده فأدارها)

***

فلما سمع ذلك ديك الجن خرج إليه واجتمع به وأضافه. ومن بعدها جمعت بينهم الصداقة.

من أقول (إبن شهرأشوب) عنه :

وقال ابن (شهراشوب) في كتابه (شعراء أهل البيت): افتتن بشعره الناس في العراق وهو في بلاد الشام لجمال وحلاوة وطلاوة اشعاره.

- ديك الجن يقتل زوجته (ورد):

تعد مأساة (ديك الجن) واحدة من اغرب المآسي واشدها فجيعة في تاريخ شعراء العرب فيقول ابو الفرج الاصفهاني وهو اول من روى وقائع هذه المأساة في كتابة (الاغاني) قائلا :قتل (ديك الجن) زوجته وحبيبته (ورد) التي قضت نحبها على يديه مقتولة بسيف غيرته وذلك على إثر مكيدةٍ دبرها ابن عمه (أبو الطيب) على إثرِ صدِّ زوجة ديك الجن (ورد) له بعد العديد من المراودات والعروض التي قدمها لينال منها .. وهي تأبى المراودة لكونها تحب زوجها الحبيب الغائب الذي انفق الكثير من الاموال لأجلها.. وحبها حبا جما..

ويقول الاصفهاني أن(ديك الجنّ) قام برحلةٍ بعيداً عن حمص طلباً للمالِ من احد اصدقائه كي يردّ بعض من ديونه المستحقة عليه ، وعندما انتشر خبر عودته قام ابن عمه (أبوالطيب) بالإيقاع بينه وبين زوجته فقام بإعلامها أن ديك الجن قد قتل فسيطر عليها الحزن والكمد وملأها الهم والحزن وعليه قام أبو الطيب بإعلامِ صديق(ديك الجنّ) بكر وأعلمه بذات الخبر وطلب منه الذهاب إلى بيت صديقه كي يواسي في هذا المصاب الجلل زوجته المكلومة ورد وذهب صديقه (بكر) وشارك (ورداً) في همها وحزنها على زوجها

وشرع بمواساتها وتهدئتها ومع وصول ديك الجنّ سالماً إلى حمص أسرع إليه (ابن عمه أبو الطيب) وأخبره بوجود صديقه في بيت زوجته أثناء غيابه وأنه كان يتردد إليها باستمرار. فأخذ (ديك الجن) عوارض الغضب ومضى هائجا إلى بيته وعندما تحقق من صحة ماروا ه أبو الطيب شهر سلاحه وقتل زوجته وصديقه بسيفه.. فقضت زوجته على يديه مقتولة بسيف غيرته.

* * *

* مختارات من أشعار ديك الجن:

- يتغزل ديك الجن في (ورد) فيقول :

إن كان وجهك تترى لي محاسنه — فان فعلك بي تترى مساويه
ما استجمعت فرق الحسن التي افترقت — في يوسف الحسن الا استجمعت فيه
مرتجـــة فـــي تثنيـــه اسافلـــه — مهتزج في تمشيه اغاليه
تاهت على صورة الأشياء صورته — حتى اذا استكملت تاهت على التيه

من بحر (البسيط)

* * *

- وقال يرثي(ورداً) بعدما قتلها:

لك نفـــس موانيه — والمنايا معادية
ايها القـــلب لاتعد — لهوى البيض ثانيه
ليس برق يكون اخلب — من برق غانيه
خنت سري ولم اخنك — فموتي علانيه

من (مجزوء الخفيف)

* * *

- ويرثي صاحبه (بكر) بعدما قتله بالسيف الذي قتل به زوجته (ورد) فيقول:

يا بكر ما فعلت بك الارطال يادرا ما فعلت بك الايام
في الدار بعد بقية نستامها اذ ليس فيك بقية تستام
عرم الزمان على الديار برغمهم وعليك ايضا للزمان عرام
شغل الزمان كراك في ديوانه فتفرغت لدواتك الاقلام

من بحر (الكامل)

- ويقول: (مستغفرا الله) على قتله لزوجته وصديقه

استغفر الله لذنبي كله قتلت انسان بغير حله
وانصرم الليل ولم اصله والسكر مفتاح لهذا كله

من بحر (الرجز)

* * *

- ويقول (ديك الجن) في تاملاته:

وان الذي ازرى بشمس سمائه فابداه نورا والخلائق طين
تانق فيه كيف شاء وانما مقالته للشيء كن فيكون

من بحر (الطويل)

* * *

- ويهجو بشعره فيقول:

الكلب فوق اناس انت مالكهم ونعمة انت فيها عندهم نقم
وان دهرا علوت الناس كلهم فيه بالجهل والخذلان متهم

من البحر (البسيط)

* * *

- ويرثي (الحسين بن علي) فيقول:

اصبحت ملقي في الفراش سقيما　　اجد النسيم من السقام سموما
ماء من العبرات حرى ارضه　　لو كان من مطر لكان هزيما
وبلابـــل لـــو اتهـن مآكل　　لم تخطيء الغسلين والزقوما
وكرى يروعني سرى لونه انه　　ظل لكان الحر واليحموما
مرت بقلبي ذكريا بني الهدى　　فنسيت منها الروح والتهويما

من البحر (الكامل)

- ويتغزل ايضا على (مجزوء بحر الكامل) فيقول :

قولي لطيفك ينثنى　　عن مضجعي عند المنام
فعسى انام فتنطفي　　نار تاجج في العظام

***

- دليل من شعره بأنه لم يرتزق منه وهو القائل:

واغث واستغث بربك في الازل　　اذا جلحت صروف الليالي
لا تقف للزمان في منزل الضيم　　ولا تستكن لرقة حال
واذا خفت ان يراهقك العدم　　فعذ بالمثقفات العوالي
واهن نفسك الكريمة للموت　　وقحم بها على الاهوال

من بحر (الخفيف)

***

- في رثائه (أبا تمام) يقول:

فجع القريض بخاتم الشعراء　　وغدير روضها حبيب الطائي
ماتا معا فتجاورا في حفـــرة　　وكذلك كانا قـبل في الاحـياء

من بحر (الكامل)

***

- (ديك الجن) يمتدح علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فيقول:

دعوا ابن ابي طالب للهدى ونحر العدى كيفما يفعل
ومن كعلي فدى المصطفى بنفس ونام فما يحفل

من بحر (المتقارب)

- ونختتم بمدح (ديك الجن لرسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو يقول:

ان الرسول لم يزل يقول والخير ما قال به الرسول
لكنه ليس نبي بعدي فانت خير العالمين عندي
وانت مني الزر من قميصي وما لمن عاداك من محيص
رب العلى بفاطم الزهراء ذات الهدى سيدة النساء
ولاحت الانوار منه الساطعة وصف املاك السماء السابعة

من بحر (الرجز)

***

وفـــاتـــه:

عاش(عبدّ السّلام بنّ رغبان) الملقب بديك الجن.. بضعاً وسبعين سنة وتوفي في أيام المتوكل سنة خمس أو ست وثلاثين ومائتين. وذلك كما ذكر في (وفيات الاعيان) و(انباء ابناء الزمان)..

***

الخـــاتـــمة:

كان (ديك الجن) شاعرٌ متميزاً بأسلوبه الشعري المتين البناء السبك مع رقة المعاني ودقة النسج وصدق الصورة والجزالة في الالفاظ وقد تعددت الاغراض في

شعره فخاض كل فنونه وابدع فيها وتجلّى الابداع . ويمكننا ان نعزو السبب الاساسي في ضياع شعر ديك الجن الى كونه كان من اهل الشيعة وهذا وحده كان كافياً لعدم جمع أشعاره وجاء من بعد ان من جمع أشعاره وصنفها تبين انه كان يبجل ويكرم اهل البيت .. وله الكثير من المراثي في الحسين بن علىّ(رضي الله عنهما)فقد وقف ديك الجن مناصراً لآل البيت مؤيداً لهم مدافعاً عنهم بما يمتلك من موهبة شعرية .. ومن أطرف المواقف من ديك الجن ومعتقده موقفَ (أبي العلاء المعري) الذي كان متعاطفاً مع أخيه في الشعر ولذلك فقد منحه البراءة من تهمة الإلحاد. يقول في رسالة الغفران ورأى بعضهم (عبد السّلام بنَ رغبانَ) المعروف بديك الجن في النوم وهو بحُسن حال فذكر له الأبيات الفائية التي يقول فيها: هي الدّنيا وقد نَعموا بأخرى وتسويفُ النفوسِ من السّوافِ أيْ الهلاك. فقال: كنت أتلاعبُ ذلك ولم أكن أعتقدُه.

وديك الجن مازالت تكتنف سيرته الاسطورة ويلفها الغموض ولم تحظ بالدراسة الكافية.. والذين كتبوا عن سيرته أجمعوا بأنّ لهذا الشاعر مكونات ثقافية عالية من اللغة والأدب والتاريخ ظهرت بوضوح في شعره. فوعيه لعلوم اللغة جعله مالكاً لناصيتها قادراً على التصرّف بها ولذلك كان من الشعراء المبدعين في العصر العباسي.

***

الفقية الشاعر..(ابن دقيق العيد)

لقد عاش (ابن دقيق العيد) كامل شبابه تقياً نقياً ورعاً طاهر الظاهر والباطن يتحرى الطهارة في كل أمر من أمور دينه ودنياه فحفظ القرآن الكريم حفظاً تاماً وتفقه على مذهب الإمام مالك على يد أبيه ثم رجع وتفقه على مذهب (الإمام الشافعي) على يد تلميذ أبيه البهاء القفطي كما درس النحو وعلوم اللغة على يد(الشيخ محمد أبي الفضل المرسى) و (شمس الدين محمود الأصفهاني) ثم ارتحل

إلى القاهرة التي كانت في ذلك الوقت مركز إشعاع فكري وثقافي حيث كانت (القاهرة) هذه المدينة الساهرة التي تكتظ بالعلماء والفقهاء في كل علم وفن فانتهز (ابن دقيق العيد) هذه النهضة العلمية الواسعة التي شهدتها القاهرة في ذلك الوقت والتف حول العديد من العلماء وأخذ على أيديهم في كل علم وفن في نهم بالغ ولازم سلطان العلماء الشيخ (عزالدين بن عبد السلام) حتى وفاته.. وأخذ على يديه الأصول وفقه مذهب (الإمام الشافعي) وعندما اكتملت عنده العلوم واصبح مجيدا لها سافر إلى دمشق ثم اتجه إلى بلاد (الحجاز) ومنه إلى (الإسكندرية) فحضر مجالس الشيوخ والعلماء فيهما وتفقه وبلغ غايته في شتى أنواع العلوم والمعرفة الإسلامية وقد جمع بين فقهي الإمامين(مالك) و(الشافعي) رضى الله عنهما ومكث بالقاهرة فترة يسيرة اتجه على أثرها إلى مسقط رأسه (قوص) بجنوب القاهرة.. حيث تقلد منصب التدريس (بالمدرسة النجيبية) وهي إحدى المدارس الشهيرة في (قوص) وهو لم يتجاوز السابعة والثلاثين من عمره فالتف حوله المريدون يأخذون على يديه في مختلف الفنون والمعرفة الإسلامية. وقد عرف بغزارة علمه وسعة أفقه فذاع صيته بين الناس حتى إن والي(قوص) أسند إليه (منصب القضاء) على مذهب الإمام مالك ثم اتجه بعد ذلك إلى (القاهرة) وقام فيها بالتدريس (بالمدرسة الفاضلية.. والكاملية والصالحية والناصرية).. وكان ثقة في كل ما يقول أو يشرح حتى بلغ في النفوس مكانة سامية مرموقة.

*** اسمـــــه:**

((محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري القوصي أبو الفتح تقي الدين)) المعروف (بابن دقيق العيد) الحافظ الفقيه الأديب البارع.

*** أصولـــــه:**

أصل أبيه من منفلوط (بمصر) انتقل إلى(قوص) فنشأ بقوص وتعلم بدمشق

والإسكندرية ثم بالقاهرة.. وولي قضاء الديار المصرية سنة (٦٩٥ هجري) فاستمر إلى أن توفي (بالقاهرة). وهو محدّث وفقيه مصري.

*** لقبـــــه:**

لقب ابن دقيق العيد بمجدد المئة السابعة وكانت قوص عاصمة الصعيد قديما وكانت معبر الحجاج إلى(البحر الأحمر) يقول عنها (عباس محمود العقاد) ليس في وادي النيل بلد أوفى أخباراً من قوص في المراجع العربية بعد القاهرة والإسكندرية حيث يوجد بها آثار عظيمة ومنها المسجد (العمري).

وقال بعضهم: اشتهر ((بابن دقيق العيد)) ولهذا اللقب قصة ان جده كان يلبس في يوم عيد ((طيلسانا)) اي ثوب شديد البياض فقال بعضهم: كأنه (دقيق العيد) فلقب به.. وسمي ابيه ايضا بهذا اللقلب وانتقل اللقب من جده لابيه فاشتهر به ابن دقيق العيد .

*** مولـــده ونشأتـــه:**

ولد ((ابن دقيق العيد)) في شهر شعبان سنة (خمس وعشرين وستمائة) في (البحر الأحمر عند ساحل ينبع) حيث كان والده (مجد الدين القشيري القوصي) متوجهاً إلى الحج. قال:(ابن حجر) ولد بطريق مكة في المحرم سنة خمس وعشرين وستمائة ويقال إن والده طاف به عَلَى يديه ودعا له بالعلم والرفعة بين الناس وقال عنه(أبو الفتح بن سيد الناس اليعمري) لم أرَ مثله فيمن رأيت فكان للعلوم جامعاً.. وفي فنونها بارعاً.. مقدماً.. في معرفة علل الحديث على أقرانه منفرداً بهذا الفن النفيس في زمانه بصيراً بذلك شديد النظر في تلك المسالك.. وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعاني من السنة والكتاب مبرزاً في العلوم النقلية والعقلية. فقد نشأ في صمت وانشغال بالعلم وحفظ القرآن الكريم وسمع الحديث من والده (الشيخ مجد الدين القشيري) و(أبي الحسن بن هبة الله الشافعي) و(الحافظ المنذري) و(أبي الحسن النعال البغدادي) و(أبي العباس بن نعمة المقدسي) و(قاضي

القضاة أبي الفضل يحيى بن محمد القرشي) وخلائق غيرهم كثر من العلماء المحدثين في عصره .

*** مؤلفـــاتـــه:**

من أشهر مؤلفاته ((كتاب الإلمام الجامع لأحاديث الأحكام)) وكان في عشرين مجلداً و(شرح لكتاب التبريزي في الفقه) كما شرح (مختصر ابن الحاجب في الفقه) ووضع في علوم الحديث (كتاب الاقتراح في معرفة الاصطلاح)وله تصانيف في أصول الدين بجانب امتيازه في التدريس والفقه والتأليف خطيباً بارعاً وله ديوان شعر اكثر من رائع .. ولم يخرج عن طريقة أهل عصره الذين عرفوا بالسجع والمحسنات البديعة في اعمالهم الشعرية والادبية .

* وله (ديوان شعر) وعن كتابه (الإلمام الجامع لأحاديث الأحكام) وهو من أعظم ما صُنف في مجاله.

_ ومن أعماله الخالدة الآتي:

- كتاب شرح كتاب التبريزي في الفقه.
- كتاب شرح مقدمة المطرزي في أصول الفقه.
- كتاب الاقتراح في بيان الاصطلاح.
- كتاب اقتناص السوانح.
- كتاب شرح مختصر ابن الحاجب.
- كتاب شرح الأربعين النووية.
- كتاب الإمام في شرح الإلمام.
- كتاب إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام.

_ ابن دقيق العيد الأديب الشاعر:

كان((ابن دقيق العيد))على الرغم من انشغاله بالفقه والحديث فقد كان أديبًا بارعًا.. وخطيبًا مفوهًا.. وشاعرًا مجيدًا.. ولو انصرف إلى الأدب لكان له منزلة ومكانة. ويجمع معاصروه على براعته في الخطابة وتفوقه فيها فكان يملك أفئدة

الناس بأسلوبه المؤثر ونبراته الصادقة وعظاته البالغة. و(لابن دقيق العيد) (ديوان شعر) جمعه صلاح الدين الصفدي المؤرخ المعروف ونشر بقاهرة المعز ((بمصر)) نذكر لكم منه احبتي الغوالي عدة قصائد على سبيل التعارف بالفقية الشاعر .

_ قصيدة (شرفُ المُصْطَفى رفيعٌ عمادُه):

شرفُ المُصْطَفى رفيعٌ عمادُه ... لَيْسَ يُحْصَى بكثرة تَعْدادُه

لاح للمهتدين منه سراجٌ ... بيدِ الله قِدْحُهُ وزِنَادُه

وبدا للْغاوينَ سَيفُ انتقامٍ ... مستحيلٌ عليهمْ إغمادُه

بَعْثُهُ بَعْثُ كل خَيرٍ وميلاد ... الهدى والتقى مَعاً ميلادُه

فالمعالي لِذاتِهِ وعُلومُ الغَيْبِ ... لذاتِه ومِنها مِدادُه

ولَهُ في صفاتِه ومَزَايَاهُ ... كَمالٌ تَشْجَى بِهِ حسّادُهْ

لاينـــالُ العدوُّ منها ولا ... يقدَحُ فِيهَا عُتُوُّه وعِنَادُه

بهرتْ كُلّ من رآها كمالاً ... وأقرتْ بِفَضْلِها أضْدَادُهُ

ثَابتُ الجأش طَاهرُ النفْس سمح ... الطبع في البذلِ الجزيل جواده

جامِلُ الكل وَافرُ الفضْل وَافي ... العدلَ هَنيٌّ المرام سَهْلٌ قياده

أبْطَحيٌّ لَهُ منَ النّسب الوافر ... فخرٌ تنمَى بِهِ أجْدَادُه

ولَهُ فوْقَ فخرهمْ منْ مساعيه ... طريقٌ لا يدّعيه تِلادُهْ

وبه قَدْ تَدارَكَ اللهُ أهْلَ الأرْض ... لما طَغَى عَلَيْهَا عِبادُهْ

وغَدَا فيهم ولإبْليس سُوقٌ ... قائمٌ بَيْنَهمْ بعيدٌ كسادُهْ

وضلالٌ لوْ أنّهُ لاحَ للأعْينْ غطى وجهَ الصباحِ سوادُهْ
فأتاهُمْ نُورٌ مُبينٌ ودينٌ واضحٌ حقُّهُ جليٌّ سدادُه
جاءَ من عندِ ربهِ بكتابٍ مُحْكَمِ النّظْمِ كاملٍ إرشَادُهْ
هو غَضٌ على الزّمانِ لَذيذٌ درْسُهُ لا يملّه تردَادُهْ
أعْجَزَ العالمينَ طُرّاً ومنْ غالَبَ بحْراً ودّتْ بهِ أطْوادُه
سُخّرَ الكوْنُ للرّسُولِ فأبْدى صامِتٌ نُطْقَه وحيّا جمادُه

ولَهُ الجذعُ حنّ لما شَجاهُ بعْدَ قربِ المزارِ منْهُ بعادُه
وأجابَ استدعاهُ الشّجرُ المنقادُ طَوْعاً لمّا أريدَ انْقيادُه
وأتى بانْشِقاقِ بدْرِ الدّياجي خبَرٌ عنْهُ ثابتٌ إسْنادُهْ

***

– من قصيدة (إدأبْ على جمع الفضائل):

إدأبْ على جمع الفضائل جاهدا وأدمْ لها تَعَبَ القريحةِ والجسدْ
واقصد بها وجه الإله و نفع من بلّغْتَهُ وَجِدّ فيها واجتهدْ
واترك كلام الحاسدينَ و بغْيَهُمْ هملا فبعد الموت ينقطعُ الحسدْ

***

ـ ومن قصيدة (لا تُلينّ الدهرَ):

لا تُلينّ الدهرَ أمرَ الورى واقنع من الرزق ببعض النوالْ
لوْ لَمْ يكن في الحشر فيهِ سوى طول وقوف المرءِ عند السؤالْ
لكان أمراً مؤلماً محزناً يلهيك عن أهل وجاه ومالْ

***

_ ومن قصيدة (في أرض نجد منزلُ الفؤادِ):

في أرض نجد منزلُ الفؤادِ ... عمرتُه شوقي وصدقَ ودادي
ما كانَ أقربَهُ على مَنْ رامَهُ ... بمسرّة لولا اعتراضُ عوادي
أصبو إليهِ مع الزمان فكيف ... لا أصبو وتلك منازلي وبلادي
أرض بها الشرفُ الرفيعُ وغايةُ ... العز المنيع ومسكنُ الأجوادِ
أوطنْتُها فخرجْتُ منها عنْوةً ... بمكـــائد الأعــداء والحُسّاد

_ ومن قصيدة (نحو الجناب الممنّعِ):

ذروا في السُّرى نحو الجنابِ الممنّع ... لذيذَ الكرى واجفُو لَهُ كل مضجع
وأهدوا إذَا جئتم إلى خير مربع ... تحيةَ مضنىً هائم القلب موجَع
سريع إلى داعِ الصّبابة طيّعِ ... يقُومُ بأحْكام الهوى ويقيمها
فكمْ ليلة قدْ نازلتُه هُمُومُها ... فسامرَها حتّى تولّتْ نجومُها
لَهُ فكرةٌ فيمنْ يُحبُّ نديمها ... وطرْفٌ إلى اللقيا كثير التّطلّع
وكمْ ذاقَ في أحوالِه طعم محنة ... وكمْ عاذَ منهُ من مواقف
فتنة وكمْ أنّةٍ يأتي بها بعْد أنّةٍ ... تنِمُّ علَى سر لهُ في أكِنّة
وتُخْبِرُ عنْ قلْب لَهُ مُتقطع ... نعى صبْرَهُ شَوْقٌ أقامَ ملازماً
وحبٌّ يحاشى أن يطيعَ اللوائما ... وجفنٌ ترى أنْ لا يرى الدهر نائماً
وعقلٌ ثوَى في سكرة الحب دائما ... وأقسمَ أن لا يستفيقَ ولا يعي
أقامَ علَى بُعْد المزار مُتيّماً ... وأبْكاهُ برقٌ بالحجازِ تبسّما

– من قصيدة (جرحتنا يدُ أيامِنا):

قد جرحتنا يدُ أيامِنا ... وليس غيرُ الله منْ آس
فلا ترُجّ الخلقَ في حاجة ... ليسوا بأهل لسوى اليأس
ولاتُزدْ شكوى إليهم فلا ... معنى لشكواك إلى قاس

ولاتقس بالعقل أفْعالَهمْ ما مذهب القوم بمنقاس
وإن تخالط منهمُ معشرا هويت في الدين على الرأس
يأكل بعضهم لحمَ بعض ولا يَحْسبُ في الغيبة من بأس
لاورعٌ في الدين يحميهمُ عنها ولا حِشْمَةٌ جُلاّس
لايعدم الآتي إلى بابهمْ من ذلة الكلب سوى الخاس
فاهرب من الناس إلى ربهمْ لا خـير في الخـــلطة بالناس

_ من قصيدة (جَمَالُكُمْ لا يُحْصَرْ) :

جَمالُكُمْ لا يُحْصَرْ ومِثْلُكُمْ لا يُهْجَرْ
وحبكم بَيْنَ الحشا مستودع لا يظهرْ
ناري بكم لا تنطفي ولوعتي لا تفترْ
إذَا أتى الليلُ أتى الهمُّ بكم والْفِكَرْ
فإن أكنْ وذكركمْ طابَ ولذَّ السهرْ
ولي عذول فيكمو يقلقنـــي ويـكثرْ
يقول لي تقل من ذكرهُـــمْ وتُقْصَرْ
ويحمل الشوق الذي حَمَلْتَـهُ ويَـصْبِرْ
والله مَـا أطيقه وهـــل أنا إلاّ بشرْ

– من قصيدة (قاسيتُ بالفقر شدة):

لعمري لقدْ قاسيتُ بالفقر شدة وقعتُ بها في حيرة وشتات
فإنْ بحتُ بالشكوى هتكتُ مروءتي وإنْ لن أبحْ بالصّبْر خفْتُ مماتي
فأعظمُ به منْ نازل بمُلِمّة يُزيلُ حيائي أوْ يُزيلُ حيـــاتي

- من قصيدة (نحوَ الحجاز):

يا سايراً نحوَ الحجاز مُشمراً ... اجْهدْ فَدَيْتُك في المَسير وفي السُّرى
وتدرّع الصبرَ الجميلَ ولا تكنْ ... في مطلب المَجْد الأثيلِ مُقصرا
اقصدْ إلى حَيْثُ المكارمْ والندى ... يلقاكَ وجههما مضيئاً مقمرا
وإذا سهرت الليلَ في طلب العلا ... فحذارِ ثُمّ حَذارِ من خدْع الكرى
إن كلتِ النجب الركائبُ تارةً ... فأعِدْ لَهَا ذكر الحَبيب مُكررا
وأبعث لَهَا سرّ المُدام فإنها ... بالذّكرِ لا تَنْفك حتى تَسْكرا
وإذا اختفتْ طُرقُ المَسير وظَلّ من ... أشكالها نَظرُ البصير محيرا
فالقصدُ حيْثُ النورُ يُشرقُ ساطِعاً ... والطرق حيثُ ترَى الثّرى مُتعطرا
قف بالمنازلِ والمَناهل من لدُنْ ... وادي قباءَ إلَى حِمى أمِّ القُرَى
وتوخّ آثارَ النّبي فَضَعْ بِهَا ... مُتشرّفاً خدّيكَ في عفْر الثّرَى
وإذا رأيتَ مهابطَ الوحي التي ... نشرتْ عَلَى الآفاق نُوراً نوّرَا

* * *

_ من قصيدة (الزمان ومحنتي):

يفنى الزمان ومحنتي ... بكَ كل يوم في زياده
بالغت في طلبي وصا ... لَكَ لو تواتيني السعادهْ
تنأى وتدنو دائماً ... لَمْ ينتظم لي فيك عادهْ
أفنيت عمري في الجهاد ... وأرتجي فيك الشهادهْ

* * *

- من قصيدة (أمَلِي بِبَابِكَ وَاقفٌ):

يَا مُنيتي أمَلِي ببَابِكَ وَاقفٌ ... والجودُ يأبى أنْ يكُونَ مُضاعَا
أشْكُو إلَيْكَ صَبَابَةً قَدْ أترعتْ ... لي في الهوى كأسَ النّوى إتراعَا
ونزاعَ شوقٍ لَمْ تزلْ أيدي النوى ... تَنْمى بِهِ حَتّى استحال نزاعَا

لَمْ يبق لي أملٌ سواك فإنْ يفت ودّعتُ أيامَ الحياةِ وداعا
لا أستلذ لغير وجهك منظراً وسوى حديثك لا أريدُ سماعا

_ قصيدة (م ا قَدْ رأينا من عُلاً):

وجَلالةٌ في الخَلْق حتّى إنّه الدّنْيا لأنْ يُصغي إليْهِ ويَنظُرا
وطهارةٌ في الخَلْق حتّى إنّهُ يندى مع الأعرافِ مسكاً أذفرا
وتجاوزٌ يُنسى العيوب تكرماً ويُغادر الذنب الكبير مُحقرا
ومواهبٌ يأتي لها التأميلُ مُسْ تقصىً فيرجعُ عندهُ مستقصرا
ومهابةٌ ملأ القلوب بهاؤُها واستَنْزلَتْ كِبْرَ المُلوكِ مُصغّرا
نَزلَتْ على قِدَم الزمان بتُبَّعٍ ودَنَتْ على بُعد المَزارِ بقيصرا
ولربما هبّ القتالُ فلوْ غدتْ للّيْثِ نالَ بها الفريسةَ مُخْدَرا
وبديعُ لُطفِ شمائلٍ من دونها ماءُ الغمامةِ والنّسيم إذا سرَى
مع سطْوَةِ الله في يوْم الوَغَى تعنُو لشدّةِ بأسها أسْدُ الشرى
متعادلُ الطّرَفيْن في طرُقِ العلا عدلا وحاشاهُ بأن يستَجْورا
لا يُنـــكَرُ المعْرُوفُ من أخلاقه فإذا استبيحَ حمى الإلَه تَنَكّرا
عضبا لو أن البيض تدركُ كنهه دانتْ لَها رعباً فسالتْ أنْهُرا
شوْقي لقُرب جنانه وصَحابه شوقاً يجِلُ يسيرُهُ أن يذْكرا

***

من قصيدة (لست بمعرض):

يا معرضاً عني و لست بمعرض بل ناقض عهدي و لستُ بناقضِ
أتعبتني بخلائق لكَ لم تفدْ فيها و قد جمحَتْ رياضة رائض
أرَضيتَ أن تختارَ رفضي مذهباً فتشنع الأعداء أنك رافضي

من قصيدة (الفئة الأمجاد):

لله در الفئـــة الأمـــجاد السالكيـــنَ مســـالكَ الأفرادِ
عرفوا وهم بالغَوْر من وادي الغضا إذ رحلوا لمبارك العُبَاد
فسروا لنجد لا يملون السرى أو يظفروا منها بكل مراد
لا يقطعون من المناهل معلماً إلا ولاحَ سواهُ بالمرصاد
لم يَثْنهم طولُ الطريق لهم ولاعدمُ الرفيق ولا نفادُ الزّاد
سقَتْهُم من النِعاس جفونُهم كأساً تُميلهم على الأعواد
وتكاد أنْفُسُهم تَفيظُ وتَحْتَبي بنسيم نجـــد أو غنـــاء الحادي

من قصيدة (مات الكرام فمن لنا):

وقائلة مات الكرام فمن لنا إذَا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لَهَا من كَانَ غاية قصده سؤالاً لمخلوق فليس بنابه
لئن مات من يرجى فمعطيهمُ الّذي يرجونه باق فلوذي ببابه

***

من قصيدة (نهضت إلى العلا):

يقولون لي هلا نهضت إلى العلا فما لذَ عيش الصابر المتقنع
وهلا شددت العيس حتى تُحِلّها بمصر إلى ظل الجناب المرفّع
ففيها من الأعيان من فيض كفه إذا شاء روّى سيلُهُ كل بلقع
وفيها قضاةٌ ليس يَخْفَى عليهمُ تعيّنُ كون العلم غيرَ مُضيع
وفيها شيوخُ الدين و الفضل و الألى يشيرُ إليهمْ بالعلا كل اصبُع
وفيها وفيها والمهانةُ ذلةٌ فقم واسْعَ و اقصدْ باب رزقك واقـرع

فقلت نعم أسعى إذا شئتُ أن أرى ذليلا مُهانا مستخفا بموضعي
وأسعى إذا ما لذ لي طول موقفي على باب محجوب اللقاء ممنّع
وأسعى إذا كان النفاقُ طريقتي أروح وأغدو في ثياب التَصنّع

***

_ من قصيدة (بَعُدَتْ ليلى وعز وصالها):

لقد بَعُدَتْ ليلى وعز وصالها كما عز بيْنَ العالمين مثالَها
فمن لي بنوق لا تزال تمدها قواها ولا يدنو إليّ كلالها
ولكنها جسم يذوب وصبره يحول وأرواح يخاف زوالها
لعمري لقد كلفتها في مسيرها بلوغ مدى قَدْ قلّ فيهِ احتمالها
وتسألني رفقاً بها وبضعفها ولو خفّ من شوقي أجبت سؤالها

***

_من قصيدة (بنت الكرم أغلى مهرها):

ألا أن بنت الكرم أغلى مهرَها فيا خُسرَ من أضحى لذلك باذلا
تُزَوّجُ بالعقل المكرّم عاجلاً وبالنار والغسلين والمهْلِ آجلاً

***

وفاتـــه:

لقد قضى ((ابن دقيق العيد)) حياته بين التأليف والتدريس نهارًا والعبادة والصلاة ليلاً حتى لقي الله بالقاهرة في صبيحة يوم الجمعة لتسعة أيام بقين من صفر عام (٧٠٢هجري).. الموافق الخامس من أكتوبر عام (١٣٠٢ميلادي) بعد عمر يناهز سبعة وسبعون عاماً قضاها في خدمة الدين الإسلامي الحنيف في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وقد دفن يوم السبت (بسفح المقطم شرق مدينة القاهرة) وكان يوماً مشهوداً عزيزاً في الوجود.. رحم الله شيخنا الجليل واسكنه عوالي جنته

الخاتمة:

لم تكن القاهرة وحدها في العصر المملوكي حاضرة العلم في مصر ومركز الإشعاع الثقافي وملتقى العلماء والفقهاء فقط بل نافستها مراكز أخرى في صعيد مصر امتلأت بالمدارس ودور الحديث وازدانت بأعلامها من رجال الفقه والحديث واللغة والأدب وكانت اسنا وقوص وأسيوط وأخميم وأسوان ومنفلوط تموج حركة ونشاطاً بحلقات العلم التي تحتضنها ساحات المساجد وقاعات المدارس. ويذكر ابن دقماق المؤرخ المصري أنه كان بقوص وحدها ستة عشر مكاناً للتدريس وبلغ من ازدهار الحركة العلمية بصعيد مصر في تلك الفترة المملوكية أن وضع (الإدفوي) كتابه المعروف باسم (الطالع السعيد) وخصصه فقط لتراجم نجباء علماء الصعيد ((نوابغ جنوب مصر المحروسة)).

* * *

(الخليل بن أحمد الفراهيدي)

حكى ابنُ جنّي، في "الخصائص" عن الخليل: أنَّ الأصمعيَّ كان أراده على أن يعلِّمَهُ العَرُوض، فتَعَذّر ذلكَ على الأصمعي وبعُدَ عنه، فيئِسَ الخليل منه، فقال له يومًا: يا أبا سعيد، كيف تُقَطّع قول الشاعر:

(إذَا لَـمْ تَسْتَطِعْ شَيْـئًا فَدَعْهُ وَجَاوِزْهُ إِلَـى مَـا تَسْتَطِيعُ)

***

فعلمَ الأصمعي أنَّ الخليل قد تأدّى ببُعده عن علم العَرُوض، فلم يعاوده فيه مع احد علماء اللغة ومؤسس علم العروض وصاحب اول معجم عربي واضع التنقيط علي الحروف صاحب الجاه العظيم في عالم اللغة والأدب والعروض.. ومن منا لا

يعرفه من الادباء وبالأخص الشعراء عندما يأتيهم وحي الشعر بالخاطرة يأتي مع الخاطرة تفعيلة البحر التي يبدأ الشاعر بنظم قصيدته عليها.. فيخرج لنا شعرا موزونا يمس الاذان بجرسه الموسيقي ويداعب فينا الوجدان.. وعالمنا الجليل هو:

_ الخليل بن احمد الفراهيدي:

هو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (الفراهيدي) البصري وهو عربي النسب من الأزد، ولد في عُمان عام ١٠٠ ه، الموافق: ٧١٨ للميلاد وهو مؤسس علم العروض ومعلم سيبويه وواضع أول معجم للغة العربية وهو العين. ولد إباضياً وتحول إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

ولقب الفراهيدي الازدي.. يرجع إلي انتسابه إلي (فراهيد) وهي بطن من الأزد والفرهود.. هو ولد الاسد.. وقيل ايضا ان الفراهيد.. صغار الغنم.
أخذ النحو عنه سيبويه والنضر بن شميل وهارون بن موسى النحوي ووهب بن جرير والأصمعي والكسائي وعلي بن نصر الجهضمي. وأخذ هو عن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي وحدث عن أيوب السختياني وعاصم الأحول والعوام بن حوشب وغالب القطان وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي. كان الخليل زاهداً ورعاً وقد نقل ابن خلكان عن تلميذ الخليل النضر بن شميل قوله: «أقام الخليلفي خص له بالبصرة، لا يقدر على فلسين، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال». كما نقل عن سفيان بن عيينة قوله: «من أحب أن ينظر إلى رجلٍ خلق من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد.

يعد الخليل بن أحمد من أهم علماء المدرسة البصرية وتنسب له كتب" معاني الحروف" وجملة آلات الحرب والعوامل والعروض والنقط، كما قام بتغيير رسم الحركات إذ كانت التشكيلات على هيئة نقاط بلون مختلف عن لون الكتابة، وكان تنقيط الإعجام (التنقيط الخاص بالتمييز بين الحروف المختلفة كالجيم والحاء والخاء)

قد شاع في عصره، بعد أن أضافه إلى الكتابة العربية تلميذا أبي الأسود نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر التابعي، فكان من الضروري تغيير رسم الحركات ليتمكن القارئ من التمييز بين تنقيط الحركات وتنقيط الإعجام. فجعل الفتحة ألفاً صغيرة مائلة فوق الحرف، والكسرة ياءً صغيرة تحت الحرف والضمة واواً صغيرة فوقه.

أما إذا كان الحرف منوناً كرر الحركة، ووضع شينا غير منقوطة للتعبير عن الشدة ووضع رأس من للتدليل على وجود الهمزة وغيرها من الحركات كالسكون وهمزة الوصل، وبهذا يكون للنظام الذي اتخذه قريباً هو نواة النظام المتبع اليوم.
اعتكف علي اللغة وكشف لنا اسرارها ومعانيها.. فاخرج لنا أول معجم اللغة العربية وهو: معجم العين هو أول معجم منسق للغة العربية، قام بكتابته الخليل بن أحمد الفراهيدي ويعتمد في ترتيبه على مخارج الحروف من أعمق نقطة في الحلق مرورا بحركات اللسان وحتى أطراف الشفتين، وبذلك يكون أول حروفه هو العين وأخرها هو الميم، ثم تتبعهم حروف العلة الجوفية (و.. ي.. أ) الفكرة التي ادت الى وضع العروض... طرأت بباله فكرة وضع علم العروض عندما كان يسير بسوق الغسالين فكان لصوت ضربهم نغم مميز ومنة طرأت بباله فكرة العروض التي يعتمد عليها الشعر العربي.

فكان يذهب إلى بيته ويتدلى إلى البئر ويبدأ بإصدار الأصوات بنغمات مختلفة ليستطيع تحديد النغم المناسب لكل قصيدة .. شغلته الفكره فاصبح لاينام ويفكر ويذهب الي الاسواق ويلتقي بالناس ليستمع الي الاصوات والي لغو العامه ففي داخله شيء يبحث عنه .. فيستمع في السوق الي شيخ هرم يعلم صبي ويقول له قل معي.. نعم.. لا.. نعم.. لا لا.. فيسمح جرس موسيقي في الكلام ويسأل فيعرف ان قصد الشيخ ان يدرب اذن الصغير علي موسقة الكلام.. فالعرب لهم إذن موسيقيه تزن الكلام من قبل ان يضع الخليل موازينها فقد جمع البحور والتفعيلات من شعر العرب.. وفنده فيستمع ايضا لبائع (البطيخ) بالسوق وهو يقول من يشتري (بطيخة) فيري الجمله لها وزن وتفعيله.. مستفعلن.. مستفعلن.. حتي البائعين تزن الكلام

وتموسقه.. فيبتداء يقسم ويفند الشعر الي ابحر ذات تفعيلات مختلفة فيزن شعر العرب ويخرج لنا علمه الباقي ما بقيت الدنيا.. العلم الذي جابت به قريحته (عروض الشعر العربي).

*بحور الشعر ستة عشر بحرا وهي :

– البحر الطويل.	– البحر المديد.	– البحر البسيط.
– البحر الوافر.	– البحر الكامل.	– بحر الهزج.
– بحر الرجز.	– بحر الرمل.	– البحر السريع.
– البحر المنسرح.	– البحر الخفيف.	– بحر المضارع.
– البحر المقتضب.	– البحر المجتث.	– البحر المتقارب.

وأخرهم كان بحر المتدارك الذي تداركه الأخفش الأوسط من مجمل البحور الخليلية. اكتشف الخليل بن أحمد منهم (١٥ بحرا) مستعملا والمتدارك وهو البحر السادس عشر تركه مهملا. ولكن تلميذه الأخفش رأى أن البحر السادس عشر كان مستعملا، فتداركه على أستاذه وعده من البحور المستعملة. وقد جمعها أبو الطاهر البيضاوي في بيتين فيقول فيهما:

طويل يمد البسط بالوفر كاملٌ ويهزج في رجز ويرمل مسرعا فسرح خفيفا ضارعا يقتضب لنا من اجتث من قرب لندرك مطمعا.

من مؤلفات الخليل بن أحمد الفراهيدي:

- كتاب (معجم العين): وهو أول معجم في العربية وقد فكر فيه الخليل بن أحمد وطلب من تلميذه الليث بن المظفر الكناني أن يكتب عنه ثم بعد موته أتم تلميذه هذا الكتاب.

- **كتاب النَّغم.**
- **كتاب العروض.**
- **كتاب الشواهد.**
- **كتاب النقط والشكل.**
- **كتاب الإيقاع.**
- **كتاب معاني الحروف.**

حينما أرسل إليه سليمان بن حبيب بن أبي صفرة والي فارس والأحواز رسولا يدعوه إليه، حيث كان سليمان يدفع له راتبا بسيطا يعينه به على شؤون الحياة فرفض القدوم إليه وقدم للرسول خبزا يابسا مما عنده قائلاً مادامت أجده فلا حاجة بي إلى سليمان وقال:

أبلغ سُليمانَ أنّي عنهُ في سَعَةٍ ... وفي غِنىً غيرَ أنّي لستُ ذا مالِ
سَخَّى بنفسي أنّي لا أرى أحداً ... يموتُ هزلاً ولا يبقى على حالِ
وإنّ بينَ الغنى والفقرِ منزلةً ... مخطومةً بجديدٍ ليسَ بالبالي
الرزقُ عن قدرٍ لا الضعفُ ينقُصُهُ ... ولا يزيدُك فيهِ حولُ مُحتالِ
إن كانَ ضنَّ سُليمانَ بنائلِهِ ... فاللهُ أفضلُ مسؤولٍ لسُؤالِ
والفقرُ في النفسِ لا في المالِ نعرِفُهُ ... ومِثلُ ذاكَ الغِنى في النفسِ لا المالِ

* وفاة الفراهيدي واضع علم العروض وموسيقى الشعر العربي:

توفي الخليل بن احمد في البصرة بشهر جمادي الآخرة سنة ١٧٤ ه /٧٨٩ **ميلاديه** بخلافة هارون الرشيد وهو نفس يوم وفاة خيزران بنت عطاء زوجة هارون الرشيد وقال الذهبي في سبب وفاته في كتاب "تاريخ الإسلام": "يقال: كان سبب وفاة الخليل دخل المسجد ليصلي واتم الصلاة وفي الخروج من المسجد.. كان شارد الزهن دائما ويفكر في اللغة وعلومها وبحور الشعر واوزانها وكان يفكر في شيء جديد يضيفه للعلوم اللغوية فصدمته سارية وهو غافل فانصرع فمات من ذلك وقيل:

بل صدمته السارية وتوفي بعدها، وهو يقطع بحرًا من العروض.

لقي الخليل نحبه وهو يفكر في علم يخرج به للبشرية كي يضيء لنا الطريق ويكشف لنا اسرار اللغة العربية ويخرج لنا ما خبئته العرب من كنوز اللغة العربية وايضا يكشف لنا عن اسرارها من خلال تيسير المعاني في معجمه الشهير الذاخر بأسرار اللغة العربية (لغتنا الجميلة).. لغة القرآن.. ولغة اهل الجنان.. ادخله الله فسيح رحمته. وتجاوز عنه.. رحل الفراهيدي.. وترك وراءه علم يعمل به الي آخر الزمان.. يموتون علماء اللغة.. وتبقي اللغة باقيه في العقول والقلوب.. وتحفظ في كتاب الله العظيم الي يوم يبعثون.

***

الأصمعي..وقصيدة.. (صوتُ صفيرِ البلبلِ)

- اسمـــه:

عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن اصمع الباهلي.. من أئمة الادب والشعر ومؤرخ للبلدان .

- ولادتـــه:

ولد في البصرة.. في العام ١٢١ هجري الموافق: ٧٤٠ ميلادي وكان كثير التطواف في البوادي يقتبس علومها ويتلقى اخبارها ويتحف بها الخلفاء وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر ويقول الاخفش لم أرى أحداً أعلمُ بالشعرِ من الأصمعي وكان اعلم الناس بالشعر واحضرهم حفظاً .. وكان يحفظ عشرة آلاف أرجوزه.

تمتع الأصمعي بشهره واسعه فقد كانت الخلفاء تجالسه وتحب منادمته وقد هيات مجالس الرشيد له مقعدا.. فذاع صيته في كل الاوســـاط والمحافل الادبـــية كما ان كتب الادب قد جمعت الكثير من الاخبار والاشعار التي يرويها.

- من مصنفاته:

الابل – الابواب – ابيات – ومعاني الاجناس – الاخبئه – والبيوت الاراجيز اسماء الخمر – الأصمعيات – خلق الإنسان – اصول الكلام – الأضداد – تاريخ الملوك مياه العرب – نوادر الاعراب – النبات – والشجر.

- وفاة الأصمعي:

توفي بالبصرة في العام: ٢١٦ هجري الموافق: ٨٣١ ميلاديه. ومن اشهر أعماله قصيدة (صوتُ صفيرِ البلبل)..القيت علي مسمع من الخليفة العباسي ((ابو جعفر المنصور)) ولها قصه شهيره جميعنا نعرفها فكانت درس للخليفة المنصور يقول في مطلعها:

***

قصيدة: (صوتُ صفيرِ البلبلِ)

صوت صفـــير البلبل هيــج قلبــي الــثمــل
الماء والزهـــر معا مع زهــر لحظ المقلي
وانـــت يا سـيدي وســيــدي ومـــوللي
فكم فكـــم تيملي غــزيـــل عقنقـــلي
قطبتـــه من وجنــة من لثم ورد الــخاجلي
فقـــال لالا... لالالا وقــد غــدا مهــرولي

والخـــود مالت طربا من فعـــل ذاك الرجـــل
فولولت... وولـــولت ولي.. ولي. يا ويلـــلي
فقلـــت لا تـــولولي وبينـــي اللـــؤلـــؤلـــي
قـــالت لـــه حيـــن كذا انهض وجـــد بالنـــقلي
وانـــت يـــا ســـيدي ومولللـــي فكم فكم تيملي
عـــزيـــل عقنقـــلي قطبـــته من وجنـــة
من لثـــم ورد الخجلي فقـــلـــت لا لا.. لالالا
وفتـــــية سقـــوننني قهـــوة كالعســـللي
في وسط بستـــان حلي بالـــــزهر والسرورلي
والـــعود دندندنلـــي والطـــبل طب طب طبلي
طب طبطب طب طبطب طب طبـــطب طبطـــبلي
والسقف سقسق سقلى والرقـــص قـــد طاب الي
شوي.. شوي وشاهشي علـــي ورق سفـــرجلي
وغرد القمري يصـــيح مـــــلالاً في مالالي
ولو تراني راكبـــاً علـــي حمار أهزلي
يمشي علـــــي ثلاثة كمشيـــة العرنجـــــلي
والناس ترجـــم جملي في الســـوق والقرقلـــلي
والكل كع .. كع كعكع خلفـــي ومن حويللـــي
لكن مشـــيت هـــارباً من خشـــية العقنـــقلي
الي لقـــاء مـــلك معظـــم مبجـــلي
يأمر لـــي بخـــلعة حمـــــراء كـــالدمدملي
اجر فيهـــا ماشـــيا مبـــغـــدد للزيلـــــي
أنا الأديـــب الألمعي من حي أرض الموصلي

نظمت قطعا زخرفت يعجز عنهـــا الأديـلي
أقول في مطـــلعها صوتٌ صفـــــير البلبل

***

الخـــاتمـــة:

قال الأصمعي لأعرابي: أتقول الشعر؟.. قال الأعرابي: أنا ابن أمه وأبيه فغضب الأصمعي فلم يجد قافية أصعب من الواو الساكنة المفتوح ما قبلها مثل (لَوْ) قال: فقلت : أكمل ، فقال : هات ..

فقال الأصمعي:

قـــومٌ عهدناهم سقاهم الله مـــن النور

الأعرابـــي:

النور تلألأ في دجا ليلةٍ حالكة مظلمةٍ لو

فقال الأصمعي: لو ماذا..؟

فقال الأعرابي :

لو سار فيها فارس لاثنى على به الأرض منطو

قال الأصمعي: منطو ماذا..؟

الأعرابي:

منطوِ الكشح هضيم الحشا كالباز ينقض من الجو

قال الأصمعي : الجو ماذا..؟

الأعرابي :

جو السماء والريح تعلو به فاشتم ريح الأرض فاعلو

الأصمعي: اعلو ماذا.. ؟

الأعرابي :

فاعلوا لما عيل من صبره فصار نحو القوم ينعو

الأصمعي : ينعو ماذا..؟

الأعرابي:

ينعو رجالاً للقنا شرعت كفيت بما لاقوا ويلقوا

الأصمعي : يلقوا ماذا..؟

الأعرابي :

إن كنت لا تفهم ما قلته فأنت عندي رجل بو

الأصمعي : بو ماذا..؟

الأعرابي :

البو سلخ قد حشي جلده بأظلف قرنين تقم أو

الأصمعي : أوْ ماذا..؟

الأعرابي:

أو أضرب الرأس بصيوانةٍ تقول في ضربتها قو

قال الأصمعي :

فخشيت أن أقول قو ماذا فيأخذ العصى ويضربني

•••

- الأصمعي والغلام:

من عجائب ما قابل الأصمعي وهو يبحث عن اللغة بين البدو والأعراب ماروى عن نفسه فقال: بينما أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف في الطريق يناجي ربه بأبيات من الشعر يقول فيها:

يَا فَاطِرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلاَ ... رِزْقَ الْجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ

يَا مُسْبِغَ الْبِرِّ الْجَزِيلِ وَمُسْبِلَ السِّـ ... ـتْرِ الْجَمِيلِ عَمِيمُ طَوْلِكَ طَائِلُ

يَا عَالِمَ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الـ ... ـوَعْدِ الْوَفِيِّ قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلُ

عَظُمَتْ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ إِنْـ ... ـيُحْصِي الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ

الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنِّكَ غَافِرٌ ... وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِحِلْمِكَ قَابِلُ

رَبِّ يُرَبِّي الْعَالَمِينَ بِبِرِّهِ ... وَنَوَالُهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

تَعْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا ... مَا لَا تَكُونُ لِبَعْضِهِ تَسْتَاهِلُ

مُتَفَضِّلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِجُودِهِ ... بِقَبَائِحِ الْعِصْيَانِ مِنْكَ تُقَابِلُ

وَإِذَا دَجَى لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ ... سُبُلُ الْخَلَاصِ وَخَابَ فِيهَا الْآمِلُ

وَآيِسَتْ مِنْ وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَا لَهَا ... سَبَبٌ وَلَا يَدْنُو لَهَا مُتَنَاوَلُ

يَأْتِيكَ مِنْ أَلْطَافِهِ الْفَرَجُ الَّذِي ... لَمْ تَحْتَسِبْهُ وَأَنْتَ عَنْهُ غَافِلُ

يَا مُوجِدَ الْأَشْيَاءِ مِنْ أَلْقَى إِلَى ... أَبْوَابِ غَيْرِكَ فَهُوَ غِرٌّ جَاهِلُ

وَمَنِ اسْتَرَاحَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْ رَجَا ... أَحَدًا سِوَاكَ فَذَاكَ ظِلٌّ زَائِلُ

وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيِّنٌ ... وَإِذَا حَصَلْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ حَاصِلُ

أَنَا عَبْدُ سُوءٍ آبِقٌ كُلَّ عَلَى ... مَوْلَاهُ أَوْزَارُ الْكَبَائِرِ حَامِلُ

قَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَّدَتْ ... صُحُفِي الْعُيُوبُ وَسِتْرُ عَفْوِكَ شَامِلُ

هَا قَدْ أَتَيْتَ وَحُسْنُ ظَنِّي شَافِعِي ... وَوَسَائِلِي نَدَمٌ وَدَمْعٌ سَائِلُ

فَاغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ ... تَوْفِيقًا لِمَا تَرْضَى فَفَضْلُكَ كَامِلُ

قال: فدنوت منه وسلمت عليه فقال: ما أنا براد عليك حتى تؤدي من حقي الذي يجب عليك. قلت: وما حقك؟ قال: أنا غلام على دين إبراهيم الخليل عليه السلام لا أتغدى كل يوم ولا أتعشى حتى أسير الميل والميلين في طلب الضيف. فأجبته فرحب بي وسرت معه حتى وافينا الخيمة فصاح: يا أختاه فأجابته جارية من الخيمة: يا

لبيكاه! فقال: قومي إلى ضيفنا فقالت الجارية: حتى ابدأ بشكر المولى الذي ساقه إلينا. فصليت ركعتين لله تعالى. قال: فأدخلتي الشاب الخيمة وأجلسني وأخذ شفرة فقام إلى عناق فذبحها. قال: فلما جلست في الخيمة نظرت إلى الجارية فإذا هي أحسن الناس وجها. فكنت أسارقها النظر ثم فطنت لي فقالت لي: مم! أنا علمت انه نقل عن صاحب طيبة عليه الصلاة والسلام إنّه قال: زنى العينين النظر. أما إني ما أردت بهذا إنّ أوبخك ولكني أردت أن أؤدبك لئلا تعود إلى مثل هذا. فلما كان النوم بت أنا والغلام خارج الخيمة وباتت الجارية داخلها. فكنت اسمع دوي القرآن إلى السحر بأحسن صوت وارقه. ثم سمعت أبيات من الشعر العذب تقول فيها:

أَبَى الحبُّ أنْ يَخْفَى وكَمْ قَدْ كَتَمْتُه ... فَأَصْبَحَ عِنْدِي قَدْ أَنَاخَ وَطَنَّبَا
إِذَا اشْتَدَّ شَوْقِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ ... وَ إِنْ رُمْتُ قُرْبًا مِنْ حَبِيبِي تَقَرَّبَا
وَيَبْدُو فَأَفْنَى ثُمَّ أُحْيَا بِهِ لَهُ ... وَيُسْعِدُنِي حَتَّى أَلَذَّ وَأَطْرَبَا

***

فلما أصبحت قلت للغلام: صوت من سمعت..؟! قال: صوت أختي تقوم الليل تناجي ربها، فإذا استروحت أنشدت هذه الأبيات وذلك دأبها كل ليلة. فقلت: أنت أحق بهذا منها إذ أنت رجل وهي امرأة! فتبسم ثم قال: أما علمت إنّه موفق ومخذول ومقرب ومبعد..؟

(عدي بن ربيعة التغلبي) الملقب بالزير سالم :

إنّ شخصية (الزير سالم) هي شخصية واقعية وليست من محض الخيال ولا هي من القصص التي وجدت من أجل التسلية فحسب بل هي قصة حقيقية تحدّث عنها المؤرخون وثبتت أشعار تنسب الى عدى بن ربيعة والملقب بالزير سالم في كتب الأدب التي تعد مرجعا.. وثبت تواجدها في الشواهد النحوية التي اعتمد عليها نحاة العصر العباسي. لكن أصاب القصة ما أصاب قصة عنترة بن شداد.

- شهرتـــه:

اشتهر((الزير سالم)) على مر التاريخ.. وتناولت قصة حياته عدة أعمال فنية ولكنها تناولت بطريقة الدراما التي يمكنها حذف أو اضافة المواقف للقصة الحقيقة حسبما تحتاج الحبكة الدرامية، وقصة حياة الزير سالم قصة ثرية بالأحداث التاريخية والاجتماعية فيها كثير من العبر والمبادئ ، وهي تجسد فترة زمنية طويلة عرفت (بحرب البسوس) في الجاهلية.

- اسمـــه:

هو: ((عدي بن ربيعة التغلبي)) والملقب بالزير.. شاعر جاهلي ويعد أحد فرسان قبيلة (تغلب) الذين كانت ديارهم في شمال شرق الجزيرة العربية وأطراف العراق والشام وكان شاعرا يكنى بأبي ليلى بالمهلهل، وأحد أبطال العرب في الجاهلية وقد كان له من الذرية ابنتان هما: ليلى وعبيدة، فأما ليلى فهي أم الشاعر عمرو بن كلثوم التغلبي، وأما عبيدة فهي أم قوم يقال لهم عبيدة من جنب من مذحج وقال البعض أن الزير خال الشاعر امرئ القيس الكندي. سمي بالمهلهل لأنه أول من هلهل الشعر (أي رققه). عاش في شبه الجزيرة العربية. وبعد حرب البسوس رحلت تغلب إلى شمال العراق والجزيرة الفراتية وديار ربيعة فعاشوا هناك.

- مـــولده:

ولد (عدي بن ربيعة التغلبي) قبل عام الفيل ب ٤٦ سنه (٥٢٤ ميلادية) في الباحة من تهامة .في شمال شرق (الجزيرة العربية وأطراف العراق والشام .

*** المعنى اللغوي لاسم ((عدي)):**

(عدي) هو: اسم علم مذكر.. يتأتى من الفعل عدا يعدو: إذا جرى وركض والعديّ: تستخدم جمعاً وهم جماعة القتال يهاجمون العدوّ ويَعْدون نحوه للنيل من المعتدي.

- ألقابه وكنيته:

لقب عدي بن ربيعة بألقاب عديدة من أشهرها: لقب بالزير قيل أن اسمه سالم ولا يعرف لهذا الاسم مصدر والمشهور بين النسابين أن اسمه عدي عكف عدي بن ربيعة في صباه على اللهو والتشبيب بالنساء، فسمّاه أخوه كليب (زير النساء) و التي تعني جليسهنّ.

- لقب بالمهلهل:

وقد قيل لقب مهلهلا لأنه كان يلبس ثياباً مهلهلة وقيل لقب بالمهلهل لأنه أول من هلهل الشعر (أي رققه).

- ولقب بأبي ليلى:

وهي كنيته وذلك لأنه في صغره رأى رؤيا ينجب فيها فتاة واسمها ليلى وأن لها شأن فلما أنجب أسمى ابنته بذاك الاسم وزوجها كلثوم بن مالك من بني عمومتها وولد منها عمرو بن كلثوم بن مالك صاحب (المعلّقة الشهيرة وقد اوردنا ذكرها في عرضنا للمعلقات) ولذلك كانت كنيته بأكبر بناته وهي ابنته ليلى وله ابنة أخرى يقال لها عبيدة وزوج عبيدة لمعاوية بن عمرو بن معاوية الجنبي المذحجي فأنجبت له بني عبيدة وقد اختلف الرواة في أسماء بناته مع اتفاقهم على أنه لم يكن له من الذرية إلا ابنتان فقالوا ليلى وعبيدة وقالوا هند وعبيدة وقالوا سلمى وسليمى.

*** شيء من حياته:**

كانت قبائل ربيعة وقبائل مضر إبني نزار متفرقة في أنحاء الجزيرة العربية وكانت تنشب الحروب بينها بين الفينة والأخرى .. وكان التبع اليماني ملك اليمن يسيطر فعليا على شبه الجزيرة العربية فيجبون منهم الإتاوة ويبسطون عليهم نفوذهم. ولم تجتمع هذه القبائل على رجل قبل كليب إلا على رجلين هما :عامر العدواني وربيعة بن الحارث أبو كلي).

وعندما قتل (الملك التبع اليمني) عاد كليب بجليلة مرة أخرى إلى القبيلة وتزوجها بعد حين ، لكن أخيها جساس كان شديد الغيرة من كليب ، وكانت جليلة تكره الزير سالم وتحرض أخيه كليب عليه كثيرا ، وبعد عدة سنوات جاءت البسوس أخت الملك التبع للقبيلة ، وتركت ناقتها أمانة عند الجساس أخي جليلة ولم تربطها، وعندما انحل وثاق الناقة تجولت في أرجاء القبيلة حتى رآها كليب وقتلها بالخطأ، وقد أصرت البسوس على استعادة ناقتها ورفضت عرض كليب بمئة ناقة بدلا منها، مما أدى لنشوب الحرب بين بني مرة قوم جساس وبني ربيعة قوم كليب والزير سالم.

وأثناء الحرب اغتنم الجساس الفرصة وترقب لكليب زوج أخته جليلة وقتله أمام عينيها ولكن لم يعلم أحد بذلك غيرها، وعندما علم الزير سالم بمقتل أخيه كليب، وهو في احدى الحانات كعادته حرم الخمر والماء والنساء على نفسه حتى يثأر لأخيه وكان في العشرين من عمره عندما بدأت حرب البسوس بين القبيلتين والتي استمرت أربعين عاما.

***

ـ من أقوال المؤرخين عن زوجته:

زوجة الزير سالم هي (حبيبة المخزومية) ابنة عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة، وله منها (ليلى وهند) تكنى (ام ليلى) و كانت امرأة صارمة قوية كادت ان تطلق الزير اكثر من مرة بسبب غيرتها عليه من مجالسة النساء، وهو من

أكثر رجال العرب وسامة ووجاهة وكما يصفه اهل زمانه انه (مرحاً فاكهاً، طويل باسق، مفتول العضلات ممشوق القد.. قوي البنية، ادعج العينين، معتدل الانف، لحيته عثنون يتعطر بالمسك والبخور ويتودد للنساء الحسناوات) وكانت النساء تعشق مجالسته ومغازلته والاستماع الى شعره وحديثه ونكاته

***

وصية (كليب) للزير سالم كتبها وهو يحتضر:

هديت لك هديه يامهلهل	عشر أبيات تفهمها الذكاه
أول بيت أقوله أستغفرالله	إله العرش لايعبد سواه
وثاني بيت أقول الملك لله	بسط الآرض ورفع السماء
وثالث بيت وصي باليتامى	واحفظ العهد ولاتنسى سواه
ورابع بيت أقول الله اكبر	على الغدار لاتنسى أذاه
وخامس بيت جساس غدرني	شوف الجرح يعطيك النباه
وسادس بيت قلت الزير أخي	شديد البأس قهار العداه
وسابع بيت سالم كون رجال	لآخذ الثأر لاتعطي وناه
وثامن بيت بالك لاتخلي	لاشيخ كبير ولافتاه
وتاسع بيت بالك لاتصالح	وأن صالحت شكوت للاله
وعاشر بيت أن خالفت قولي	فأنا وياك الى قاضي القضاه

***

يقول: وهو ينعي أخاه (كليب):

كُلَيْبٌ لاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَ	إِنْ أَنْتَ خَلَّيْتَهَا فِي مَنْ يُخَلِّيهَا
كُلَيْبٌ أَيُّ فَتَى عِزٍّ وَمَكْرُمَةٍ	تَحْتَ السَّفَاسِفِ إِذْ يَعْلُوكَ سَافِيهَا
نَعَى النُّعَاةُ كُلَيْباً لِي فَقُلْتُ لَهُمْ	مَادَتْ بِنَا الأَرْضُ أَمْ مَادَتْ رَوَاسِيهَا
لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ	وَحَالَتِ الأَرْضُ فَانْجَابَتْ بِمَنْ فِيهَا

***

ويقول أيضا في كليب:

لما نعى الناعي كليباً أظلمتْ ... شمسُ النهارِ فما تريدُ طلوعا
قتلوا كليباً ثم قالوا أرتعوا ... كذبوا لقدْ منعوا الجيادَ رتوعا
كَلاَّ وأنْصابٍ لَنَا عَادِيَّة ... مَعْبُودَة قَدْ قُطِّعَتْ تَقْطِيعا
حتى أبيدَ قبيلةٌ وقبيلةٌ ... وقبيلةٌ وقبيلتينِ جميعا
وتَذُوقَ حَتْفاً آلُ بَكْرٍ كُلُّها ... وتَهُدَّ مِنْهَا سَمْكَهَا الْمَرْفُوعَا
حتّى نَرَى أوْصَالَهُمْ وجَمَاجِماً ... مِنْهُمْ عَلَيْهَا الخَامِعَاتُ وُقُوعا
و نرى سباعَ الطيرِ تنقرُ أعيناً ... وتَجُرَّ أعْضَاءً لَهُمْ وضُلُوعا
والْمُشْرَفِيَّةَ لاَ تُعَرِّجُ عَنْهُمُ ... ضَرْباً يَقُدُّ مَغَافِراً ودُرُوعَا

***

_ أشعار(الزير سالم):

كانت أشعار المهلهل هي وسيلة من وسائل الإثارة على الأخذ بالثأر فقد كان يقيم لأخيه مناحة دائمة في شعره حتى تبقى الفجيعة به حية نابضة يشعر بها أفراد قبيلته كما يشعر بها هو نفسه. ومعظم القصائد التي رثا بها أخاه يصف فيها دموعه وعيونه المتقرحة ويكرر نداءه لأخيه ويذكر مآثره وكرمه وشجاعته .

***

_ ومن قصائدة الجميلة ما يقول:

يقول الزير أبو ليلى المهلهل ... وقلب الزير قاسي مايلينا
وإن لان الحديد ما لان قلبي ... وقلبي من الحديد القاسيينا
تريد أميه أن أصالح ... وما تدري بما فعلوه فينا
فسبع سنين قد مرت علي ... أبيت الليل مغموما حزينا

أبيت الليل أنعي كليبا أقول لعله يأتي إلينا
أتتني بناته تبكي وتنعي تقول اليوم صرنا حائرينا
فقد غابت عيون أخيك عنا وخلانا يتامى قاصرينا
وأنت اليوم يا عمي مكانه

***

ـ ومن أشعاره أيضا:

يقول الزير قهار المواكب رماني الدهر في كل المصائب
فلا تسمع أخي قول الاعادي لآن الضد شورة ليس صائب
يشوروا عليك في الاعادي ليسقونك أخي كأس العواطب
فأهل عليك في رأي وخيم لآن كلامها لاشك كاذب
فاعلم ياأخي في ماجرالي بهذا اليوم في وادي الثعالب
وجدت سبع وسط الغاب دائر كأنة جائع للصيد طالب
فلما شافني حالا أتاني وكشر عن سنانه والمخالب
فصحت علية جاهلية فتقدم ياخي الي هاجم وطالب
حززتة بخنجري فأهوى على وجه الثرى للارض قالب
أتتني بعده لبوة مغيرة فلما شفتها وليت هارب

ـ ويقول:

أهاج قذاء عينيَ الادكارُ هُدوءَ فالدموعُ لها انهمارُ
وصار الليل مشتملاً علينا كأنّ الليلَ ليس له نهارُ
وبتُّ أراقبُ الجوزاء حتى تقارب من أوائلها انحدارُ

أصرفُ مقلتي في إثرِ قومٍ تباينت البلادُ بهم فغاروا
وأبكي والنجومُ مُطلّعات كأن لم تحوها عنّي البحارُ

***

_ وقال في معركة تسمى بالذنائب:

فإن يك بالذنائب طال ليلي فقد أبكي من الليل القصير
فلو نبش المقابر عن كليب فيعلم بالذنائب أي زير

***

_ وهذه القصيدة عندما ذهب الزير لحرب البسوس:

هلموا اليوم نفني ال مرة ولو كانوا ثلاثين كرة
وسيف الهند يقطع في يميني فلا نخشى المهالك والمضرة
فاحموا يابني عمي لظهري فتحظوا بالاماني والمسرة
فكل الناس ترهب من قتالي اذا ما جلت في الميدان كرة
وسوف ابيد جساسا وقومه وأستقيهم من حروبي كاس مرة

***

_ ويقول في قبيلة بكر:

يقول الزير قهار الاعادي انا السبع الجسور بكل وادي
غدا لابد امشي للقاهم واحصد جمعهم يوم الجهاد
واخذ ثارنا من ال بكر واطفي النار من طي الفؤاد

***

_ ومن أشعار الزير ايضا:

يقول الزير ابو ليلى المهلهل أنا لي في الحرب عزما قويا
سباع الغاب خافت من قتالي وتخشاني ولم تقدر علّي

فاذهب يا كليب ولا تبالي واحكم بالقبائل بالسويه
فأن جارت بنو بكر وخابت فلا أترك منهم يا أخي بقيه

***

ـ ويقول الزير سالم:

أثبتُ مرة وَ السيوفُ شواهرٌ وصرفتُ مقدمها إلى همامِ
وبني لجيمٍ قدْ وطأنا وطأة بالخيل خارجة عنِ الأوهامِ
ورجعْنا نجتنيْ القنا في ضُمّرٍ مثلِ الذئاب سريعة الإقدامِ
وسقَيْتُ تَيْمَ اللاتِ كأساً مُرّة كالنارِ شُبّ وقُودُها بضرامِ
وبيوتَ قيسٍ قدْ وطأنا وطأةً فتركنا قيساً غيرَ ذاتِ مقامِ
ولقدْ قتلتُ الشعثمينِ ومالكاً وابْنَ المُسَوّرِ وابْنَ ذاتِ دوامِ
ولقدْ خبطتُ بيوتَ يشكرَ خبطةً أخْوالُنا وهُمُ بَنُو الأعْمامِ
لَيْستْ براجعة لَهُمْ أيامُهُمْ حتَى تزُولَ شَوامِخُ الأعْلامِ

***

ـ ويقول الزير سالم ايضا:

جارَتْ بَنو بكْرٍ ولَمْ يَعْدِلُوا والْمَرْءُ قَدْ يَعْرِفُ قَصْدَ الطّرِيقْ
حلّتْ رِكابُ الْبَغْيِ من وائلٍ في رهطِ جساسٍ ثُقالِ الوسوقْ
يا أيها الجاني على قومهِ ما لمْ يكنْ كانَ لهُ بالخليقْ
جنايةً لمْ يدرِ ما كنهها جَانٍ ولَمْ يُضحِ لَها بالْمُطِيقْ
كقَــاذفٍ يوْمــاً بأجْرامِهِ في هوةٍ ليسَ لها منْ طريقْ
منْ شاءَ ولى النفسَ في مهمةٍ ضنكٍ ولكنْ منْ لهُ بالمضيقْ
إن ركوبَ البحرِ ما لمْ يكنْ ذا مصدرٍ منْ تهلكاتِ الغريقْ
لَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَعْدُ في بَغْيِهِ عدايةَ تخريقُ ريحٍ خريقْ

_ ويقول الزير سالم:

بلا خير في الدنيا وما فيها ... إن انت خليتها من يبقى واليها
الناحر النوق للضيفان يطعمها ... والواهب المئة الحمرا براعيها
اضحت منازل بالخلان قددر ... تبكي كليبا نهارا مع لياليها
كليب ايا فتى زين مكرمة ... تقول خيلا الى خيل تلاقيها
غدرك جساس يا عزي ويا سندي ... وليس جساس من يحسب تواليها

وفاتـــه:

توفي.. عدي بن ربيعة التغلبي الملقب (بالزير سالم) بعد عام الفيل بـــ (٢١سنه) المقابل (لسنة٥٩١ ميلادية) في بلدته الباحة من تهامة في شمال شرق الجزيرة العربية وأطراف العراق والشام..

الخـاتمـة:

لقد عاش العرب قبل الإسلام حياة تقوم على الانتماء للقبيلة والعشيرة وكانت هناك أفكار ومبادئ تؤمن بها القبيلة وتدافع عنها بقوة وعزم؛ منها طاعة شيخ القبيلة وتنفيذ أوامره، ثم حماية الجار، والوفاء بالعهد، وإكرام الضيف والحفاظ على الكرامة والشرف، والتحلي بالشجاعة والصدق، والدفاع عن القبيلة سواء أكانت ظالمة أم مظلومة، والأخذ بالثأر. وحين جاء الإسلام عزّز بعض المفاهيم الحسنة التي تتفق وتعاليمه، وحارب المفاهيم التي تتعارض مع شرعه وأخلاقه كالتعصب القبلي والأخذ بالثأر ومن هذه الأمور ضرورة ردّ الظالم المتجبر والعمل على إصلاحه بالقول أو بالفعل حفاظاً على العدل العزة والكرامة والشرف. نعم محاربة الظالم واجبة والقصاص من الحدود التي بينها الدين الإسلامي لكن مجاوزة الحد بالإسراف وسفك الدماء لا يرضاه عاقل وهذه سمة من سمات الجاهلية.

ولا يسعنا في الختام الا ان نقول نحن جميعا بحاجة إلى أن نقرأ التاريخ ونعي تراثنا وحضارتنا وعيًا سليمًا ونستلهم ما فيه من عبر وعظات كي لا يأتي على أجيالنا زمن تعيش فيه دون حضارة أو تراث فمن ليس له ماض لن يتواجد له بالطبع حاضر يشرف ويفخر له.

(قيس بـــن الملوح)

(الملقب بمجنون ليلى العامرية)

قيس بن الملوح والملقب بمجنون ليلى (٢٤هجري- ٦٤٥ميلادي ٦٨هجري) شاعر غزل عربي.من أهل نجد. عاش في فترة خلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان في القرن الأول من الهجرة في بادية العرب.

هو لم يكن مجنوناً وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلى العامرية التي نشأ معها وعشقها فرفض أهلها ان يزوجوها به، فهام على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش ويتغنى بحبه العذري، فيرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في الحجاز.

وهو أحد القيسين الشاعرين المتيمين والآخر هو قيس بن ذريح "مجنون لبنى". توفي سنة (٦٨هجري الموافق: ٦٨٨ميلادي)، وقد وجد ملقى بين أحجار وهو ميت.. فكان احد القيسين اللذين عشقوا في الحب العزري حتي الموت.. رحمة الله علي القيسين.

***

اسمه ونسبه:

هو: ((قيس بن الملوّح)) بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، العامري الهوازني. أحب قيس ليلى بنت سعد العامري ابنة عمه حيث نشأ معها وتربيا وكبرا سويًا حيث كانا يرعيان مواشي والديهما فأحب أحدهما الآخر فكانا بحق رفيقين في الطفولة والصبا فعشقها وهام حبا بها.

وكما هي العادة في البادية، عندما كبرت ليلى حجبت عنه، وهكذا نجد قيس وقد اشتد به الوجد يتذكر أيام الصبا البريئة ويتمنى لها أن تعود كما كانت لينعم بالحياة جوارها. وهكذا هام قيس على وجهه ينشد الأشعار المؤثرة التي خلدتها ذاكرة الأدب له في حب ابنة عمه ويتغزل بها في أشعاره، ثم تقدم قيس لعمه طالبا يد ليلى بعد أن جمع لها مهراً كبيراً وبذل لها خمسين ناقة حمراء، فرفض أهلها أن يزوجوها إليه، حيث كانت العادة عند العرب تأبى تزويج من ذاع صيتهم بالحب وقد تشبب بها (أي تغزل بها في شعره) .

ولأن العرب قديماً كانت ترى أن تزويج المحب المعلن عن حبه بين الناس عار وفضيحة، وهذه عادة عربية جاهلية ولا تزال هذه العادة موجودة في بعض القرى والبوادي. وقيل: بل رفض الزواج بسبب خلاف وقع بين والد قيس ووالد ليلى حول أموال وميراث، وأن والد ليلى ظن خطأ أن عائلة قيس سرقت أمواله منه ولم يبق معه شيء ليطعم أهله. وإن كان الرأي الأول أرجح وأثبت .

وفي نفس الوقت تقدم لليلى خاطب آخر من ثقيف يدعى ورد بن محمد العُقيلي، وبذل لها عشرًا من الإبل وراعيها، فاغتنم والد ليلى الفرصة وزوجها لهذ الرجل رغمًا عنها. ورحلت ليلى مع زوجها إلى الطائف بعيدا عن حبيبها ومجنونها قيس. ويقال أنه حين تقدم لها الخطيبان قال أهلها : نحن مخيّروها بينكما، فمن اختارت تزوجته، ثم دخلوا إليها فقالوا : والله لئن لم تختار وردًا لنمثلنّ بك، فاختارت وردًا وتزوجته رغماً عنها. فهام قيس على وجهه في البراري والقفار ينشد الشعر والقصيد ويأنس بالوحوش ويتغنى بحبه العذريّ، فيُرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في أطراف الحجاز يهيم على وجهه وينشد شعره في ليلى .

_ من أشعاره التي قالها في ليلى:

أليس الليل يجمعني وليلى ... كفاك بذاك فيه لنا تداني
ترى وضح النهار كما أراه ... ويعلوها النهار كما علان

_ ويقول أيضا :

ومن بعد أن كنا نطافاً وفي المهد ... تعلق روحي روحها قبل خلقنا
من الجمر قيد الرمح لأحترق الجمر ... هل الوجد إلا أن قلبي لو دنا
وفي الحق أني مغرم بك هائم ... فإن كنت مطبوباً فلا زلت هكذا
وأنك لا خل هواك ولا خمر ... وإن كنت مسحوراً فلا برأ السحرا

***

_ ويقول:

أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني ... اليوم من بين الوحوش صديق
ويا شبه ليلى أقصر الخطو ... إنني بقربك إن ساعفتني لخليق

***

_ ويقول :

لئن كان يا ليلى اشتياقي ... إليكم ضلالاً وفي برئي
لأهلك حوبفما تبت من ذنب ... إذا تبت منكمو ما الناس إلا مخطئ
ومصيب فلا النفس يسليها البعاد ... فتتثني ولا هي عما لا تنال تطيب

- ويقول :

وقالوا لو تشاء سلوت عنـــها فقلتُ لهمْ فاتّـــي لا أشَاءُ
وكيف وحبُها علِـــقٌ بقلْـبي كما علِقَتْ بِأرْشِـــةَ دِلاءُ
لها حـــب تنـــشأ فـــي فؤادي فليس له وإنْ زُجِرَ انتهاءُ
وعاذلـــــة تقـــــطعني ملاماً وفي زجر العواذل لي بلاء

***

_ ويقول:

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت وأهوى لنفسي أن تهب جنوب
فويلي على العذال ما يتركونني بغمّي، أما في العاذلين لبيبُ
يقولون لو عزيت قلبك لا رعوى فقلْتُ وهلْ للعاشقينَ قُلُوبُ
دعاني الهوى والشوق لما ترنمت هتُوفُ الضُّحَى بيْنَ الغُصُونِ طرُوبُ
تُجَاوبُ وُرْقاً إذْ أصَخْنَ لصوْتِهَا فَكُلٌّ لِكُلٍّ مُسْعِدٌ ومُجِيبُ
فقلت حمام الأيك مالك باكياً أفارقْتَ إلْفاً أمْ جفاكَ حبيبُ
تذكرني ليلى على بعد دارها وليلى قتول للرجال خلوب

***

_ ويقول:

عقرت على قبر الملوح ناقتي بذي الرّمْث لَمّا أنْ جفاهُ أقاربُهْ
فقُلْتُ لها كُوني عقيراً فإنّني غداة غد ماش وبالأمس راكبه
فلا يُبْعِدنْكَ اللّه يابْنَ مُزَاحِمٍ فكُلُّ امْرِىء لِلمَوْتِ لابُدّ شَارِبُه

(ليـــلى العـــامريـــة)

_ اسمهـــا:

ليلى العامرية (ولدت سنة ٢٨ ه في نجد) هي شاعرة عربية من قبيلة هوازن وهي ايضاً ابنة عم قيس بن الملوح وصاحبته وعشيقته ، عاشت في فترة خلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان وعاشت في بادية العرب .

- نسبهـــا:

هي: ليلى بنت مهدي بن سعد بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعده بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعه من هوزان بن منصور بن عكرمة بن خفصه من قيس عيلان وتكنى بأم مالك. قصتها وتربيتها مع ابن عمها قيس: ولدت بعد مجنون بني عامر قيس بأربعة أعوام في بلدة أسمها النجوع وتسمى هذه البلدة اليوم بأسمها وهي عاصمة محافظة الأفلاج بمنطقة الرياض ، وتربت معه وكانا يرعيان مواشي اهلهما معاً فلما كبرت حجبت عنه فأزداد هياماً بها ولم يكن قيساً مجنوناً وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلى العامرية التي نشأ معها وعشقها فرفض أهلها أن يزوجوها به لاشتهار حبهما بين العرب، فهام على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش ويتغنى بحبه العذري، فيرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في الحجاز، إلى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحمل إلى أهله اشعارها.

وقد كانت ليلى تبادله العشق فقالت: في قيس . .

وكل عند صاحبه مكين لانا مظهر للناس بغضا تحدثنا
باحَ مجنونُ عامرٍ بهواهُ وكَتمت الهَوى فمتّ بوَجديا
نَفسي فِداؤك لَو نَفسي ملكت إذاً ما كانَ غيرك يجزيها ويرضيها

وفاة قيس بن الملوح:

توفي قيس بن الملوح سنة(٦٨ هجري.. الموافق ٦٨٨ ميلادي) وجد ملقى بين أحجار وهو ميت، فحُمل إلى أهله. وروي أن امراه من قبيلته كانت تحمل له الطعام إلى البادية كل يوم وتتركه فاذا عادت في اليوم التالي لم تجد الطعام فتعلم انه ما زال حيا وفي أحد الايام وجدته لم يمس الطعام فأبلغت اهله بذلك فذهبوا يبحثون عنه حتي وجدوه في وادي كثير الحصي وقد توفي ووجدوا بيتين من الشعر عند راسه خطهما بأصبعه علي رمال الباديه.

اخر ما قاله من شعر ..

تَوسّدَ أحجارَ المهامهِ والقفرِ ... ومات جريح القلبِ مندملَ الصدرِ

فياليت هذا الحبَّ يعشقُ مرة ... فيعلمَ ما يلقى المُحبُّ من الهجرِ

خاتمة:

يموت دائما الشاعر وتبقي الاشعار والكلمات خالدة في الوجدان ومحفوظة الى الابد على ارفف المكتبة العربية الخالدة .

(الامـــام البوصـــيري)

وقصيدة .. (البردة.. أو الكواكب الدرية في مدح خير البريه)

المديح النبوي:

هو: عبارة عن الشعر الذي يهتم بمدح رسول الإسلام محمد بن عبد الله بتعداد صفاته الخُلُقية والخَلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارته والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته، مع ذكر معجزاته الماديّة والمعنويّة ونظم سيرته شعراً والإشادة بغزواته وصفاته والصلاة عليه تقديراً وتعظيماً. وغالبا ما يتداخل المديح النبوي مع قصائد التصوف وقصائد المولد النبوي .

وتعرف المدائح النبوية كما يقول زكي مبارك بأنها: «فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص ظهر المديح النبوي مبكراً مع مولد رسول الإسلام محمد بن عبد الله، وأذيع بعد ذلك مع انطلاق الدعوة الإسلامية وشعر الفتوحات الإسلامية إلى أن ارتبط بالشعر الصوفي مع ابن الفارض وغيره. ولكن هذا المديح النبوي لم ينتعش ويزدهر ويترك بصماته إلا مع الشعراء المتأخرين وخاصة مع الشاعر البوصيري في القرن السابع الهجري.

وهناك اختلاف بين الباحثين حول نشأة المديح النبوي، فهناك من يقول بأنه إبداع شعري قديم ظهر مع الدعوة النبوية والفتوحات الإسلامية مع الصحابة حسان بن ثابت الملقب ب "شاعر الرسول" والذي كان ينصب له منبراً يلقي فيه الشعر والمديح، وكعب بن مالك وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة. وهناك من يذهب إلى أن هذا المديح فن مستحدث لم يظهر إلا في القرن السابع الهجري مع الشاعر البوصيري في قصيدته البردة.

اسمـــــه:

محمد بن سعيد بن حماد بن عبدالله الصنهاجي البوصيري .

***

مولـــــده:

ولد عام ٦٠٨ هجري الموافق ١٢١٢ ميلادي بقرية (دلاص) احدي قري بني سويف في صعيد مصر وترجع اصوله الي احدي قبائل البربر التي استوطنت جنوب المغرب. وقد نشاء البوصيري وترعرع بقريه (بوصير) والتي استمد منها لقبه.

حفظ البوصيري القران الكريم في طفولته ونظم الشعر وهو صغير واتجه الي كتابة قصائد مغلفه بالطابع الديني والمديح النبوي ..وكانت قصائده بمثابة مدرسه لشعراء المدائح النبوية.. وامتاز شعر البوصيري بالرصانة والجذاله.. واجاد استعمال البديع والبيان. وغلبت علي قصائده المحسنات البديعية. وكان من تلاميذ: ابي العباس المرسى صاحب المقام المعروف بمدينة الاسكندرية. برزت قصائد عده في ادب النبوة مدحا وتعظيما لرسول الله صلي الله عليه وسلم.. ولعل ابرز تلك القصائد ((ثلاثية البردة)) وهي : بردة كعب بن زهير وبردة الامام البوصيري وبردة احمد شوقي.

وكلها تنطلق من التكريم والتعظيم لبردة الرسول التي خلعها علي اول هؤلاء الشعراء.. وقد صنفت بردة البوصيري علي انها افضل قصائد المدح في خير خلق الله محمد صلي الله عليه وسلم .

سبب نظم القصيدة:

ويقول البوصيري عن سبب نظمه لهذه القصيدة: بعد ان داهمني الفالج.. وهو (الشلل النصفي) قررت ان اكتب قصيده اتقرب بها الي الله عز وجل فأخذت بنظم هذه القصيدة في مدح خير البريه وتوجهت بها الي الله بالدعاء .. توسلت ونمت فرأيت النبي صلي الله عليه وسلم فمسح علي وجهي بيده الكريمة المباركة والقي علي ببردته فوجدتني ابراء من (الفالج).. وقد شفاني الله ببركة الدعاء والتوسل الي الله ومدح نبيه الكريم صلي الله عليه وسلم .

قصيدة البردة أو قصيدة البُرأة أو الكواكب الدريّة في مدح خير البرية، أحد أشهر القصائد في مدح النبي محمد (صل الله عليه وسلم)، كتبها محمد بن سعيد البوصيري في القرن السابع الهجري الموافق القرن الحادي عشر الميلادي. وقد أجمع معظم الباحثين على أن هذه القصيدة من أفضل وأعجب قصائد المديح النبوي إن لم تكن أفضلها، حتى قيل: إنها أشهر قصيدة مدح في الشعر العربي بين العامة والخاصة. وقد انتشرت هذه القصيدة انتشارًا واسعًا في البلاد الإسلامية، يقرأها بعض المسلمون في معظم بلاد الإسلام كل ليلة جمعة. وأقاموا لها مجالس عرفت ب مجالس البردة الشريفة، أو مجالس الصلاة على النبي. يقول الدكتور زكي مبارك: «البوصيري بهذه البردة هو الأستاذ الأعظم لجماهير المسلمين، ولقصيدته أثر في تعليمهم الأدب والتاريخ والأخلاق، فعن البردة تلقى الناس طوائف من الألفاظ والتعابير غنيت بها لغة التخاطب، وعن البردة عرفوا أبوابًا من السيرة النبوية، وعن البردة تلقوا أبلغ درس في كرم الشمائل والخلال. وليس من القليل أن تنفذ هذه القصيدة بسحرها الأخاذ إلى مختلف الأقطار الإسلامية.

قصيدة (البرده) للامام البوصيري في مدح خير خلق:

أمنْ تذكر جيرانٍ بذى سلمٍ ... مزجْتَ دمعا جرَى من مقلةٍ بدمِ

أمْ هبَّتِ الريحُ منْ تلقاءِ كاظمةٍ ... وأومض البرق في الظّلْماءِ من إضمِ

فما لعينيك إن قلت اكْفُفا هَمَتا ... وما لقلبك إن قلت استفق يهمِ

أيحسب الصبُ أنّ الحب منكتمٌ ... ما بين منسجم منه ومضْطَرمِ

لولا الهوى لم ترق دمعاً على طللٍ ... ولا أرقْتَ لذكر البانِ والعَلَمِ

فكيف تنكر حباً بعد ما شهدتْ به ... عليك عدول الدمع والسقمِ

وأثبت الوجدُ خطّيْ عبرةٍ وضنىً ... مثل البهار على خديك والعنمِ

نعمْ سرى طيفُ منْ أهوى فأرقني ... والحب يعترض اللذات بالألمِ

يا لائمي في الهوى العذري معذرةً ... مني إليك ولو أنصفت لم تلمِ

عدتكَ حالي لا سرّي بمستترٍ ... عن الوشاةِ ولا دائي بمنحسمِ

محضْتني النصح لكن لست أسمعهُ ... إن المحب عن العذال في صممِ

إني اتهمت نصيحَ الشيبِ في عذلٍ ... والشيبُ أبعدُ في نصح عن التهمِ

فإنّ أمارتي بالسوءِ ما اتعظتْ ... من جهلها بنذير الشيب والهرمِ

ولا أعدتْ من الفعل الجميل قرى ... ضيفٍ ألمّ برأسي غير محتشمِ

لو كنتُ أعلم أني ما أوقرُه ... كتمتُ سراً بدا لي منه بالكتمِ

منْ لي بردّ جماحٍ من غوايتها ... كما يُردُّ جماحُ الخيلِ باللُّجُمِ

فلا ترمْ بالمعاصي كسرَ شهوتها ... إنّ الطعام يقوي شهوةَ النّهمِ

والنفسُ كالطفل إن تُهْمله شبَّ على ... حب الرضاعِ وإن تفطمهُ ينفطمِ

فاصرفْ هواها وحاذر أن تُوليهُ ... إن الهوى ما تولّى يُصْمِ أو يَصِمِ

وراعها وهي في الأعمالِ سائمةٌ ... وإنْ هي استحلتِ المرعى فلا تُسِمِ

كمْ حسنتْ لذةً للمرءِ قاتلةً ... من حيث لم يدرِ أنّ السم في الدسمِ

واخش الدسائس من جوعٍ ومن شبعٍ ... فرب مخمصةٍ شر من التخمِ

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأتْ ... من المحارم والزمْ حمية الندمِ
وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإنْ هما محضاك النصح فاتّهمِ
ولا تطعْ منهما خصماً ولا حكماً ... فأنت تعرفُ كيدَ الخصم والحكمِ
أستغفرُ الله من قولٍ بلا عملٍ ... لقد نسبتُ به نسلاً لذي عُقمِ
أمرْتك الخيرَ لكنْ ما ائتمرْتُ به ... وما استقمتُ فما قولي لك استقمِ
ولا تزودتُ قبل الموت نافلةً ... ولم أصلِّ سوى فرضٍ ولم اصمِ
ظلمتُ سنةَ منْ أحيا الظلام إلى ... إن اشتكتْ قدماه الضرَّ من ورمِ
وشدَّ من سغبٍ أحشاءه وطوى ... تحت الحجارة كشْحاً مترف الأدمِ
وراودتْه الجبالُ الشمُّ من ذهبٍ ... عن نفسه فأراها أيما شممِ
وأكدتْ زهده فيها ضرورتُه ... إنَّ الضرورة لا تعدو على العصمِ
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورةٌ ... منْ لولاه لم تُخْرجِ الدنيا من العدمِ
محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين ... من عُرْبٍ ومنْ عجمِ
نبينا الآمرُ الناهي فلا أحدٌ ... أبرَّ في قولٍ لا منه ولا نعمِ
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته ... لكل هولٍ من الأهوال مقتحمِ
دعا إلى الله فالمستمسكون به ... مستمسكون بحبلٍ غير منفصمِ
فاق النبيين في خَلق وفي خُلق ... ولم يدانوه في علمٍ ولا كرمِ
وكلهم من رسول الله ملتمسٌ غرفاً ... من البحر أو رشفاً من الديمِ
وواقفون لديه عند حدهم من ... نقطة العلم أو من شكلة الحكمِ
فهو الذي تم معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيباً بارئُ النسمِ
منزهٌ عن شريكٍ في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسمِ
دعْ ما ادعتْهُ النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكمِ
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظمِ
فإن فضل رسول الله ليس له ... حدٌّ فيعرب عنه ناطقٌ بفمِ

لو ناسبت قدره آياته عظماً ... أحيا اسمه حين يدعى دارسَ الرمم
لم يمتحنا بما تعيا العقولُ به ... حرصاً علينا فلم نرْتبْ ولم نهم
أعيا الورى فهمُ معناه فليس يُرى ... في القرب والبعد فيه غير مُنْفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعُدٍ ... صغيرةً وتُكلُّ الطرفَ من أمم
وكيف يُدْرِكُ في الدنيا حقيقته ... قومٌ نيامٌ تسلوا عنه بالحُلُم
فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ ... وأنه خيرُ خلق الله كلهم
وكلُّ آيٍ أتى الرسل الكرام بها ... فإنما اتصلتْ من نوره بهم
فإنه شمسُ فضلٍ هم كواكبُها ... يُظْهِرنَ أنوارَها للناس في الظُلَم
أكرمْ بخَلْق نبيٍّ زانه خُلُقٌ ... بالحسن مشتملٍ بالبشر متّسم
كالزهر في ترفٍ والبدر فيشرفٍ ... والبحر في كرمٍ والدهر في هِمَم
كأنه وهو فردٌ من جلالته ... في عسكرٍ حين تلقاه وفي حشم
كأنما اللؤلؤ المكنون في صدفٍ ... من معْدِنَي منطق منه ومبْتَسم
لا طيبَ يعدلُ تُرباً ضم أعظُمَهُ ... طوبى لمنتشق منه وملتثمعليه وسلم
أبان مولدُه عن طيب عنصره ... يا طيبَ مبتدأ منه ومختتم
يومٌ تفرّس فيه الفرس أنهمُ ... قد أُنذِروا بحلول البؤْس والنقم
وبات إيوان كسرى وهو منصدعٌ ... كشملِ أصحاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدةُ الأنفاسِ من أسفٍ ... عليه والنهرُ ساهي العين من سدم
وساءَ ساوه أنْ غاضت بحيرتُها ... وردَّ واردُها بالغيظ حين ظمي
كأنّ بالنار ما بالماء من بلل ... حزْناً وبالماء ما بالنار من ضَرم
والجنُّ تهتفُ والأنوار ساطعةٌ ... والحق يظهرُ من معنىً ومن كَلِم
عَموا وصمّوا فإعلانُ البشائر لم ... تُسمعْ وبارقةُ الإنذار لم تُشم
من بعد ما أخبر الأقوامَ كاهِنُهُمْ ... بأن دينَهم المعوجَّ لم يقم
وبعد ما عاينوا في الأفق من شُهُب ... منقضّةٍ وفق ما في الأرض من صنم

حتى غدا عن طريق الوحي منهزمٌ ... من الشياطين يقفو إثر مُنهزمِ
كأنهم هربًا أبطالُ أبرهةٍ ... أو عسكرٌ بالحَصَى من راحتيه رُمِي
نبذاً به بعد تسبيحٍ ببطنهما ... نبذَ المسبّح من أحشاء ملتقم وسلم
جاءتْ لدعوته الأشجارُ ساجدةً ... تمشى إليه على ساقٍ بلا قدمِ
كأنّما سطّرتْ سطراً لما كتبتْ ... فروعُها من بديعِ الخطِّ في اللّقَمِ
مثلُ الغمامة أنّى سار سائرةً ... تقيه حرّ وطيسٍ للهجير حَمِى
أقسمْتُ بالقمر المنشق إنّ له ... من قلبه نسبةٌ مبرورة القسمِ
وما حوى الغار من خيرٍ ومن كرمٍ ... وكلُّ طرفٍ من الكفار عنه هي
فالصِّدْقُ في الغار والصِّدّيقُ لم يرِما ... وهم يقولون ما بالغار من أرمِ
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت ... على خير البرية لم تنسُج ولم تحُمِ
وقايةُ الله أغنتْ عن مضاعفةٍ ... من الدروع وعن عالٍ من الأطمِ
ما سامنى الدهرُ ضيماً واستجرتُ ... به إلا ونلتُ جواراً منه لم يُضَمِ
ولا التمستُ غنى الدارين من يده ... إلا استلمت الندى من خير مستلمِ
لا تُنكرِ الوحيَ من رؤياهُ إنّ له ... قلباً إذا نامتِ العينان لم ينَمِ
وذاك حين بلوغٍ من نبوته ... فليس يُنكرُ فيه حالُ مُحتلمِ

***

تبارك الله ما وحيٌ بمكتسبٍ ... ولا نبيٌّ على غيبٍ بمتهمِ
كم أبرأت وصباً باللمس راحتُه ... وأطلقتْ أرباً من ربقة اللممِ
وأحيتِ السنةَ الشهباء دعوته ... حتى حكتْ غرّةً في الأعصر الدُهُمِ
بعارضٍ جاد أو خلّتُ البطاحَ بها ... سَيْبٌ من اليمّ أو سيلٌ من العَرِمِ
دعْنى ووصفيَ آياتٍ له ظهرتْ ... ظهورَ نارِ القرى ليلاً على علمِ
فالدُّرُّ يزداد حسناً وهو منتظمٌ ... وليس ينقصُ قدراً غير منتظمِ
فما تطاولُ آمالِ المديح إلى ما فيه ... من كرم الأخلاق والشِّيَمِ

آياتُ حق من الرحمن مُحدثةٌ ... قديمةٌ صفةُ الموصوف بالقدمِ

لم تقترنْ بزمانٍ وهي تُخبرنا ... عن المعادِ وعن عادٍ وعن إرَمِ

دامتْ لدينا ففاقت كلَّ معجزةٍ ... من النبيين إذ جاءت ولم تدمِ

محكَماتٌ فما تُبقين من شبهٍ ... لذى شقاقٍ وما تَبغين من حكَمِ

ما حُوربتْ قطُّ إلا عاد من حَرَبٍ ... أعدى الأعادي إليها ملْقِيَ السلَمِ

ردَّتْ بلاغتُها دعوى معارضِها ... ردَّ الغيورِ يدَ الجاني عن الحُرَمِ

لها معانٍ كموج البحر في مددٍ ... وفوق جوهره في الحسن والقيمِ

فما تعدُّ ولا تحصى عجائبها ... ولا تسامُ على الإكثار بالسأمِ

قرّتْ بها عين قاريها فقلتُ له ... لقد ظفِرتَ بحبل الله فاعتصمِ

إن تتلُها خيفةً من حر نار لظى ... أطفأتَ حر لظى منْ وردها الشّبِمِ

كأنها الحوض تبيضّ الوجوه به ... من العصاة وقد جاؤوه كالحُمَمِ

وكالصراط وكالميزان معْدلةً ... فالقسطُ من غيرها في الناس لم يقمِ

لا تعجبنْ لحسودٍ راح ينكرها ... تجاهلاً وهو عينُ الحاذق الفهمِ

قد تنكرالعينُ ضوءَ الشمس من رمد ... وينكرُ الفمُ طعمَ الماءِ من سقمِعليه وسلم

يا خير من يمم العافون ساحتَه ... سعياً وفوق متون الأينُق الرُّسُمِ

ومنْ هو الآيةُ الكبرى لمعتبرٍ ... ومنْ هو النعمةُ العظمى لمغتنمِ

سريْتَ من حرمٍ ليلاً إلى حرمٍ ... كما سرى البدرُ في داجٍ من الظلمِ

وبتَّ ترقى إلى أن نلت منزلةً ... من قاب قوسين لم تُدركْ ولم تُرَمِ

وقدمتْكَ جميعُ الأنبياء بها ... والرسلِ تقديمَ مخدومٍ على خدمِ

وأنت تخترقُ السبعَ الطباقَ بهم ... في موكب كنت فيه صاحب العلمِ

حتى إذا لم تدعْ شأواً لمستبقٍ ... من الدنوِّ ولا مرقىً لمستنمِ

خفضْتَ كلَّ مقامٍ بالإضافة إذ ... نوديت بالرفْع مثل المفردِ العلمِ

كيما تفوزَ بوصلٍ أيَّ مستترٍ ... عن العيون وسرٍ أيَّ مكتتمِ

فُحزتَ كل فخارٍ غير مشتركٍ ... وجُزْتَ كل مقامٍ غير مزدحَمِ

وجلّ مقداراً ما وُلّيتَ من رُتبٍ ... وعزّ إدراكٌ ما أوليتَ من نِعَمِ

يشرى لنا معشرَ الإسلام إنّ لنا ... من العناية ركناً غير منهدمِ

راعتْ قلوبَ العدا أنباءُ بعثته ... كنُبْأةٍ أجفلتْ غُفْلا من الغَنَمِ

ما زال يلقاهمُ في كل معتركٍ ... حتى حكوا بالقَنا لحماً على وضَمِ

ودّوا الفرار فكادوا يَغبِطُون به ... أشلاءَ شالتْ مع العِقْبان والرّخَمِ

تمضي الليالي ولا يدرون عدّتَها ... ما لم تكنْ من ليالي الأشهر الحُرُمِ

كأنما الدينُ ضيفٌ حل ساحتهم ... بكل قَرْمٍ إلى لحم العدا قَرِمِ

يَجُرّ بحرَ خَميسٍ فوقَ سابحةٍ ... يرمي بموجٍ من الأبطال ملتَطِمِ

من كل منتدب لله محتسبٍ ... يسطو بمستأصلٍ للكفر مُصْطَلِمِ

حتى غدتْ ملةُ الإسلام وهي بهمْ ... من بعد غُربتها موصولةَ الرّحِمِ

مكفولةً أبداً منهمْ بخير أبٍ ... وخير بعْلٍ فلم تيتمْ ولم تَئِمِ

همُ الجبال فسلْ عنهم مصادمهم ... ماذا رأى منهمُ في كل مصطدمِ

وسلْ حُنيناً وسل بدراً وسل أُحداً ... فصولُ حتفٍ لهم أدهى من الوخمِ

المُصْدِرِي البيضِ حُمراً بعد ما وردتْ ... منَ العدا كلّ مسودٍّ من اللِمَمِ

والكاتبين بسُمْرِ الخطّ ما تركتْ ... أقلامُهمْ حرْفَ جسمٍ غيرَ مُنْعجِمِ

شاكي السلاحِ لهم سيما تميزُهمْ ... والوردُ يمتازُ بالسيما عن السَلَمِ

تُهْدى إليك رياحُ النصرِ نشْرهمْ ... فتحسبُ الزهرَ في الأكمام كل كمِى

كأنهمْ في ظهور الخيل نَبْتُ رُبًا ... منْ شِدّة الحَزْمِ لا من شدّة الحُزُمِ

طارتْ قلوبُ العدا من بأسهمْ فرقاً ... فما تُفرّقُ بين الْبُهْمِ والْبُهمِ

ومن تكنْ برسول الله نُصرتُه ... إن تلقَهُ الأسدُ في آجامها تجِمِ

ولنْ ترى من ولي غير منتصرٍ ... به ولا من عدوّ غير منقصمِ

أحلّ أمتَه في حرْز ملّته ... كالليث حلّ مع الأشبال في أجَمِ

كم جدّلتْ كلماتٌ الله من جدلٍ ... فيه وكمْ خَصَمَ البرهانُ من خَصِمِ

خدْمتُه بمديحٍ استقيلُ به ... عمرٍ مضى في الشعر والخِدَمِ

إذْ قلّداني ما تُخْشى عواقبُه ... كأنني بهما هدْيٌ من النَعَمِ

أطعتُ غيَّ الصبا في الحالتين وما ... حصلتُ إلاّ على الآثام والندمِ

في الخسارةِ نفسٍ في تجارتها ... لم تشترِ الدين بالدنيا ولم تَسُمِ

ومن يبعْ آجلاً منه بعاجلهِ ... يَبِنْ له الغَبْنُ في بيعٍ وفي سَلَمِ

إنْ آتِ ذنباً فما عهدي بمنتقض ... من النبي ولا حبلي بمنصرمِ

فإنّ لي ذمةً منه بتسميتي ... محمداً وهو أو في الخلق بالذِمَمِ

إن لّم يكن في معادي آخذاً بيدي ... فضلاً وإلا فقلْ يا زلةَ القدمِ

حاشاه أن يحرمَ الراجي مكارمه ... أو يرجعَ الجارُ منه غير محترمِ

ومنذُ ألزمتُ أفكاري مدائحه ... وجدتُهُ لخلاصي خيرَ مُلتزمِ

ولن يفوتَ الغنى منه يداً تَربتْ ... إنّ الحيا يُنْبتُ الأزهارَ في الأكَمِ

ولمْ أردْ زهرةَ الدنيا التي اقتطفتْ بدا ... زُهيرٍ بما أثنى على هَرِمِ الحاجات

يا أكرمَ الخلق ما لي منْ ألوذُ به ... سواك عند حلول الحادثَ العَمِمِ

ولن يضيق رسولَ الله جاهُك بي ... إذا الكريمُ تجلّى باسم منتقمِ

فإنّ من جودك الدنيا وضرّتَها ... ومن علومك علمَ اللوحِ والقلمِ

يا نفسُ لا تقنطي من زلةٍ عظمتْ ... إنّ الكبائرَ في الغفران كاللممِ

لعلّ رحمةَ ربي حين يقسمها ... تأتي على حسب العصيان في القِسمِ

يارب واجعلْ رجائي غير منعكسٍ ... لديك واجعل حسابي غير منخرمِ

والطفْ بعبدك في الدارين إن له ... صبراً متى تدعُهُ الأهوالُ ينهزمِ

وائذنْ لسُحب صلاةٍ منك دائمةٍ ... على النبي بمُنْهلّ ومُنْسَجِمِ

ما رنّحتْ عذباتِ البان ريحُ صباً ... وأطرب العيسَ حادي العيسِ بالنغمِ

ثم الرضاعن أبي بكرٍ وعن عمرٍ ... وعن عليٍ وعن عثمانَ ذي الكرمِ

والآلِ والصّحْبِ ثمّ التّابعين فهُمْ أهل التقى والنّقا والحِلم والكرمِ
يا ربِّ بالمصطفى بلّغْ مقاصدنا واغفرْ لنا ما مضى يا واسع الكرم
واغفر إلهى لكل المسلمين بما يتلوه فى المسجد الأقصى وفى الحرم
وبجاه من بيْتُهُ في طيبة حرمٌ وإسمُهُ قسمٌ من أعظم القسم
وهذه بردةُ المختار قد خُتمتْ والحـــمد لله فـــي بدءٍ وفى ختـــم

رحم الله الامام البوصيري..وادخله عوالي جنته
وصلي الله علي سيدنا محمد الي يوم يبعثون .

(أبو فراس الحمداني)

أبو فراس الحمداني الامير الحلبي .. سليل الأسرة الحمدانية ويعدُّ أبو فراس الحمداني واحداً من أبرز الشعراء (العباسيين) الذين اتسمت قصائدهم بالرقي الجمالي وهو شاعر وجداني من الطراز الأول ولاسيما في (رومياته) التي امتزج فيها ذلك الرقي بالحزن والأسى في فترة الاسر ويقول عنه (الثعالبي) كان فرد دهره وشمس عصره اديا وفضلا وكرما وفروسية وشعره يمتاز بالسهولة والجزالة والعذوبه والفخامة .

وكل ما تبقى لأبي فراس من الشهرة والصيت في كتب التاريخ والمراجع الادبية لا يرتبط بانه كان بطلاً فارسا او قائدا يسوق الجيوش في الحرب والمعارك بل تبقى لأنه كان شاعرا من كبار شعراء العرب و بني حمدان وطارت شهرته في الآفاق حتى قال عنه (صاحب بن عباد) ((بدا الشعر بملك وختم بملك)) يعني بالملك الاول (امرؤ القيس) واما عن الملك الثاني فهو شاعرنا (ابا فراس الحمداني) ويحتوي ديوانه احبتي على اشهر فنون الشعر التقليدية المتعارف عليها وتخلوا من فنون المدح التكسبي وما كان له حاجة الى التكسب في شعره كونه كان اميرا كما كان ابن عم سيف الدولة الامير الذي كان يقصدونه الشعراء ويتوافدون عليه من كل حدب وصوب .

***

اسمه ومولده:

اسمه الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني وأبو فراس كنيته وُلد عام ٣٢٠ هجري في بلدة ((منبج)) بسوريا من أسرة (الحمدانيين) وهي أسرة عربية حكمت شمال سوريا والعراق وكانت عاصمتهم (حلب) بسوريا في القرن العاشر الميلادي .

نشأتـــه:

نشأ (ابا فراس) في كنف ابن عمه وزوج أخته سيف الدولة الحمداني في حلب بعد أن قتل ناصر الدولة أباه سعيد بن حمدان وهو مازل في الثالثة من عمره فنشأ عنده كريماً عزيزاً وولاه بلدة (منبج) من أعمال الشام بالقرب من حلب كما صحبه في حربه ضد الروم وقام سيف الدولة برعاية أبي فراس فترعرع(أبو فراس) في كنف ابن عمه سيف الدولة في حلب بعد موت والده باكراً فشب فارساً شاعراً وراح يدافع عن إمارة ابن عمه ضد هجمات الروم ويحارب الدمستق قائدهم وفي أوقات السلم كان يشارك في مجالس الأدب فيذاكر الشعراء وينافسهم ثم ولاه سيف الدولة مقاطعة منبج فأحسن حكمها والذود عنها.

درس (ابو فراس) الأدب وتعلم الفروسية وما هو الا ان يقوى ساعده في الشعر وفنونه فيعجب به سيف الدولة المحب للادب والفنون فميزه واصطفاه لنفسه ويذكر ان سيف الدولة كان في مجلس مع جماعة من الشعراء فقال سيف الدولة بيتا من الشعر فاجازه (ابو فراس) فاعطاه سيف الدولة ضيعة من ضواحي بلدة (منبج) حتى اذا بلغ السادسة من عمره قلده (منبج) وحران واعمالهما جميعا وفي (منبج) سجل ابو فراس على الروم نصرا بعد نصر وسقطت في عهده الحصون .

الحمدانيين:

كان ظهور(الحمدانيين) في فترة ضعف العنصر العربي في جسم الخلافة العباسية وهزيمة الفرس والترك. فباشر الحمدانيون الحروب لدعم حكمهم وترسيخ سلطتهم فاحتل عبد الله والد سيف الدولة الحمداني وعم (ابو فراس) بلاد الموصل وبسط سلطة بني حمدان على شمال سوريا بما فيها عاصمة الشمال حلب وما حولها

وتملك سيف الدولة حمص ثم حلب حيث أنشأ بلاطاً جمع فيه الكتاب والشعراء واللغويين في دولة عاصمتها حلب فقد كان لعنصر العروبة الذي يتمتع به الحمدانيون وامجادهم السالفة من اهم عوامل الفخر التي عززت ثقة ابي فراس فنشا معتزا بنفسه وذاته .. فخورا بقبيلته اذ نراه يقول فخرا:

((اني امرؤ بني حمدان مفتخر ** خير البرية اجداد واسلافا))

ثم يضيف في الفخر بنسبة فيقول:

واذا فخرت فخرت بالشم الالي شادوا المكارم من بني حمدان

نحن الملوك بنو الملوك اولي العلا ومعادن السادات من عدنان

والمجد يعلم اننا اركانه والبيت معتمد على الاركان

فهذه الابيات لها دلالة صارخه فيما يشعر به (ابو فراس) من العزه والفخر بالنسب ومكانتهم بين القبائل.

(سيف الدولة الحمداني) هو: علي ابن أبو الهيجاء ابن حمدان ابن الحارث سيف الدولة التغلبي المعروف باللقب الأكثر شيوعا (سيف الدولة العباسية) هو مؤسس إمارة حلب التي تضم معظم شمال سوريا وأجزاء من غرب الجزيرة و أخ لحسان ابن عبدالله (المعروف بناصر الدولة الحمداني وجمع من حوله من الأدباء الكثير بما فيهم(أبو الطيب المتنبي) الذي ساعد في ضمان شهرته للأجيال القادمة وكان راعياً للفنون والعلماء فتزاحم على بابه في حلب الشُعراء والعُلماء والأدباء والمفكرون ففتح لهم بلاطه وخزائنه حتى كانت له عملة خاصة يسكها للشعراء من مادحيه وفيهم المتنبي وابن خالويه النحوي المشهور والفارابي الفيلسوف الشهير كما اعتنى بأبن عمه وأخو زوجته (أبو فراس) الحمداني شاعر حلب وقال هو نفسه الشعر وله أبيات جيدة أصبحت عاصمة دولته حلب مقصدا لكافة العلماء والشعراء العرب في هذه الفترة من حكم سيف الدولة.

الحرب الحمدانية الرومية:

انتصر (الحمدانيين) أكثر من مرة في معارك كر وفر وبعد توقف لفترة من الزمن عاد القتال بينهم (بين الحمدانين وبين الروم) الذين أعدوا جيشاً كبيراً وحاصروا أبا فراس في منبج وبعد مواجهات وجولات كر وفر سقطت قلعته سنة (٣٥٠ هجرية) ووقع أسيراً وحُمل إلى (القسطنطينية).. وقد وجه الشاعر جملة رسائل إلى ابن عمه في حلب، فيها يتذمر من طول الأسر وقسوته، ويلومه على المماطلة في افتدائه.

الروايات التي قيلت عن اسر الامير الشاعر:

في ذات يوم كان (أبو فراس) عائدا من الصيد مع قلة من اصحابه لا يتجاوزون السبعين رجلا فباغته الروم في قرابة الف رجل تحت قيادة القائد (تيودور) فدافع الشاعر وقاوم حتى اثخن بالجراح اختلفت الروايات حول السنة التي أسر فيها (ابو فراس) وتباينت عدد المرات فيروي فابن خلكان ويقول أن أبا فراس أسر مرتين المرة الأولى كانت سنة ٣٤٨ه وقع فيها جريحا فأخذ إلى خرشه في مغارة الكحل وهي قلعة ببلاد الروم يجري نهر الفرات بجانبها ويقال أنه أخذ فرساً في القلعة وقفز به من أعلى الحصن إلى النهر بينما يروي (ابن خالوية) أن الامير الشاعر أسر مرة واحدة وكانت سنة ٣٥١ه ويؤيد هذا الرأي(الثعالبي) وهذا هو المتفق عليه بحكم معاصرتها له فلو أسر قبل ذلك.. وخلّص نفسه بتلك الطريقة الأسطورية لذكر هذا في شعره وفخر به فخراً شديداً.

ويبدو أن إمارة حلب كانت في تلك الحقبة تمر بمرحلة صعبة لفترة مؤقتة فقد قويت شوكة الروم وتقدم جيشهم بقيادة (نقفور) مكتسح الإمارة واقتحم عاصمتها حلب فتراجع سيف الدولة واعاد سيف الدولة قوته ترتيب وتجهيز وهاجم الروم في سنة ٣٥٤ هجري وهزمهم وانتصر عليهم واستعاد إمارته وملكه في حلب واسر اعدادا يسيرة من الروم وأسرع إلى افتداء أسراه ومنهم ابن عم (أبو فراس) وذلك

بعد انتصاره على الروم ولم يكن أبو فراس يتبلغ أخبار ابن عمه فكان يتذمر من نسيانه له ويشكو الدهر ويرسل القصائد المليئة بمشاعر الألم والحنين إلى الوطن فتتلقاها أمه باللوعة حتى توفيت قبل عودة وحيدها حسرة عليه.

ما هي ((الروميات))..؟؟

الروميات هي: قصائد كتبها ونظمها الشاعر أبو فراس الحمداني في سجن الروميات عندما سجنه الروم ظلما.

وقد ضمها خلجات نفسه وحزنه على ماكان له من مكانه وما تمتع به من حريه.. وحنينه الى امه ..وعتبه على سيف الدوله الذي ماطل في افتدائه وتركه في غياهب سجون الاسر .

ومن روميات (ابي فراس) في الأسر ما قال :

أسرت وما صحبى بعزل لدى الوغى ولا فرسى مهر ولا ربه غمر
ولكن إذا حم القضاء على امرىء فليس له بر يقيه ولا بحر
وقال أصيحابى الفرار أو الردى فقلت هما أمران أحلاهما مر
ولكننى أمضـــى لمـــا لا يعيبنى وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

***

لقد ازدان (ابو فراس الحمداني) بالصبر وتحلى به وزادت بواعثه لديه عندما وجد نفسه مقيدا بأغلال الأسر بعد ما كان حرا طليقا فارسا شجاعا تناديه الفوارس عندما يحمى وطيس المعركة فيهب إليها ولا يهدأ له بال إلا لما ترتوي بيض السيوف وصفة الفروسية هذه التي تأصلت في نفس الأمير جعلته يثبت امام المحن ويدفع الخطوب ويؤمن بقضاء الله وقدره.

و كان أبو فراس الحمداني صابرا متجلدا أمام نوائب الدهر وعلى الرغم من أن الصعاب لم تفارقه لحظة من لحظات عمره ويتضح ذلك وفي قوله عندما نزلت به الشدائد.

فيا أمتا لا تعدمي الصبر إنه إلى الخير والنجح القريب رسول
ويا امتا لا تحبطي الأجر أنه على قدر الصبر الجميل جزيل

***

من أشهر قصائده:

تمتاز قصيدتة (أراك عصي الدمع) مقارنة بالقصائد العاطفية الأخرى في الشعر العربي التقليدي بالسهولة النسبية والوضوح في المعاني، ولعل هذا ما جعل أهل الغناء يتناولونها في اعمالهم الفنية وانشد هذه القصيدة عندما كان يفتخر وقد بلغه ان الروم قالت ما اسرنا احداً لم نسلب سلاحه غيرأبي فراس.. **يقول فيها:**

أراكَ عصيَّ الدَّمْعِ شيمتُكَ الصَّبْرُ أما للْهوى نَهْيٌ عليكَ و لا أمْرُ
بَلى أنا مُشْتاقٌ وعندي لَوْعَةٌ ولكنّ مِثْلي لا يُذاعُ لهُ سِرُّ
إذا اللّيلُ أضْواني بسطْتُ يَدَ الهوى وأذْلَلْتُ دمْعاً من خَلائقِهِ الكِبْرُ
تَكادُ تُضيءُ النارُ بين جوانحي إذا هي أذْكَتْها الصّبابَةُ والفِكْرُ
مُعَلّلَتي بالوَصْلِ والموتُ دونَهُ إذا متُّ ظَمْآناً فلا نَزَلَ القَطْرُ
حَفِظْتُ وضَيَّعْتِ المَوَدّةَ بيْنَنا وأحْسَنُ من بعضِ الوَفاءِ لكِ العُذْرُ
وما هذه الأيامُ إلاّ صَحائفٌ لأحْرُفِها من كفِّ كاتِبِها بِشْرُ
بِنَفْسي من الغادينَ في الحيِّ غادَةٌ هَوايَ لها نَدْبٌ وبَهْجَتُها عُذْرُ
تَروعُ إلى الواشينَ فيَّ وإنَّ لي لأُذْناً بها عن كلِّ واشيةٍ وَقْرُ
بَدَوْتُ وأهلي حاضِرونَ لأنَّني أرى أنَّ داراً لستِ من أهلِها قَفْرُ

من البحر ((الطويل))

ويحتوي ديوان(أبي فراس)على الغزل- والفخر- والرثاء- والزهد والوصف والحكم والعواطف والمشاعر المختلفة اما عن غزله فغزله عاطفي عفيف واما عن الفخر فقد رفده شرف اصله النبيل.. وعزة نفسه.. وسمو مكانته.

قال: (في الزهد واجاد)

اما يردع الموت اهل النهى ويمنع عن غيه من غوى
اذا ما مررت باهل القبور تيقنت انك منهم غدا
وان العزيز بها والذليل سواء اذا اسلما للبلى
غريبين مالهما مؤنس وحيدين تحت طباق الثرى
فلا امل غير عفو الاله ولا عمل غير ما قد مضى
فان كان خيرا فخيرا ينال وان كان شرا فشرا يرى

من البحر ((المتقارب))

ويقول فيمتعنا :

ايا قلبي اما تخشع ويا علمي اما تنفع
اما حقي بان انظر للدنيا وما تصنع
اما شيعت امثالي الى ضيق من المضجع
ايا غوثاه يا الله هذا الامر ما افظع

من بحر ((الهزج))

وقال يعزي امراة من اقاربه تواترت عليها مصائب الدنيا:

الا فاصبري لخطوب الزمان وكوني على خطبه صابره
فنقصان حظك في هذه برجحان حظك في الآخره

فما انت في ذاك مغبونة وان ساءت المحن الحاضرة
فصفقة من باع دار البقاء بدار الفناء وهي الخاسرة

من البحر ((المتقارب))

وعندما تاخرت كتب سيف الدوله عن ابي فراس وهو في الاسر وماطل ان يفتديه انشد قائلا:

اسيف العدى وقريع العرب علام الجفاء وفيم الغضب
وما بال كتبك قد اصبحت تنكبني مع هذي النكب
وانت الكريم وانت الحليم وانت العطوف وانت الحدب
ومازلت تسبقني بالجميل وتنزلني بالجناب الخصب

من البحر ((المتقارب))

وبلغه ان هناك اناس من قومه يكرهون خلاصة من الاسر فقال: فيهم:

تمنيتم ان تفقدوني وانما تمنيتم ان تفقدوا العز اصيدا
اما انا اعلى من تعدون همه وان كنت ادنى من تعدون مولدا
وان حاربوا كنت المجن امامهم وان ضاربوا كنت المهند واليدا
وان ناب خطب او المت ملمة جعلت لهم نفسي وما ملكت فدا

من البحر ((الطويل))

ويقول: وهو خير قائل:

لعل خيال العامرية زائر فيسعد مهجور ويسعد هاجر
واني على طول الشماس عن الصبا احن وتصبيني اليك الجاذر
وفي كلتي ذاك الخباء خريدة لها من طعان الدارعين ستائر
تقول اذا ما جئتها متدرعا ازائر شوق انت ام انت ثائر

وقد كنت لا ارضى من الوصل بالرضا ليالي ما بيني وبينك عامر
فلما خلونا يعلـــم الله وحـــده لقد كرمت نجوى وعفت سرائر
وبت يظـــن الـــناس في ظنونهم وثوبي مما يرجم الناس طاهر

من البحر ((الطويل))

غلبت الحسرة على أمه وهو في الاسر فماتت فقال يرثيها:

ايا ام الاسير سقاك غيث بكره منك مالقي الاسير
ايا ام الاسير سقاك غيث تحير لا يقيم ولا يسير
ايا ام الاسير سقاك غيث الى من بالغدا ياتي البشير
ايا ام الاسير لمن تربي وقدمت الذوائب والشعور
اذا ابنك سار في بر وبحر فمن يدعو له او يستجير
وقد ذقت المنايا والرزايا ولا ولد لديك ولا عشير
ليبكيك كل يوم صمت فيه مصابرة وقد حمي الهجير
ليبكيك كل ليل قمت فيه الى ان يبتدي الفجر المنير
ايا اماه كم بشرى بقربي اتتك ودنها الاجـــل القصير

من البحر ((الوافر))

***

أغارة بنو (كلاب) على ولايته فركب حتى لحقهم بموضع يعرف (بخساف) فقاتلهم وهزمهم ورجع وهو يقول:

الا ابلغ سراة (بني كلاب) اذا ندبت نوادبهم صباحا
جزيت سفيههم سوءا يسوء فلا حرجا اتيت ولا جناحا

قتلت معودا علل العشايا تخيرت العبيد له اللقاحا
ولست ارى فسادا في فساد يجر على فريقه صلاحا

من البحر ((الوافر))

***

وقال في بعض نساء بيته وقد شيعها الى الحج:

ايحلو لمن لا صبر ينجده صبر اذا ما انقضى فكر ألم به فكر
اممعنة في العذل رفقا بقلبه ايحمل ذا قلب ولو انه صخر
اطلن عليه اللوم حتى تركنه وساعته شهر وليلته دهر
ومنكرة ما عنيت من شحوبه ولا عجب ما عاينته ولا نكر

من بحر ((الطويل))

***

ويقول متغزلا:

سكرت من لحظه لا من مدامته ومال بالنوم عن عيني تمايله
وما السلاف دهتني بل سوالفه ولا الشمول ازدهتني بل شمائله
الوي بعزمي اصداغ لوين له وغال قلبي ما تحوى غلائله
فبت ليلي مسروراً برؤيته ونلت منه الذي كم كنت آمله

من بحر ((البسيط))

***

وقال يصف احدى الغزوات التي كان مشاركا فيها فانشد:

لا عز الا بالحسام المخذم وضراب كل مدجج مستلئم
وقراع كل كتيبة بكتيبة ولقاء كل عرموم بعرموم

ولقد رضعت من الزمان لبانه وعرفت كل معوج ومقوم
واهنت نفسي للرماح وانه من لم يهن بين القنا لم يكرم

من بحر ((الكامل))

***

ويقول في حزن واسى:

هبه اساء كما زعمت فهب له وارحم تضرعه وذل مقامه
بالله ربك لم فتكت بصبره ونصرت بالهجران جيش سقامه
فرقت بين جفونه ومنامه وجمعت بين نحوله وعظامه

***

وذكر أن هذه الابيات آخر ماقالها من شعر وهو في نزاع الموت الاخير:

أبنيتي لا تجزعي كل الأنام إلى ذهاب
نوحي على بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولـــي إذا كلمـــتني فعييت عن رد الجواب
زين الشباب ابو فراس لـــم يمتع بالشباب

***

وفاتـــــه:

ولما تحرر من أسره حاول ردّ اعتباره واستعادة مجده لكنّ يد الموت كانت أطول وفي معركة غير متكافئة قُتل في مبارزة بينه وبين ابن أخته أبو المعالي بن سيف الدولة سنة (٩٦٨) ميلادي .

شاعر الرباعيات (عمر الخيام)

الرباعيات..هي: نوع من الشعر مشهور في الشعر الفارسي وكانت (نيسابور) هي مسقط راس الخيام في العصر الذي عاش فيه وكان هذا العصر يموج بالتيارات الفكرية والعلمية وكانت مصدراً من مصادر المعرفة. فقد قرّب الحكّام اليهم (الخيّام) لصفاته والأدبية ومكانته العلمية. وعليه تميزت رباعيات الخيام بلغة سلسة سهلة البيان بلا تكلف أو تعقيد تمس صميم حياة البشر دون تمايز بين طبقات المجتمع من عالمها إلى عاميها ومن ثريها إلى فقيرها، فالجميع يشتاق إلى معرفة مصيره ومثواه وخالقه وجدوى حياته.

***

اسمـــــه:

هو: (غياث الدين أبو الفتوح عمر بن إبراهيم الخيام) المعروف بعمر الخيام (١٠٤٨ إلي ١١٣١ للميلاد) وهو شاعر فارسي وعالم في الفلك والرياضيات. ولعلها كُتبت في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي/ ٨٦٥ هجري.

مولـــــده:

ولد (غياث الدين) في نيسابور سنة ١٠٤٨ ميلادية وكان أبوه صانع خيام فاشتقّ اسمه من حرفته فلقب (بالخيام).. ويذهب البعض إلى أنه من أصول عربية

طفولتـــه:

وذكر.. أن عمر الخيام عشق الأدب وذلك بسبب والدته التي كانت تحدثه بصورة مستمرة عن ألف ليلة وليلة لتسليته حين كان طفلاً صغيرا.. فاصبح له خيال خصب ومن بعدها أحب الأدب والشعر.

شيء من حياته:

كان للخيام منزلة اجتماعية وثقافية مرموقة في عصره. وكان ميسور الحال منعم في الديوان الملكي ويقول عنه (الخاقاني) وهو من كبار شعراء القرن السادس في منشآته عن لسان الخيام أنه كان يتقاضى سنوياً من الديوان العالي الملكي مبلغاً وقدره عشرة آلاف دينار. وطبعاً يعتبر هذا المبلغ خيالياً في ذلك العصر والزمان.

وكان يتنقل بين مراكز العلم الكبرى مثل (بخارى وبلخ وأصفهان) رغبة منه في التزود من العلم وتبادل الأفكار مع العلماء. وهكذا صار لعمر بن الخيام الوقت الكافي للتفكير بأمور وأسرار الحياة .

وكان الخيّام متسامحاً يرى أن التسامح هو اللبنة الأولى في بناء الصداقة، كما كان عاشقاً للجمال والحياة والحب.. وأتقن عمر الخيام اللغتين الفارسية والعربية وكتب وألف فيهما، ومؤلفاته المتنوعة والمختلفة في معظم المجالات والمعارف والعلوم.

معنى رباعية الشعر:

الرباعية هي: مقطوعة شعرية من أربعة أبيات تدور حول موضوع معين وتكوّن فكرة تامة.

وفيها إما أن تتفق قافية الشطرين الأول والثاني مع الرابع، أو تتفق جميع الشطور الأربعة في القافية .

وكلمة رباعيات تشير إلى مجموعة من مثل تلك المقطوعات. وتتألف رباعيات عمر الخيام من رباعيات يُفْتَرض أنه ناظمُها، وبمرور السنين الطوال نُسبت إليه أكثر من (٢٠٠٠ رباعية) في حين أن من المعروف على وجه اليقين أنه نظم أقل من (٢٠٠ رباعية) من مجمل الرباعيات التي نسبت اليه. و(رباعية) هي صيغة جمع والتي تشير إلى قالب من قوالب الشعر الفارسي والرباعية مقطوعة

شعرية من أربعة أبيات تدور حول موضوع معين، وتكوّن فكرة تامة. وفيها إما أن تتفق قافية الشطرين الأول والثاني مع الرابع، أو تتفق جميع الشطور الأربعة في القافية

عمر الخيام العالم:

ومالا نعرفه عن عمر الخيام انه من اكبر علماء الرياضيات في عصره وقد اشتهر بعلم الجبر واشتغل في تحديد التقويم السنوي للسلطان (ملك شاه) حفيد السلطان (الب ارسلان). فهو أوّل من اخترع طريقة حساب المثلّثات والمعادلات الجبرية من الدرجة الثالثة. لقد وضع الخيام تقويما سنوياً أدقّ من التقويم السنوي الذي نعمل به اليوم. والذي صار التقويم الفارسي المتبع الى يومنا هذا في بلاد فارس.. وبسبب الفهم الخاطئ (لفلسفته ولتصوّفه) اتهم بالإلحاد والزندقة وأحرقت كتبه ولم يصلنا منها سوى الرباعيات لأنّ القلوب أحبّتها وحفظتها من الضياع. غير أن (الخيام) كان عالماً عبقرياً وملماً ومبدعاً أكثر بكثير من كونه شاعراً. وضياع كتبه في الرياضيات والفلسفة حرم الإنسانية من الاستفادة من الإطلاع على ما وضعه في علوم الجبر والرياضيات .

ترجمة رباعيات الخيام:

أشهر ترجمة للرباعيات إلى اللغات الأجنبية هي الترجمة الإنجليزية التي قـــام بها الكاتب البريطاني (إدوارد فيتسجيرالد) وقد نُشرت ترجمة (فيتسجيرالد) أول طبعه طبعت عام: (١٨٥٩ ميلادية) .

ومن اشهر ما ترجم رباعيات الخيام الى العربية هو **الشاعر/ احمد رامي** ولفتت ترجمة أحمد رامي الأنظار وساعدته الظروف إذ كان عاشقاً للترجمات كما كان يعمل موظفاً في دار الكتب ويتقن اللغة الفرنسية والفارسية كما أن الترجمة أسهمت بانتشارها إذ لم يأخذ الترجمة كما هي بل عدّل فيها بما يتوافق مع الذوق.

من رباعيات: عمر الخيام:

الدرع لا تمنعُ سهم الأجل ... والمـــال لا يدفـــعهُ إن نزل
وكلُ ما في عيشنا زائلٌ ... لاشيءَ يبقى غيرَ طيب العمل
يا ربّ هيىء سببَ الرزق لي ... ولا تذقنـــي منّةَ المُفضل
وابقني نشوانَ كيما أرى روحي ... تَجـــتَ مِـــن دائها المعضل
نمضي وتبقى العيشةُ الراضية ... وتنمـــحـــي آثارُنا الماضية
فقبل أن نَحيا ومن بعدنا ... وهذه الدُنيا علـــى ما هيه
طَوت يدُ الأقدار سفرَ الشباب ... وصوّحت تلكَ الغصون الرطاب
وقد شدا طيرُ الصبى واختفى ... متى أتى يا لهفا أينَ غاب
إن لم أكنْ أخلصتُ في طاعتك ... فإنّني أطمعُ في رحمتك
وإنّما يشفعُ لي أنّني ... قد عشتُ لا أُشرك في وحدتك
سمعتُ صوتاً هاتفاً في السّحَر ... نادى من الحانِ غُفاةَ البشر
هبّوا املأوا كأسَ الطلى قبلَ أن ... تَفعم كأسَ العمرُ كفَّ القدَر
تروحُ أيامي ولا تغتدي ... كما تهبُّ الريح في القدفدِ
وما طويتَ النفس هماً على ... يومين أمسَ المنقضى والغدِ
غدٌ بِظَهْرِ الغيب واليوم لي ... وكم يخيبُ الظنُّ في المقبلِ
ولستُ بالغافلِ حتى أرى ... جمالَ دنيايَ ولا أجتلي
سمعتُ في حلمي صوتاً أهابَ ... ما فتَق النوم كمام الشبابَ
أفق فإنَّ النّوم صنو الردى ... واشرب فمثواكَ فراش التّرابَ
قد مزّق البدرُ سنار الظلام ... فأغنم صفا الوقت وهات المدام
واطرب فإنَّ البدر من بعدنا ... يسري علينا في طباق الرغام
سأنتحي الموتَ حثيث الورود ... ويَنمحي اسمي من سجل الوجود

هات أسقنيها يا مُنى خاطري ... فغايةُ الأيام طولُ الهجود
هات أسقنيها أيهذا النديم ... أخضبُ من الوجه اصفرار الهموم
وإن أمُتْ فاجعل غسولي الطلى ... وقدّ نعشيَ من فروع الكروم
إن تُقتلَع من أصلها سُرحتي ... وتصبحُ الأغصان قد جفّت
فصغْ وعاء الخمر من طينتي ... واملأهُ نسر الروح في جثتي
لبستُ ثوبَ العيش لم أستشر ... وحرتُ فيه بين شتّى الفِكَر
وسوفَ أنضو الثوب عنّي ولم ... أدرك لماذا جئتُ أينَ المقر
الدهرُ لا يعطي الّذي نأمل ... وفي سبيلِ اليأس ما نَعمل
ونحنُ في الدّنيا علَى همّها ... يسُوقنا حادي الردى المُعجّل
أفق خفيفَ الظّل هذا السّحَر ... وهاتها صرفاً وناغِ الوتر
فما أطالَ النّوم عمراً ولا ... قصّرَ في الأعمارِ طول السهَر
كم آلم الدهر فؤاداً طعين ... وأسلم الروح ظعين حزين
وليسَ ممّن فاتنا عائدٌ ... أسألهُ عن حالةِ الراحلين
وكم توالى الليل بعدَ النهار ... وطالَ بالأنجمِ هذا المدار
فامشِ الهوينا إنّ هذا الثرى ... من أعينٍ ساحرةِ الأحوار
أينَ النديم السمح أينَ الصبوح ... فقد أمضّ الهمّ قلبي الجريح
ثلاثةٌ هـــنّ أحبُّ المُنى ... كأسٌ وأنغامٌ ووجهٌ صبيح
نفوسنا ترضى احتكام الشراب ... أرواحنا تفدى الثنايا العذاب
وروح هــذا الدنّ نستلّهُ ... ونستقيهِ سائغاً مُستطاب
يا نفسَ ماهذا الأسى والكدر ... قد وقعَ الإثم وضاع الحذر
هَل ذاقَ حلو العفوَ إلاّ الّذي ... أذنبَ والله عفا واغتفر
نلبسُ بينَ الناس ثوب الرياء ... ونحنُ في قبضةِ كفّ القضاء
وكم سعينا نرتجي مهرباً ... فكانَ مسعانا جميعاً هباء

لم تفتح الأنفس باب الغيوب ... حتى ترى كيف تسأم القلوب

ما أتعس القلب الذي لم يكد ... يلتأم حتى أنكأته الخطوب

عامل كاهليك الغريب الوفي ... واقطع من الأهل الذي لا يفي

وعف زلالاً ليس فيه الشفا ... واشرب زعافَ السمّ لو تشتفي

أحسن إلى الأعداء والأصدقاء ... فإنّما أنس القلوب الصفاء

واغفر لأصحابكَ زلاّتهم ... وسامح الأعداء تمحُ العداء

عاشر من الناس كبار العقول ... وجانب الجهّال أهل الفضول

واشرب نقيعَ السمّ من عاقلٍ ... واسكب على الأرض دواء الجهول

يا تارك الخمرَ لماذا تلوم ... دعني إلى ربي الغفور الرحيم

ولا تُفاخرني بهجر الطلى ... فأنتَ جانٍ في سواها أثيم

أطفىء لظى القلب ببرد الشراب ... فإنّما الأيام مثلُ السحاب

وعيشُنا طيف خيالٍ فنل ... حظّكَ منهُ قبلَ فوت الشباب

بستانُ أيامك نامي الشجر ... فكيفَ لا تقطفُ غضّ الثمر

اشرب فهذا اليوم إن أدبرت ... به اللّيالي لم يعدهُ القدر

جادت بساط الروض كفُّ الحَاب ... فنزّه الطرفَ وهات الشراب

فهذه الخضرةَ من بعدنا ... تنمو على أجسادنا في التراب

وإن توافِ العشب عندَ الغدير ... وقد كسا الأرض بساطاً نضير

فامشِ الهوينا فوقهُ إنه ... غذّتهُ أوصالُ حبيبٌ طرير

يا نفس قد آدكِ حملُ الحزن ... يا روح مقدور فُراق البدن

إقطف أزاهير المُنى قبلَ أن ... يجفّ من عيشك غضّ الفنن

يحلو ارتشاف الخمر عند الربيع ... ونشرُ أزهار الروابي يضوع

وتعذّب الشكوى إلى فاتنٍ ... على شفا الوادي الخصيب اليَنيع

فلا تتب عن حسو هذا الشراب ... فإنّما تندمُ بعدَ المتاب

وكيفَ تصحو وطيور الربى ... صدّاحةٌ والروض غضّ الجناب
زخارفُ الدُنيا أساس الألم ... وطالبُ الدُنيا نديم الندم
فكن خليّ البال من أمرها ... فكلّ ما فيها شقاءٌ وهم
وأسعدُ الخلقِ قليل الفضول ... مَن يهجر الناس ويرضى القليل
كأنهُ عنقاءُ عندَ السَهى ... لا بومةٌ تتعبُ بينَ الطلول
مَن يحسبَ المال أحبَ المُنى ... ويزرع الأرضَ يريد الغِنى
يفارق الدُنيا ولم يُختَبر ... في كدّهِ أحوال هذى الدُنى
سرى بجسمي الغضّ ماء الفناء ... وسار في روحي لهيب الشقاء
وهمتُ مثلَ الريحِ حتى ذرت ... تُرابَ جسمي عاصفات القضاء
يامَن يحارُ الفَهمُ في قدرتك ... وتطلبُ النَفسُ حمى طاعتك
أسكرَني الإثمُ ولكنّني ... صحوتُ بالآمال في رحمتك
أفنيتُ عمري في اكتناهِ القضاء ... وكشفُ ما يحجبهُ في الخفاء
فلم أجد أسرارهُ وانقضى ... عمري وأحسستُ دبيب الفناء
أطالَ أهل الأنفس الباصره ... تفكيرهم في ذاتك القادرة
ولم تزلْ ياربّ أفهامهم ... حيرى كهذى الأنجمُ الحائره
لم يجنِ شيئاً من حياتي الوجود ... ولن يضير الكون أنّي أبيد
وا حيرتي ما قالَ لي قائلٌ ... ماذا اشتعالُ الروح ! كيفَ الخمود
إذا انطوى عيشي وحانَ الأجل ... وسدَّ في وجهي باب الأمل
قرّ حباب العمر في كأسهِ ... فصبّها للموتِ ساقي الأزل
أفنيت عمري في ارتقاب المُنى ... ولم أذق في العيش طعم الهنا
وإنّني أشفقُ أن ينقضي ... عمري وما فارقت هذا العنا
لم يبرحَ الداء فؤادي العليل ... ولم أنل قصدي وحانَ الرحيل
وفات عمري وأنا جاهلٌ ... كتابَ هذا الدهر جمّ الفصول

صفا لكَ اليوم ورقَ النسيم وجالَ في الأزهارِ دمع الغيوم
ورجّعَ البلبل ألحانهُ يقول هيّا اطرب وخلّ الهموم
اللهُ يدري كلَّ ما تُضمر يعلمُ ما تُخفي وما تُظهر
وإن خدعتَ الناس لم تستطع خداع من يطوي ومن ينشر
وإنّما بالموت كلّ رهين فاطرب فما أنتَ من الخالدين
واشرب ولا تحمل أسىً فادحاً وخلّ حمل الهم للاحقين
رأيت خزّافاً رحاهُ تدور يجدُّ في صوغِ دنانِ الخمور
كأنهُ يخلطُ في طينها جمجمة الشاهِ بساق الفقير
تمتلكُ الناس الهوى والغرور وفتنةُ الغيدِ وسكنى القصور
ولو تُزال الحجبُ باتت لهم زخارف الدُنيا وعُقبى الأمور
إن الذي تأنس فيه الوفاء لا يحفظ الودَّ وعهدَ الأخاء
فعاشر الناس على ريبةٍ منهم ولا تُكثر من الأصدقاء
زاد الندى في الزهرِ حتى غدا مُنحنياً من حملِ قطر الندى
والكُم قد جمعَ أوراقهُ فظلّ في زهرِ الربى سيدا
وأسعد الخلق الذي يرزق وبابهُ دونَ الورى مُغلق
لا سيّد فيهم ولا خادم لهم ولكن وادعٌ مُطلق
قلبي في صدري أسيرٌ سجين تُخجلهُ عشرةُ ماءٍ وطين
وكم جرى عزمي بتحطيمه فكانَ يَنهاني نداءُ اليقين
مصباحُ قلبي يستمدّ الضياء من طلعةِ الغيدِ ذوات البهاء
لكنّني مثلَ الفراش الّذي يسعى إلى النّورِ وفيهِ الفناء
طبعي ائتناسي بالوجوه الحسان وديدني شربَ عِتاق الدنان
فاجمع شتات الحظّ وانعم بها من قبلِ أن تطويكَ كفّ الزمان
تعاقبُ الأيام يُدني الأجل ومرّها يطويكَ طيّ السجِل

وسوف تَفنى وهي في كرّها فقَضّ ما تغنمهُ في جذل
لا تَشغل البال بماضي الزمان ولا بآتي العيش قبلَ الأوان
واغنم مِن الحاضرِ لذّاتهِ فليسَ في طبعِ اللّيالي الأمان
قيلَ لدى الحشر يكون الحساب فيغضب الله الشديد العقاب
وما انطوى الرحمن إلاّ على إنالةِ الخير ومنح الثواب
كانَ الذي صوّرني يعلمُ في الغيبِ ما أجني وما آثمُ
فكيفَ يجزيني علَى أنّني أجرمتُ والجرمُ قضاً مبرمُ

***

وعندما اشتد عليه المرض انشد يقول:

لم يبرح الداء فؤادي العليل ولم أنل قصدي وحان الرحيل
وفات عمري وأنا جاهل كتاب هذا العمر حسم الفصول

وقبل ان يتوفاه الله كتب هذه الرباعية فقال :

أحسُّ في نفسي دبيب الفناء ولم أصب في العيشِ إلاّ الشقاء
يا حسرتا إن حانَ حيني ولم يُتحْ لفكري حلّ لُغز القضاء

***

وفاتـــــه:

توفى (عمر الخيام) في مدينة (نيسابور) الايرانية ما بين العام (١١٢٣ إلى ١١٢٤) للميلاد. ولا يزال قبره في المدفن المعروف بمشهد علي.. بمدينة (نيسابور).

الخـاتمــة:

ويبقى أن نقول إنّ رباعيات الخيام لاقت رواجاً كبيراً في العالم العربي وخاصة بعد أن ترجمها (أحمد رامي) وغنتها سيدة الغناء العربي الراحلة (أم كلثوم) مما ساهم في انتشارها لدى شريحة أكبر من القُرّاء والسامعين في العالم العربي ومنها ما غنت به ام كلثوم **فتقول:**

سمعتُ صوتاً هاتفاً في السحر ... نادى من الغيب غفاة البشر
هبوا املأوا كأس المني ... قبل أن تملأ كأسَ العمر كفُ القَدر
لا تشغل البال بماضي الزمان ... ولا بآتي العيش قبل الأوان
واغنم من الحاضر لذاته ... فليس في طبع الليالي الأمان

(القيــروانـــي)

كان (القيرواني) يقيم في منزله الكائن بجوار جامع القيروان الكبير وهو مسجد بناه عقبه بن نافع في مدينة القيروان التي اسسها بعد فتح افريقية وهي (تونس حاليا) وهذا المسجد يمثل الوجه المتالق للعمارة القيروانية التي ظلت من ابرز روافد العمارة المغربية والاندلسية عبر التاريخ ومن وهنا جعل (القيرواني) الجامع بيته ومكتبته وفيه كان الناس يجتمعون إليه. ولزمه شبان القيروان يأخذون عنه. فنظر في النحو والعروض، ثم أخذ في جمع الأخبار، ونظم الأشعار، فازدادت مكانته بين الناس وانتشرت كتبه في المناطق المجاورة حتى وصلت إلى صقلية وغيرها. وجاءته الصلات من كل حدب وصوب وكان له طلبة علم يتعلمون على يدية اللغة وفنونها .

***

اسمـــــه:

هو : أبي إسحاق علي بن عبد الغني الفهري الحصري (القيرواني).

مولـــــده:

ولد ابي اسحاق القيرواني) في حي (الفهريين بمدينة القيروان) وللأن لم نعرف سنة ولادته

نسبـــــه:

والقيرواني يتّصل نسبه بعقبة بن نافع الفهري مؤسس القيروان وفاتح (تونس) وعقبة بن نافع هو: عقبة بن نافع الفهري القرشي بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية هو قائد من ابرز قادة الفتح الاسلامي الذين فتحوا بلاد المغرب العربي.

لقبـــــه:

أما عن لقبة (الحصري) فيقال: إلي صناعة الحصر ويقال: إلى مدينة حصر الدارسة والتي كانت قريباً من القيروان.

***

نبذه عن مدينة (القيروان) :

□القَيْرَوَان) هي: مدينة تونسية، تبعد حوالي (١٦٠ كيلومتر) عن تونس العاصمة يعود أصل تسمية القيروان إلى اللفظ الفارسي (كيروان) والتي تعني المعسكر.. وكذلك ويعود سبب أهميتها إلي دورها الاستراتيجي في الفتح الإسلامي فمنها انطلقت حملات الفتح نحو(الجزائر والمغرب وإسبانيا وأفريقيا) بالإضافة إلى أنها (رقاد) اي يوجد بها قبور لعدد من صحابة رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام فقد ماتوا في الفتوحات .. ومازالت شهود قبورهم متواجدة بالقيروان .

شـــيء من حياتـــه:

كان (القيرواني) ضريراً ولد وعاش بالقيروان حفظ القرآن بالروايات وتعلم العربية على شيوخ عصره والأرجح أنه فقد بصره في طفولته ولم يولد كفيفاً كما زعم صاحب معجم المؤلفين. وكان فقده لبصره سبباً لولوعه بتقليد أبي العلاء في شعره ورسائله (مع أنه معاصر له)، ومن الغريب أن يمتد تشابه الرجلين إلى تشابه الحوادث التي لقياها في مقتبل شبابه كانت فتنة بني هلال في القيروان سنة (٤٤٩هجري) تلك الفتنة التي شتّتت أهل القيروان في الفيافي والوديان وشردتهم، ورحلت بعدها أسرة الحصري إلى (سبتة بالمغرب) فاستقر فيها زهاء عشر سنوات.ثم تركها إلى(إشبيلية) ملتمساً الحظوة عند المعتمد بن عباد. وهكذا تواصل ببعض الملوك ومدح المعتمد بن عباد بقصائد وألف له كتاب المستحسن من الأشعار.

ومن بعدها ذاعت شهرته كشاعر فحل مشهور وشغل الناس بشعره ولفت أنظار طلاب العلم فتجمعوا حوله، وتتلمذوا عليه ونشروا أدبه في كل الارجاء. قضى الحصري نحو ثلاثين سنة من عمره في القيروان اي فترة الشباب كلها، وبعد نكبة (القيروان) اضطرّ إلى الهجرة من وطنه كما فعل الشاعران أبناء بلده وهما: ابن رشيق وابن شرف، والتجأ إلى بلدة (سبتة) واستقرّ بها يدرّس علم القراءات ثم اجتاز إلى الأندلس واتصل ببني عبّاد في(إشبيلية) ومدحهم ثم انتقل بين عواصم ملوك الطوائف وأخيرا حلّ بمدينة طنجة

***

فقد آلمته نكبة القيروان كبقيةِ شُعراءِ عَصرِه، فقال يندُبُها بقصيدةٍ طويلةٍ وهذه بعض الابيات منها فيقول :

مَوتُ الكرامِ حياةٌ في مواطِنِهمْ ... فَإن هُم اغتربُوا مَاتُوا وَمَا ماتوُا

يا أهلَ ودّي لاَ والله ما انتكَثَتْ ... عندي عهودٌ ولا ضاقتْ مودّاتُ

لئن بعد ثُم وحال البحرُ دونكُ ... لبينَ أرواحنا في النّوم زوّراتُ

ما نمت إلاّ لكي ألقى خيالكُمْ ... وأين مَنْ نازح الأوطانِ نوماتُ

***

دواوينة الشعرية:

ديوان مستحسن الأشعار وهو فيما قاله في المعتمد بن عباد ديوان المعشرات وهو من شعره الغزلي، يبتدئ كل بيت فيه بالحرف الذي يقفّى به

ديوان مختلف المناسبات:

ديوان اقتراح القريح واجتراح الجريح من أشهر أعماله قصيدة (يا ليل الصب) يقول فيها:

يا ليلُ الصبُّ متى غدُ ... أقيامُ السّاعةِ موْعِدُهُ

رقّد السُّمّارَ فأرّقه أسفٌ للبيْنِ يردّدهُ
فبكاهُ النجمُ ورقّ له ممّا يرعاه ويرْصُدهُ
كلفٌ بغزالٍ ذي هيفٍ خوفُ الواشين يشرّدهُ
نصبتْ عيناي له شركاً في النّوم فعزّ تصيّدهُ
وكفى عجباً أنّي قنصٌ للسرب سباني أغْيَدهُ
صنمٌ للفتنةِ منتصبٌ أهواهُ ولا أتعبّدهُ
صاحٍ والخمرُ جنَى فمِهِ سكرانُ اللحظ مُعربِدُهُ
ينضُو منْ مُقْلتِه سيْفاً وكأنّ نُعاساً يُغْمدُهُ
فيُريقُ دمَ العشّاقِ به والويلُ لمن يتقلّدهُ

***

كلّا لا ذنْبَ لمن قتلتْ عيناه ولم تفتُلْ يدهُ
يا من جحدتْ عيناه دمي وعلى خدّيْه توَرّدهُ
خدّاكَ قد إعْترفا بدمي فعلامَ جفونُك تجْحدهُ
إنّي لأعيذُك من قتْلي وأظُنّك لا تتعمّدهُ
باللّه هبِ المشتاق كرَىً فلعلّ خيالَك يُسْعِدهُ
ما ضرّك لو داويْتَ ضنًى صبٍّ يُدْنيكَ وتُبْعِدهُ
لم يُبْقِ هواك له رمَقاً فلْيبْكِ عليه عُوّدهُ
وغداً يقْضي أو بعْدَ غدٍ هل منْ نَظَرٍ يتزوّدهُ
يا أهْلَ الشوقِ لنا شَرَقٌ بالدّمعِ يفيضُ مَوْردُهُ
يهْوى المُشْتاقُ لقاءكُمْ وصروفُ الدّهْرِ تُبعِدهُ

ما أحلى الوصْلَ وأعْذبهُ لولا الأيّامُ تُنكّدهُ
بالبيْنِ وبالهجرانِ فيا لفُؤادي كيف تجلّدهُ
الحُبُّ أعَفُّ ذويهِ أنا غيري بالباطلِ يُفْسِدهُ

كالدَّهْرِ أَجلُّ بَنِيهِ أبو عَبْدِ الرَّحْمنِ مُحَمَّدُهْ
العفُّ الطاهِرُ منْزِرُهُ والحرُّ الطَّيِّبُ مَوْلِدُهْ
شفَعتْ في الأَصْلِ وزارتُه وزكا فتفوَّقَ سُؤْدُدُهْ
كسَبَ الشَّرَفَ السامي فغدا فوْقَ الجوزاءِ يُشَيِّدُهْ
وكفاه غلامٌ أَوْرَثَهُ إِسْحَاقَ المَجْدِ وأَحْمَدُهْ
ما زالَ يجولُ مَدىً فمدىً ويحلُّ الأَمْرَ ويَعْقِدُهْ
حتَّى أعطَتْهُ رئاستُه وسياستُه ومهَنَّدُهْ

***

فاليومَ هو الملكُ الأَعلَى مولَى مَنْ شاءَ وسيِّدُهْ
ميمونُ العُمْرِ مباركُهُ منصورُ المُلْكِ مُؤَيَّدُهْ
هَيْنٌ لَيْنٌ في عزَّتِهِ لكن في الحربِ تَشَدُّدُهْ
يطوي الأَيّامَ وَيَنْشُرُها ويُقيمُ الدهرَ ويُقْعِدُهْ
شُهِرَتْ كالشَّمسِ فضائلُهُ فأقرَّ عداهُ وحُسَّدُهْ
لا يُطربُهُ التَّغْرِيدُ ولوْ غَنَّى بالأَرْغُنِ مَعْبَدُهْ
والخَمْرُ فليْستْ مِنْهُ ولا لعبُ الشَّيْطانِ ولا دِدَهْ
تركَ اللَّذّاتِ فهمَّتُهُ عِلْمٌ يَرْوِيهِ ويُسْنِدُهْ
وبدا في المُلْكِ تُرَغِّبُه ويُقَىً في المالِ تُزَهِّدُهْ
وذكاءٌ مثل النّارِ جَلا ظُلَمَ الشُّبُهاتِ تَوَقُّدُهْ

***

وهُدًى في الخيرِ يُرَغِّبُه وتُقًى في المُلْكِ يزَهِّدُهْ
وحواشٍ رقَّتْ منْ أَدَبٍ حتَّى فَضَحتْ من ينشدُهْ
لا عُذْرَ لمادحِهِ إن لَمْ يدفقْ بغريبٍ يَنْفُدُهْ
غَيْلانُ الشِّعْرِ قُدامتُه جَرْميُّ النَّحْوِ مُبَرِّدُهْ

وخَليلُ لُغاتِ الْعُرْبِيق في كتابِ الْعَيْنِ ويَسْرُدُهْ
لمّا خاطبتُ وخاطَبَني لم يخفَ عَلَيَّ تَعَبُّدُهْ
فنزلتُ له عن طرف السَّبْـ ـق وقلتُ بِكَفِّكَ مِقْوَدُهْ
لو يعدم عِلْمٌ أو كَرَم أيقنتُ بِأَنَّكَ تُوجِدُهْ
من ذَمَّ الدهْرَ وزارك يا مَلِكَ الدُّنْيا فَسَيَحْمَدُهْ
إن ذَلَّ فجيْشُك يَنْصرُهُ أو ضَلَّ فرأْيُكَ يُرْشِدُهْ

***

أو راحَ إلى أُمنيتِهِ ظمآن فحوْضُكَ يُورِدُهْ
أنتَ الدنيا والدينُ لنا وكريمُ العَصر وأوحَدُهْ
لو أنَّ الصَّخْرَ سقاهُ نَدَى كَفَّيْكَ لأَوْرَقَ جَلْمَدُهْ
والرُّكْنُ لو إنّك لامسُهُ لابيضَّ بكفِّكَ أسْوَدُهْ
يطوي السَّفّارُ إليكَ مَدىً باللّيْلِ فَيسْهَرُ أَرمَدُهْ
ويهونُ عليهم شَحطُ نَوىً يُطْوَى بحديثِكَ فَدْفَدُهْ
والمَشْرِقُ أنبأَ مُتْهِمُهُ بالفضْلِ عليكَ وَمُنْجِدُهْ
والعينُ تراك فيَسْتَشْفي مطروفُ الجَفْنِ وأَرْمَدُهْ
سعِدَتْ أيّامُ الشَّرْقِ وما طَلَعَتْ إلّا بِكَ أَسْعَدُهْ
وأضاء الحَقُّ لِمُرسيةٍ لَمّا أورَت بك أَزْنَدُه

***

بالعدلِ قمعتَ مظالمها وبِحُسنِ الرأيِ تُسَدِّدُهْ
وجلبتَ لها العُلَماءَ فلمْ تَتْرُكْ عِلماً تَتَزَيَّدُهْ
وزرعتَ من المعروف لها ما عند اللّه ستَحْصُدُهْ
واهتزّ لإسْمِكَ مِنبَرُها فليدعُ به من يَصْعَدُهْ
قد كان الشيخُ أخا كرم يَنهلُ على من يَقْصِدُهْ

فمضى وبقيتَ لنا خَلَفاً ... من كُلِّ كريم نَفْقِدهُ
فالله يقيك السَّـــوءَ لنا ... وبرحمتِـــه يتَـــغمّدهُ

ولقد ذَهَبتْ نُعْمَـــى عَيْشِي ... وطريفُ المالِ ومُتْلِدهُ
أمَحبُّكَ يدخُـــلُ مجْلسه ... فيـــقال أهذا مسْجِدُهُ
لا بُسْط بـــــه إلا حُصرٌ ... فعســـــى نعماك تَمهّدهُ

***

فابعَـــث لمُـصلّ أبْسِطَةً ... في الصفِّ ليحْسُن مقْعَدُهُ
وعساك إذا أنعمْتَ به ... من صاحبِهِ لا تُفْرِدُهُ
باثنين يُغطّى البيتُ ولا ... يُكْسَى بالفردِ مُجرّدُهُ
صلني بهما واغنَم شُكري ... فثنائـــي علـيكَ أُخلّدهُ
أتراكَ غضِبتَ لما زَعموا ... وطمَى من بحرك مُزْبِده
وبدا من سيفِكَ مُبرِقُه ... وعلا من صوتك مُرْعِدهُ
هل تأتي الريحُ على رِضْوَى ... فتقوّيـــه وتُصـــعّدهُ
أنتَ المولى والعبدُ أنا ... فبأيِّ وعيدِك تُوعِدهُ
ما لي ذنبٌ فتعاقبُني ... كذب الواشِي تبّتْ يدهُ
ولـــو إستحققتُ مُعاقبةً ... لأبـــى كـــرمٌ تتعوّدهُ

من غير رضاي جرتْ أشياء تُغيضُ سواك وتُجْمِدهْ
واللّهُ بذاك قضى لا أنّتَ فلَسْتُ عليك أعِدّهْ
لا تغد عليّ بمُجْترِم لم يثْبتْ عندك شُهَدهْ
فوزيرُ العصرِ وكاتبُه ومرسِلُه ومُقصِدهْ
يُبْدي ما قلتَ بمجلسِهِ أيضاً ولسوفَ يُفَنِّدُهْ
إن كنتَ سببتكَ فُضّ فمي وكفرتُ بربِّ أعْبُده
حاشا أدبي وسنا حسبي من ذَمّ كريم أحْمَدهْ
ستجودُ لعبدِك بالعفو فيذيبُ الغَيْظَ ويطردُهْ
وقديمُ الوُدّ ستذكرُهْ وتجدّدُهْ وتؤكّدُهْ
أوليس قديمُ فخارك ين شيني وعلاكَ يُشيّدُهْ

***

يا بدرَ التّمّ نكحتَ الشّم سَ فذاك بُنيّك فرْقَدُهْ
فاسلَم للدين تُمهّدُهْ ولِشَمْلِ الكفْرِ تُبَدّدُهْ
لو أنّ جميلاً أنشدَها في الحيّ لذابتْ خُرّدُهْ
أهديتُ الشّعْرَ على شَحَطٍ وندالك قريبٌ مولدُه
ما أجودَ شعري في خبَبٍ والشعرُ قليلٌ جيّدُهْ
لولاك تساوَى بهْرجُهُ في سُوق الصّرْفِ وعسْجَدُهْ
ولَضاع الشعرُ لذي أدبٍ أو ينفقه من يَنْقُدُهْ
فعليك سلامُ الله متى غنّى بالأيك مُغرّدُهْ

وقد عارض هذه القصيدة شعراء كثر من الشعراء في مختلف العصور ولكن أبرع من عارضها من الشعراء المعاصرين هو أمير الشعراء (أحمد شوقي) واليكم قصيدته التي عارض فيها (القيرواني) فيقول فيها :

***

مضناك جفاهُ مرقدُهُ وبكـــاه ورحَم عُوّده
حيران القلب مُعذّبهُ مقروح الجفن مُسهّدهُ
أودى حُرقاً إلا رمقاً يبقيه عليك وتنفذهُ
يستهوي الورق تأوهه ويذيب الصخر تنهدهُ
ويناجي النجم ويتبعهُ ويقيم الليل ويقعدهُ

***

ويعلّم كلّ مطوقةٍ شجناً في الدّوح ترددُهُ
كم مدّ لطيفك من شركٍ وتأدب لا يتصيّدُهُ
فعساك بغمض مُسعفهُ ولعلّ خيالك مُسعدهُ
الحسن حلفت بيوسفِهِ والسورةِ أنك مُفردُه
قد ودّ جمالك أو قبسا حوراء الخلد و أمردُهُ

***

وتمنّت كل مقطّعةٍ يدها لو تبعث تشهدهُ
جحدت عيناك زكيّ دمي أكذلك خدّك يجحدهُ
قد عزّ شهودي إذ رمتا فأشرت لخدك أشهدهُ
وهممت بجيدك أشركهُ فأبى واستكبر أصيدهُ
وهززت قوامك أعطفه فنبا وتمنّع أملدهُ

سبـــب لرضاك أمهدهُ ما بال الخصر يُقعدهُ
بيني في الحب وبينك ما لا يقدر واشٍ يفسدهُ
مابال العاذل يفتح لي باب السُلوان وأوصدهُ
ويقـــول تكاد تجنُ به فأقول : وأوشك أعبده
مولاي وروحي في يدهِ قد ضيّعها سلمت يدهُ

***

ناقوس القلب يدق لهُ وحنايا الأضلع معبدُهُ
حُسادي فيه أعذرهم وأحق بعذري حُسّدهُ
قسماً بثنايا لؤلؤها قسم الياقوت مُضّدهُ
ورضاب يوعدُ كوثرهُ مقتول العشق ومشهدهُ

***

وبخالٍ كـــاد يحـــجُ له لو كان يُقبّل أسودهُ
وقوام يروى الغصن له نسباً والرمح يقنّدهُ
وبخصرٍ أوهن من جلدي وعوداي الهجر تبدّدهُ
ماخنت هواك ولا خطَرت سلوى بالقـــلب تبّردهُ

وفـــاة (القيرواني):

توفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة للهجرة (٤٨٨ هجري الموافق للعام ١٠٩٥ (للميلاد بمدينة (طنجة).. وهي مدينة مغربية تقع في شمال (المملكة المغربية) على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

***

الخـــاتمـــة:

لقد كان ((القيرواني)) بحر للبراعة ورأس لصناعة الادب واللغة تهادي كالرياض للنسيم وتنافس فيه تنافس الديار بالأنس المقيم.. ومن هنا نكون قد قدمنا قصدتين على نفس المنوال ونفس البحر للعصرين القديم (للقيرواني) والحديث (لأحمد شوقي).

شاعر الاندلس (ابن هانئ)

كانت البيئة المترفة في مدن الاندلس لها أثر كبير في إزدهار الأدب والشعر وكان التنوع في مظاهر الحياة والطبيعة في الأندلس له أثر في تلوين الشعر بلون خاص شاع فيه الوصف ودقة التصوير وتنقل الخيال وسلاسة الأسلوب والتأنق في الأداء.. وأصبح هذا الشعر يمثل جانبين واضحين في الشعر الأندلسي أحدهما طبيعة البادية الّتي كانت ماتزال نفوس العرب في الأندلس تحنّ إليها وتؤمن بها وتسير علي نهجها في التفكير والمعرفة والأخلاق.. وثانيهما طبيعة الحضارة الّتي كانوا يعيشون فيها والترف الذي يملأ حياتهم والجمال الذي كان يتيم قلوبهم ويسحر أبصارهم في كل مدينة من مدن الأندلس الغارقة في الشعر والموسيقى والجمال فأنجبت لنا ارق الشعراء فذخرت مكتبة العرب بدواوين كثر لتلك الحقبة الزمنية من العصر الاندلسي.

***

اسمـــــه:

أبو القاسم محمد بن هانئ بن سعدون الازدي الاندلسي.

نسبـــــه:

يتصل نسبه بحاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي.

مولـــــده:

ولد (محمد بن هانئ) في إشبيلية بالأندلس نشأ ابن هانئ بإشبيلية (اسبانيا حاليا).

شيء من حياته:

اطّلع (ابن هانئ) على معظم علوم عصره وخصوصا ما يتعلق باللغة والأدب كما اطلع على مذاهب المفكرين والفلاسفة ولذلك اتّهم بالزندقة وفي هذا المجال يشبّهونه (بأبي العلاء المعري) من حيث تحرره وجرأته في التحدث عن الدين والحياة والموت ولكن العلامة الأبرز في مذهبه الفكري هي تشيّعه الذي أفرط وبالغ فيه واتّبع مذهب الإسماعيلية وبالغ فيه وكانت له اراء سياسية متطرفة تخص الدولتين الأموية والعباسية فوجّه انتقاداته اللاذعة للدولتين واستصغر شأنه.

وكان (ابن هانئ) حافظاً لأشعار العرب وأخبارهم فحفلت قصائده بكثير من الإشارات إلى وقائع العرب وبذكر شعرائهم وساداتهم واتصل بحاكم إشبيلية ومدحه وتقرب اليه ثم اتهم (بمذهب الفلاسفة.. والهرطقة) وادعوا ان في شعره نزعة (إسماعيلية) بارزة فأساؤوا القول في حاكم اشبيلية بسبب تقربه اليه فأشار عليه الحاكم بالغيبة.. والتغريب فترك إشبيلية ليرحل إلى المغرب ومدح (جوهر الصقلي) ثم نمي خبره إلى المعز أبي تميم معدّ بن منصور الفاطمي وأقام عنده في المنصورية بقرب القيروان فبالغ ابن هانئ في مدحه. ولما رحل المعز إلى (مصر) طلب منه مرافقته فاستئذنه في العودة إلى المغرب لأخذ اباءه فمات من يومها.

***

من سمات شعر (ابن هاني):

كان لا ينتقي إلا كل ما هو جميل ولا يتحدث إلا عن المعاني الفخمة الرائعة التي تعبر عن حالات الانسان وظروفه المعيشية فانطلق يحاكي البشر والشجر والجبال والجما وغيرها وإستطاع أن يخلق بنفسه حالة من حالات التأمل الكوني والفلسفة.

من أقوال: (ابن خلكان) في وفيات الاعيان عن ابن هانئ:

ليس في المغاربة من هو في طبقته من متقدميهم ولا من متأخريهم بل هو أشعرهم على الإطلاق وهو عندهم (كالمتنبي) عند المشارقة وكانا متعاصرين ولولا ما فيه(أي ديوانه) من الغلوّ في المدح والإفراط لكان ديوانه من أحسن الدواوين.

من قدموا دراسات عن بن (هانئ):

وقد تعرض (ابن هانئ) للعديد من النقاد القدامى والمحدثين الكثير والكثير ومن القدماء: ابن رشيق في (عمدته) وابن خلكان في (وفيات الاعيان) وابن خاقان في (مطمح بن خاقان) وابن الخطيب في (احاطته) ويشترك كل هؤلاء في الاعتراف بان (ابن هانيء) بشاعريته وحسن اشعاره.

***

من أشعـــاره:

كانت ملوك الاعجمين أعزة فاذلها ذو العزة الآباء
لن تصغر العظماء في سلطانهم الا اذ دلفت لها العظماء
جهل البطارق انه الملك الذي اوصى البنين بسلمه الآباء
حتى راي جهالهم من عزمه غب الذي شهدت به العلماء
فتقاصروا من بعدما حكم الردى ومضى الوعيد وشبت الهيجاء
لم يشركوا في انه خير الورى ولذي البرية عندهم شركاء
واذا اقر المشركون بفضله قسرا فما ادراك ما الحنفاء
في الله يسري جوده وجنوده وعديده والعزم والاراء
نزلت ملائكة السماء بنصره واطاعه الاصباح والامساء
ولك الجواري المنشات مواخرا

ومنه يقول :

ولحظك ام غضب الغرارين باتك ... واعطاف نشوى ام قــوام مهفهف
تاود غصن فيه واريج عاتك ... وما شق جيب الحسن الا شفــائق

ويقول (ابن هانئ) وثلاثة لم تجتمع في مجلس:

حتى راي جهالهم من عزمه ... اوصى البنين بسلمه الآباء
فتقاصروا من بعدما حكم الردى ... غب الذي شهدت به العلماء
لم يشركوا في انه خير الورى ... ومضى الوعيد وشبت الهيجاء
واذا اقر المشركون بفضله ... ولذي البرية عندهم شركاء
في الله يسري جوده وجنوده ... قسرا فما ادراك ما الحنفاء
نزلت ملائكة السماء بنصره ... وعديده والعزم والاراء
والدهر والايام في تصريفها ... واطاعه الاصباح والامساء
اين المفر ولا مفر لهارب ... والناس والخضراء والغبراء
ولك الجواري المنشات مواخرا ... ولك البسيطان الثرى والماء
وله في المعز لدين الله الفاطمي ... تجري بامرك والرياح رخاء
معشق وكان ذاك رقيب ... غر المدائح ونخب الشعراء

ويقول :

يا خير ملتحف بالمجد والكرم ... وافضل الناس من عرب ومن عجم
يا ابن السدى والندى والمعلومات معا ... والحلم والعلم والآداب والحكم
لو كنت اعطى المنى فيما اؤمله ... حملت عنك الذي حملت من الم
فهل بين ظلامين قاض وحاكم ... في البين حرف معجم قد قراته
على خدها لو انني منه سالم ... وقد كان فيما اثر المسك فوقه
دليل ومن خلف الحداد المآتم ... وما عدب المسواك الا لانه

ويقول: (ابن هانئ)

انظر اليه وفي التحريك تسكين كانما التقمت عنه التنانين
ياليت شعري اذا اومى الى فمه احلقه لهوات ام ميادين كانها
وخبيث الزاد يضرمها جهنم قذفت فيها الشياطين

***

ويقول:

هل من اعقة عالج يبرين ام منهما بقر الحدوج العين
ولمن ليال ما ذممنا عهدها مذ كن الا انهن شجون
المشرقات كانهن كواكب والناعمات كانهن غصون بيض
وما ضحك الصباح وانها بالمسك من طرر الحسان لجون
ادمى لها المرجان صفحة خده وبكى عليها اللؤلؤ المكنون

ويقول:

هل آجل مما اؤمل عاجل رجو زمانا والزمان حلاحل
واعز مفقود شباب عائد من بعد ما ولي والف واصل
ما احسن الدنيا بشمل جامع لكنها ام البنين الثاكل جرت
الليالي والتنائي بيننا هابل الا وكيران المطي وذائل
وكانما دهر لدهر آكل هذا يفارقني وذاك يزائل
في كل يوم استزيد تجاربا كم عالم بالشيء وهو يسائل

ويقول:

لمن صولجان فوق خدك عابث ومن عاقد فوق طرفك نافث
ومن مذنب في الهجر غيرك مجرم ومن ناقص للعهد غيرك مجرم
مليك اذا مال الرضى بجفونه رايت مميتا بين عينيه باعث
ايحسب ساري الليلة البدر واحدا وفي كلل الاظعان ثان وثالث

***

ونختتم بقول (ابن هانيء) وهو القائل:

امسحوا عن ناظري كحل السهاد وانفضوا عن مضجعي شوك القتاد
او خذوا مني ما ابقيتم لا احب الجسم مسلوب الفؤاد
هل تجيرون محبا من هوى او تفكون اسيرا من صفاد
فعلى الايام من بعدكم ما على الثكلاء من لبس الحداد
لم يزدنا القرب الا هجرة فرضينا بالتنائي والبعاد

وفاته:

توفي وهو في طريقه إلى مصر لمقابلة (المعز لدين الله الفاطمي) قُتل ابن هانئ ببرقة في: شهر رجب سنة ٣٦٢ هجرية الموافق(للعام٩٧٣ ميلادية) ولما وصل خبر وفاته (للمعزّ) وهو بمصر.. تأسف عليه وقال :((هذا الرجل، كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يُقدّر علينا ذلك)).

الخاتمة:

ورد في قاموس المعاني أنّ كلمة «أندلُس» و«الأَنْدَلُس» أصلُها بربريّ، وقد اقتبسها العربُ من الأمازيغ بفعل العشرة والاختلاط والتزاوج بين الطرفين في بلاد المغرب. وقيل: «أَندَلُس: بِلادُ جَنُوبِ إِسْبانيا، وَهُوَ الاسْمُ الَّذِي أَطْلَقَهُ العربُ عَلَيْها حِينَ فَتَحوها سنة ٧١١ ميلادي.

نجح المسلمون في مدّ دولتهم إلى الأندلس، عندما عبر طارق بن زياد أحد قادة موسى بن نصير والي الأمويين على إفريقية عام ٩٢هجري بجيش قوامه سبعة آلاف مقاتل لو استطاع هذا الجيش بعد أن أمده موسى بن نصير بخمسة آلاف أخرى أن يهزم ملك القوط الغربيين رودريك في معركة وادي لكة والسيطرة في غضون عامين على معظم شبه الجزيرة الأيبيرية، تحولت جيوش المسلمين شرقًا وتوغلت في بلاد الغال حتى وصلت إلى حدود مدينة ليون الحالية. استمرت محاولات المسلمين في التوسع في بلاد الغال في عهد الولاة السمح بن مالك الخولاني وعنبسة بن سحيم الكلبي وعبد الرحمن الغافقي، إلا أن تلك المحاولات حققت بعض النجاحات، ثم توقفت التوسعات بعد هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء. ظلت الأندلس منذ الفتح مجرد ولاية تابعة لولاية إفريقية إحدى ولايات للدولة الأموية في دمشق حتى سقطت الدولة الأموية على أيدي العباسيين عام ١٣٢هجري. حرص العباسيون على ملاحقة الأمويين وتقتيلهم في كافة أرجاء دولتهم مما جعل الأشخاص الباقون من بني أمية يتخفون أو يفرون من العباسيين. كان من بين الفارين أمير أموي يدعى بعبد الرحمن بن معاوية بن هشام فر إلى إفريقية عند أخواله من بربر نفزة. كان الأندلس في تلك الفترة تسوده حالة من عدم الاستقرار شهدت تعاقب الولاة والصراعات بين العرب المضرية والعرب اليمانية من جهة وبين العرب والبربر من جهة أخرى.

ولم يقتصر اهتمام الأندلسيين على العلوم الدينية فقط، فاهتموا بالعديد من ألوان الأدب كالشعر والنثر وعلوم اللغة والتأريخ وكتب السير والتراجم، وقد برزت أسماء كثيرة في تلك الفنون في عهد الدولة الأموية في الأندلس.

أما الشعر، فقد كان أثر الشرق واضحا فيه حيث تأثر شعر الأندلس بشعراء الشرق، فظهر أثر شعراء الزهد كأبي العتاهية على أشعار ابن أبي زمنين وابن عبد ربه وأبي بكر الزبيدي وغيرهم، وشعراء الغزل والمديح والفخر والحماسة كأبي نواس وأبي تمام وابن الرومي والمتنبي وابن المعتز، والذين ظهر أثرهم جليّا في شعر يحيى الغزال وابن دراج القسطلي وابن هانئ. وظل الشعر الأندلسي بلا إبداع محاكيًا لشعر الشرق وغير مصقول، فقيرًا من الناحية الذهنية التفكيرية، مكبلاً بقيود الجوانب الشكلية الجامدة. ولم تسبق الأندلس الشرق في ألوان الأدب إلا في فن الموشحات الذي ابتكره مقدم بن معافى القبري والذي أصبح بحلول القرن الرابع الهجري أشهر أشكال الأدب في الأندلس، كما أنها تعتبر فن أندلسي خالص. ويعد ابن عبد ربه وعبادة بن ماء السماء ويوسف بن هارون الرمادي أشهر وشاحو عصر الدولة الأموية في الأندلس .

لم يكن الأمراء والخلفاء بعيدين عن هذا الجو الأدبي، فقد اهتم الأمير عبد الرحمن بن الحكم الذي كان شغوفاً بجمع الكتب بنقل الثقافة من المشرق إلى قرطبة، فأرسل شاعره ووزيره عباس بن ناصح الجزيري إلى المشرق، للبحث عن الكتب القيمة واستنساخها، وهي النواة التي تكونت منها بعد ذلك منها مكتبة قرطبة، وهي الهواية التي شاركه فيها الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر بالله الذي وصل عدد الكتب في مكتبته إلى اربعمائة الف كتاب وهذا يدل على ان هذا العصر هو عصر الازدهار الثقافي والادبي .

((إبن زيدون العاشق.. والاميرة ولادة بنت المستكفي))

برع ابن زيدون في نثره وأجاد في حواراته مع أولي الأمر خاصة.
(ابن جهور) الذي كان على رأس حركة المعارضة التي استطعت إسقاط آخر خلفاء بني أمية في الأندلس وهو (المستكفي) ويعتبر ابن زيدون أعظم شعراء الأندلس شأناً وجاها وأجلهم مقاماً وقد قال الشعر في أغراض كثيرة متعددة كالغزل والمدح والرثاء والاستعطاف ووصف الطبيعة والهجاء وقد كان في مدحه لحكام (الأندلس) يركز على معاني كل من الشجاعة والقوة وكان يضع نفسه في مصاف ممدوحيه وهيئتهم على طريقة المتنبي لما كان يمتاز به من عزة النفس والسؤدد ورفعة الشأن كسائر الشعراء العرب اصحاب الفضل على الادب العربي الجليل..

***

إبن زيدون.. العاشق:

اسمـــــه:

((أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي)) المعروف بابن زيدون وزير وكاتب وشاعر أندلسي، عُرف بحبه لولادة بنت المستكفي.

مولـــــده:

ولد((أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون)) في قرطبة لأسرة من فقهاء قرطبة في أول رجب عام ٤٦٣ هجري.

أصولـــــه:

ينتمي ((ابن زيدون)) إلى قبيلة "بني مخزوم" العربية التي كانت لها مكانة عظيمة في الجاهلية و الإسلام وعرفت بالفروسية والشجاعة.

شيء من حياته:

ما كاد (ابن زيدون) يبلغ الحادية عشرة من عمره حتى فقد أباه فتولى جده تربيته وكان ذا حزم وصرامة وقد انعكس ذلك على أسلوب تربيته لحفيده وهو ما جنبه مزالق الانحراف والسقوط التي قد يتعرض لها الأيتام من ذوي الثراء.

كفالة جده له:

اهتم الجد بتربية حفيده وتنشئته تنشئة صحيحة وتعليمه العربية والقرآن والنحو والشعر والأدب، إلى غير ذلك من العلوم التي يدرسها عادةً الناشئة ويقبل عليها الدارسون .وتهيأت لابن زيدون منذ الصغر عوامل التفوق والنبوغ فقد كان ينتمي إلى أسرة واسعة الثراء، ويتمتع بالرعاية الواعية من جده وأصدقاء أبيه، ويعيش في مستوى اجتماعي وثقافي رفيع، فضلاً عما حباه الله به من ذكاء ونبوغ، وما فطره عليه من حب للعلم والشعر وفنون الأدب.

***

ابن زيدون اليتيم يصبح وزيرا (لابن جهور)

كان ((ابن زيدون)) من الصفوة المرموقة من شباب قرطبة ومن ثم فقد كان من الطبيعي أن يشارك في سير الأحداث التي تمر بها حظي "ابن زيدون" بمنصب الوزارة في دولة ((ابن جهور)) واعتمد عليه الحاكم الجديد في السفارة بينه وبين الملوك المجاورين إلا أن ((ابن زيدون)) لم يقنع بأن يكون ظلاً للحاكم واستغل أعداء الشاعر ومنافسوه هذا الغرور منه وميله إلى التحرر والتهور فأوغروا عليه صدر صديقه القديم ونجحوا في الوقيعة بينهما حتى انتهت العلاقة بين الشاعر والأمير إلى مصيرها المحتوم.

***

الأميرة الشاعرة ولادة بنت المستكفي وقصة عشقها:

ولّادة بنت المستكفي أميرة أندلسية وشاعرة عربية من بيت الخلافة الأموية في الأندلس ابنة الخليفة المستكفي بالله اشتهرت بالفصاحة والشعر..

(ولادة) صاحبة أول صالون أدبي عربي:

كان لها مجلس مشهود في قرطبة يؤمه الأعيان والشعراء ليتحدثوا في شؤون الشعر والأدب بعد زوال الخلافة الأموية في الأندلس.

ولدت (ولادة) لام (جارية إسبانية اسمها سكرى) وقد ورثت منها بشرتها البيضاء وشعرها الاصهب وعينيها الزرقاوين. وكانت تخالط الشعراء في زمانها وتجالسهم بل وتنافسهم.

اشتهرت (ولادة) ببيتين من الشعر العربي قيل إنها كانت تكتب كل واحد منهما على جهة من ثوبها بماء الذهب **تقول فيهما:-**

أنـــا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها
أمكّن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيها

***

ومن ضمن من كانوا يحضرون ندوتها الأدبية الشاعر ابن زيدون الذي وقع في غرامها وبادلته العشق والهيام وكان من الطبيعي أن تنشأ علاقة الحب بين تلك المرفهة ذات الحسن والدلال والقلب المرهف وبين ذلك الشاب المثقف الفقيه والشاعر المجيد

***

(ابن زيدون).. توثقت العلاقات بينها وبين ابن زيدون فكتبت إليه ذات مرة مجيبة إياه إلى اللقاء بعد طول إلحاحه تقول:

ترقب إذا جنّ الظلام زيارتي فإنّي رأيت الليل أكتم للسرّ
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ولادة هي الشاعرة العاشقة التي كان لها موقف واضح وصريح من الرجل الـذي أحبته وأعلنت ذلك في أشعارها وقصائدها اللقاء الأول الذي جمع بين العاشقين كان في مدينة قرطبة الأندلسية تحت ظلال الأشجار فأنشب الحب سهامـــه في قلبيهما وجعل أحدهما ملجأ الآخر وملاذه لكن القصة كان لها فصل آخر حزين كانا من أشد منافسي ابن زيدون في حبها (ابو عامر بن عبدوس) و(ابن القلاسي) وقـد هجاهما "ابن زيدون" بقصائد لاذعة فانسحب على الفور "ابن القلاسي" ولكـن ابن عبدوس غالى في التودد إليها وأرسل لها برسالة يستميلها إليه فلما علم ابن زيدون" كتب إليه رسالة على لسان "ولادة" وهي المعروفـة في المـراجع (بالرسالة الهزلية) التي سخر فيها من ابن عبدوس وجعله أضحوكة على كل لان مما جعله يفكر في المكيدة له حتى حيك له من المؤمرات هو واتباعه.

حفلت مراجع الادب بحكايات وقصص الغرام التي كانت بين (ولاّدة) والشاعر (ابن زيدون) وأما النجاح الذي حققه ابن زيدون مع ابن جهور الذي اصطفاه وجعله من رجال دولته وكلفه بالسفارة بينه وبين الرؤساء فقد أصبح موضع حسد يحيط به ويطمح إلى المناصب لديه. وحيكت حول ابن زيدون المؤامرات واتهموه بخيانة ابن جهور حيث اتهمه ابن جهور بالميل إلى المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية فأبعده عن مقاليد الوزارة ووضعه في السجن.

فرارابن زيدون من سجنه:

في السجن.. كتب ابن زيدون قصائد كثيرة يستعطف فيها أبا الحزم جهور"

حاكم قرطبة كما كتب قصائد أخرى لأبي الوليد بن أبي الحزم ليتوسط لدى أبيه وكان أبو الوليد يحب ابن زيدون لكن وساطته لم تنفع فهرب ابن زيدون من السجن وفشلت توسلات "ابن زيدون" ورسائله في استعطاف الأمير حتى تمكن من الفرار من سجنه ليذهب إلى (إشبيلية) ويقيم فيها الى ان يشاء الله.

لم تكتمل قصة العاشقين:

انفصلت (ولادة عن ابن زيدون) وذلك بسبب الغيرة حيث إن ابن زيدون شاب وشاعر وفي منصب الوزير وكانت له بالضرورة تعاملاته التي تغضب ولادة وتجرح كبرياءها مثل مغازلته بعض جواريها لإثارة غيرتها. ومما يروى في ذلك أن (ابن زيدون) استمع يوما إلى جارية ولادة واسمها (عُتبة) عندما كانت تغني فطلب منها أن تعيد:-

***

ما غنته فغضبت ولادة لغيرتها وهجته بأبيات قالت تقول فيها

لَو كنت تنصفُ في الهوى ما بيننا لم تهوَ جاريتي ولم تتخيّرِ

وتركتَ غصنا مثمرا بجماله وجنحتَ للغصنِ الذي لم يثمرِ

***

وقد حكت أشعار (ابن زيدون) مأساته مع ولادة في العديد من القصائد أشهرها التي قال عنها ((المستشرق الإسباني غرسية غومس)) إنها أجمل قصيدة حب نظمها الاندلسيون المسلمون في تاريخ الأدب العربي. وحاول ابن زيدون استدرار عطفها ببراعته الشعرية والشاعرية فاهداها.

نونيته الشهيرة والتي يقول في مطلعها:

أَضْحَى التّنَائي بَدِيْلاً مِنْ تَدانيْنَا وَنَابَ عَنْ طِيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِيْنَا

ألا وقد حانَ صُبحُ البَيْنِ صَبَّحنا حِينٌ فقام بنا للحين ناعِينا

مَن مُبلغ المُبْلِسينا بانتزاحِهم حُزنًا مع الدهر لا يَبلى ويُبلينا

أن الزمان الذي ما زال يُضحكنا ... أنسًا بقربهم قد عاد يُبكينا
غِيظ العِدى من تساقينا الهوى قدعوا ... بأن نَغُصّ فقال الدهر آمينا
فانحلّ ما كان معقودًا بأنفسنا ... وانبتّ ما كان موصولاً بأيدينا
لم نعتقد بعدكم إلا الوفاءَ لكم ... رأيًا ولم نتقلد غيرَه دينا
ما حقنا أن تُقروا عينَ ذي حسد ... بنا ولا أن تسروا كاشحًا فينا
كنا نرى اليأس تُسلينا عوارضُه ... وقد يئسنا فما لليأس يُغرينا
بِنتم وبنا فما ابتلت جوانحُنا ... شوقًا إليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تُناجيكم ضمائرُنا ... يَقضي علينا الأسى لولا تأسّينا
حالت لفقدكم أيامنا فغَدَتْ ... سُودًا وكانت بكم بيضًا لياليِنا

***

إذ جانب العيش طَلْقٌ من تألّفنا ... ومورِدُ اللهو صافٍ من تصافينا
وإذ هَصَرْنا غُصون الوصل دانية ... قطوفُها فجنينا منه ما شينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما ... كنتم لأرواحنا إلا رياحينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يُغيّرنا ... أن طالما غيّر النأي المحبينا
والله ما طلبت أهواؤنا بدلاً ... منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
يا ساري البرق غادِ القصرَ فاسق به ... من كان صرفَ الهوى والود يسقينا

***

واسأل هناك هل عنّي تذكرنا ... إلفًا تذكره أمسى يُعنّينا
ويا نسيمَ الصّبا بلغ تحيتنا ... من لو على البعد حيًّا كان يُحيينا
فهل أرى الدهر يقصينا مُساعفةً ... منه ولم يكن غبًّا تقاضينا
ربيب ملك كأن الله أنشأه ... مسكًا وقدّر إنشاء الورى طينا

أو صاغه ورقًا محضًا وتوّجه من ناصع التبر إبداعًا وتحسينا
إذا تـــأوّد آدتـــه رفـــاهية تَومُ العُقود وأدْمتـه البُرى لينا

كانت له الشمسُ ظِئْرًا في أكِلّتِه بل ما تجلّى لها إلا أحايينا
كأنما أثبتت في صحن وجنته زُهْرُ الكواكب تعويذًا وتزيينا
ما ضرّ أن لم نكن أكفاءه شرفًا وفي المودة كافٍ من تكافينا
يا روضةً طالما أجْنَتْ لَواحِظُنا وردًا أجلاه الصبا غضًّا ونسْرينا
ويا حياةً تَمَلّينا بزَهرتها مُنًى ضُرُوبًا ولذّاتٍ أفانينا
ويا نعيمًا خَطَرْنا من غَضارته في وَشْيِ نُعمى سَحَبْنا ذَيْلَه حِينِ

***

لسنا نُسَمّيك إجلالاً وتكْرِمَةً وقدرك المعتلى عن ذاك يُغنينا
إذا انفردتِ وما شُورِكْتِ في صفةٍ فحسبنا الوصف إيضاحًا وتبيينا
يا جنةَ الخلد أبدلنا بسَلْسِلها والكوثر العذب زقّومًا وغِسلينا
كأننا لم نَبِت والوصل ثالثنا والسعد قد غَضَّ من أجفان واشينا
سِرّان في خاطرِ الظّلْماء يكتُمُنا حتى يكاد لسان الصبح يُفشينا
لا غرْوَ في أن ذكرنا الحزن حين نَهتْ عنه النُّهى وتركْنا الصبر ناسينا

إذا قرأنا الأسى يومَ النّوى سُوَرًا مكتوبةً وأخذنا الصبر تَلْقِينا
أمّا هواكِ فلم نعدل بمنهله شِرْبًا وإن كان يروينا فيُظمينا
لم نَجْفُ أفق جمال أنت كوكبه سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختيارًا تجنبناه عن كثَبٍ لكن عدتنا على كره عوادين
نأسى عليك إذا حُثّت مُشَعْشَعةٌ فينا الشّمُول وغنّانا مُغَنّينا

لا أكْؤُسُ الراحِ تُبدى من شمائلنا سيما ارتياحٍ ولا الأوتارُ تُلهينا

***

دُومي على العهد ما دُمْنا مُحافِظةً فالحُرُّ مَنْ دان إنصافاً كما دِينا
فما استَعَضْنا خليلاً منك يحْبسنا ولا استفدنا حبيبًا عنك يُثْنينا
ولو صَبا نَحْوَنا من عُلْوِ مَطْلَعه بدرُ الدُّجى لم يكن حاشاكِ يُصْبينا
أوْلِي وفاءً وإن لم تبْذُلي صِلَةً فالطيفُ يُقْنِعُنا والذِّكْرُ يكفينا
وفي الجواب متاعٌ لو شفعتِ به بِيْضَ الأيادي التي ما زلْتِ تُولينا
عليكِ مِني سلامُ اللهِ ما بَقِيَتْ صَبابةٌ منـــكِ نُخْفِـيها فتُخفينا

***

لم تأبه (ولادة) بابن زيدون ولا بقصيدته و ارادت ان تجازيه غيظاً فألقت شباكها على رجل قليل الذكاء وواسع الثراء هو الوزير أبو عامر بن عيدوس ثم قطعت علاقتها بابن زيدون وانستها الايام ما كان بينهم.

وفاة العاشقة ولادة بنت المستكفي:

عاشت (ولادة بنت المستكفي) دون زواج طوال حياتها ولم تتزوج وعمّرت لما يقرب من مئة عام ثم توفيت في العام٤٨٤ هجري .أي بعد وفاة ابن زيدون بعقدين من الزمن تقريباً.

***

* مختارات من أشعار ابن زيدون :

يقول ابن زيدون:

أيَتُها النفسُ إليهِ إذهَبي فما لقلبي عَنهُ من مَذهَبِ
مُفَضَّضُ الثَغرِ لَهُ نُقطَةٌ من عَنبَرٍ في خَدِّهِ المُذهَبِ

ويقول ايضاً:

أتهجرني وتغصبني كتابي وما في الحق غصبي واجتنابي
أيجمل أن أبيحك محض ودّي وأنت تسومني سوء العذاب

***

ويقول:

قل لأبي حفص ولم تكذب يا قمر الديوان والموكب
ما لأبي صفوان مألوفنا أبرق في الألفة عن خلب

***

وفي اخرى يقول:

قد بعثناهُ ينفعُ الأعضاء حين يجلو بلُطفه السخناء
جاء يُزهى بمُستشفٍ رقيق يخدعُ العين رقّةً وصفاء

***

يقول:

أحمدت عاقبةَ الدواء ونلتَ عافيةَ الشفاء
ونلتَ عافيةَ الشفاء خرجَ الحُسامُ من الجلاء

***

وهو القائل:

سرّك الدهرُ وساءَ فاقنَ شكراً وعزاء
كم أفادَ الصبرُ أجراً واقتضى الشكرُ نماء

***

وايضا يقول:

ولَمّـا إلتَقَينـا لِلوَداعِ غُدَيَّةً وقَد خَفَقَت في ساحَةِ القَصرِ راياتُ
وقُرِّنَتِ الجُردُ العِتاقُ وصَفَّقَت طُبولٌ ولاحَت لِلفِراقِ علاماتُ

***

ابن زيدون يقول:

أَجِدُّ وَمَن أهواهُ في الحُبِّ عابِثٌ وأوفي لَهُ بِالعَهدِ إذ هُوَ ناكِثُ
حَبيبٌ نَأى عَنّي مَعَ القُربِ والأسى مُقيمٌ لَهُ في مُضمَرِ القَلبِ ماكِثُ

***

ويقول:

أعرفُكِ راحَ في عُرفِ الرياحِ فَهَزَّ من الهوى عِطفَ إرتياحي
وذِكـرُكِ ما تَعـــرَّضَ أم عَذابٌ غَصِصتُ عَلَيـــهِ بِالعَـــذبِ القَراحِ

ابن زيدون قائلاً:

أما وَألحاظِ مراضٍ صِحاحٍ تُصيبي وأعطافٍ نَشاوى صَواحِ
لِفاتِنٍ بِالحُسنِ في خَدِّهِ وَردٌ وَأثناءَ ثَناياهُ راحِ

***

وما زال يقول:

أجَل إنَّ لَيلى حيثُ أحياؤُها الأُسدُ مَهاةٌ حَمَتها في مَراتِعِها أُسدُ
يَمانِيَةٌ تَدنو وَيَنأى مَزارُها فَسيّانِ مِنها في الهَوى القُربُ وَالبُعدُ

***

قال:

هَل يَشكُرَنَّ أبو الوَليدِ إدناءَكَ الأَملَ البَعيدِ
أو أَن تُسَوِّغَ نِعمَةً لِلدَهرِ أسهَرَتِ الحَسودِ

يقول:

كَم لِريحِ الغَربِ من عُرفِ نَدِيّ ... كَالشَرابِ العَذبِ في نَفسِ الصَدِيّ
حيثُ عبّادُ فَتى المَجدِ الّذي ... نَصَبَت الدُنيا بِهِ نَصَّ الهَدِيّ

* * *

من اشعاره:

أشمتَ بي فيكِ العِدا ... وبَلَغتِ من ظُلمي المَدى
لَو كانَ يملكُ فِديَةً ... من حُبِّكِ القَلبُ افتَدى

يقول:

أفاضَ سَماحُكَ بَحرَ النَدى ... وأقبَسَ هديُكَ نورَ الهُدى
وردَّ الشَبابَ إعتِلاقُكَ بَعد ... مُفارقَتي ظِلَّهُ الأبرَدا

* * *

قال:

لَمّا إتّصلتِ إتّصالَ الخِلبِ بالكَبِدِ ... ثُمَّ امتزجتِ إمتزاجَ الروحِ بالجَسَدِ
ساءَ الوُشاةُ مكاني منكِ وإتّقَدَت ... في صَدرِ كُلِّ عَدُوٍّ جَمرَةُ الحَسَدِ

* * *

وننهي بهذين البيتين (لابن زيدون) يقول فيهما:

باعَدتِ بالإعراضِ غيرَ مُباعِدٍ ... وزَهدتِ فيمَن ليسَ فيكِ بزاهِدِ
وسَقيتِني من ماءِ هجرِكِ ما لَهُ ... أصبَحتُ أشرَقُ بالزُلالِ البارِدِ

* * *

فتنة اشبيلية ووفاة ابن زيدون:

وقعت فتنة بإشبيلية وذلك بسبب رجل (يهودي) بطش به مسلم فثأر أهل ملته وتفاقم الأمر فعجّل المعتمد بإرسال نفر من كبار رجال دولته إلى إشبيلية لتلافي

الفتنة وأوفد معهم ابن زيدون الذي كان قد بدأه المرض، ولما وصل إشبيلية اشتد به الداء وقضى نحبه في ١٥ من رجب ٤٦٣هجري الموافق: ١٧ من أبريل ١٠٧٠ ميلادي بأشبيلية بالأندلس في عهد المعتمد بن عباد.

***

(رابعة العدوية .. عاشقة الحب الالهي)

هي: "رابعة العدوية" الملقبة (بام الخير) البصرية بنت إسماعيل مولاة آل عتيك من بني عدوة، وولدت بالبصرة وعاشت زمناً طويلاً.. فقد نشأت بين أبوين فقيرين صالحين بالبصرة وجاءت بعد ثلاث بنات فسماها والدها "رابعة."

***

الاسم.. والمولد:

هي: رابعة بنت إسماعيل العدوي عراقية الاصل ولدت في مدينة البصرة ويرجح مولدها حوالي (عام مئه للهجرة الموافق للعام: ٧١٧ للميلاد) من أب عابد فقير، وهي ابنته الرابعة وهذا يفسر سبب تسميتها رابعة فهي البنت "الرابعة."

وقد توفي والدها وهي طفلة دون العاشرة ولم تلبث الأم أن لحقت به لتجد رابعة وأخواتها أنفسهن بلا عائل يُعينهن علي الفقر والجوع والهزال، فذاقت رابعة مرارة اليتم الكامل دون أن يترك والداها من أسباب العيش لهن سوى قارب ينقل الناس بدراهم معدودة في أحد أنهار البصرة كما ذكر في كتاب (تذكرة الأولياء).

كانت رابعة تخرج لتعمل مكان أبيها ثم تعود بعد عناء تهون عن نفسها بالغناء وبذلك أطلق الشقاء عليها وحرمت من الحنان والعطف الأبوي، وبعد وفاة والديها غادرت رابعة مع أخواتها البيت بعد أن دب البصرة جفاف وقحط أو وباء وصل إلى حد المجاعة ثم فرق الزمن بينها وبين أخواتها، وبذلك أصبحت رابعة وحيدة مشردة،

وأدت المجاعة إلى انتشار اللصوص وقُطّاع الطرق، فخطفت رابعة من قبل أحد اللصوص وباعها بستة دراهم لأحد التجار القساة من (آل عتيق البصرية) وأذاقها التاجر سوء العذاب، ولم تتفق آراء الباحثين على تحديد هوية رابعة فالبعض يرون أن (آل عتيق) هم بني عدوة لذا لقبت (برابعة العدوية) .

***

رابعة العدوية تباع في سوق الجواري:

وفي تلك الأثناء تربص بها احد اللصوص فخطفها وادعى أنها جارية له ليبيعها لأحد التجار بستة دراهم، وكان رجل لا يرقب في الله إلّا ولا ذمة، فكان يذيقها أنواع العذاب والسخرة. فكانت تناجي ربها باكية: "إلهي.. أنا يتيمة معذّبة أرسف في قيود الرّق وسوف أتحمّل كل ألم وأصبر عليه.. فباعها وكانت تؤدي عملها في بيت سيدها بما يرضي ضميرها وتؤدي فريضة ربّها في إخلاص وتفانٍ. استيقظ سيدها ذات ليلة فسمعها تناجي ربها وهي ساجدة تقول: إلهي أنت تعلم أن قلبي يتمنّى طاعتك.. ونور عيني في خدمتك .. ولو كان الأمر بيدي لما انقطعت لحظة عن مناجاتك.. لكنك تركتني تحت رحمة مخلوق قاسٍ من عبادك.

وخلال دعائها وصلاتها شاهد سيدها قنديلاً فوق رأسها يحلق وهو بسلسلة غير معلق وله ضياء يملأ البيت كله، فلما أبصر هذا النور العجيب فــزع، وظل

ساهدًا مفكرًا حتى طلع النهار، هنا دعا رابعة وقال: أي رابعة وهبتك الحرية، فإن شئت بقيت ونحن جميعًا في خدمتك، وإن شئت رحلت أنى رغبت، فما كان منها إلا أن ودعته ومن بعدها ارتحلت .

***

رابعة.. في طفولتها:

لقد اهتمت "رابعة" منذ صغرها بحفظ القرآن الكريم وترتيله وتجويده وترددت على المساجد لتسمع العلم على شيوخه وتشهد مجالس الذكر. وقد وقى "رابعة" علمها وفقهها من الوقوع في حبائل الشيطان، وحفظ الله قلبها وهذا هو حال العاملين الصادقين في إيمانهم فيقول الله عز وجل:﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وازدادت رابعة بذلك تواضعًا لله وقد أثر عن "رابعة" من شعرها الكثير في الزهد والشوق إلى الله. ومن بعدها دخلت السيدة رابعة العدوية طريق العابدات الزاهدات فشغلت ليلها بالتهجد والمناجاة ونهارها بالذكر، فكانت تحضر حلقات المساجد والأذكار فاتخذت حياتها في حلقات الذكر والوعظ والإرشاد ومجاهدة النفس.

تعرفها على العابدة ((حيونة)):

تعرفت (رابع العدوية) على العابدة الصالحة السيدة (حيونه) وكانت من كبار العابدات في مدينة البصرة وهذه المرأة أثرت في السيدة رابعة أشد التأثير، فكانت رابعة تزورها وتقضي الليل معها، فتخلوا بنفسها وتنشد:

راحتي يا إخوتي في خلوتي وحبيبي دائماً في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عوضا وهواه في البرايا محـــنتي
حيثما كنـــت أشاهد حســـنة فهو محرابي وإليه قبلتي

الاختلاف بين الكتاب في شخصية شهيدة العشق الالهي:

اختلف الكثيرون في تصوير حياة وشخصية العابدة رابعة العدوية فقد صورتها (السينما) في الجزء الأول من حياتها كفتاة لاهية تمرّغت في حياة الغواية والخمر والشهوات قبل أن تتجه إلى طاعة الله وعبادته، في حين يقول البعض أن هذه صورة غير صحيحة ومشوهة لرابعة في بداية حياتها، فقد نشأت في بيئة

إسلامية صالحة وحفظت القرآن الكريم وتدبّرت آياته وقرأت الحديث وتدارسته وحافظت على الصلاة وهي في عمر الزهور، وعاشت طوال حياتها عذراء بتولاً برغم تقدم أفاضل الرجال لخطبتها لأنها انصرفت إلى الإيمان والتعبّد ورأت فيه بديلاً عن الحياة مع الزوج والولد.

ويختلف الكاتب والمفكر (عبد الرحمن بدوي) في كتابه شهيدة العشق الإلهي أسباب اختلافه مع الصورة التي صورتها السينما لرابعة بدلالات كثيرة منها الوراثة والبيئة، بالإضافة إلى الاستعداد الشخصي. وكان جيران أبيها يطلقون عليه "العابد"، وما كان من الممكن وهذه تنشئة رابعة أن يفلت زمامها، كما أنها رفضت الزواج بشدة.

- تصوف رابعة العدوية:

رابعة تختلف عن متقدمي الصوفية الذين كانوا مجرد زهاد ونساك، ذلك أنها كانت صوفية بحق، يدفعها حب قوي دفاق، كما كانت في طليعة الصوفية الذين قالوا بالحب الخالص، الحب الذي لا تقيده رغبة سوى حب الله العلي القدير وحده .فكيف استمدت (رابعة العدوية) هذه القوّة الخارقة في مقارعة الخوف.. وكيف استطاعت أنثى بعيدة عن كنف الأب والزوج أن تكون قبلة الزهاد والأولياء والصوفية؟ وكيف لهذه المرأة أن تكون أقوى من الرجال بحيث أصبحت مضرب الأمثال في كل العصور والأزمان؟!.

- من أقوال العلماء في التصوف الصحيح:

- **الإمـــام النـــووي:**

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في رسالته

"مقاصد الإمام النووي في التوحيد والعبادة وأصول طريق التصوف خمسة:

- **تقوى الله في السر والعلانية.**
- **اتباع السنة في الأقوال والأفعال.**
- **الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار.**
- **الرضى عن الله في القليل والكثير.**
- **الرجوع إلى الله في السراء والضراء.**

***

الورع عند رابعة العدوية:

لقد عرفت رابعة العدوية أن الورع هو المدخل الأسنى في الدخول على حضرة علام الغيوب وفي ذلك يقول سهل بن يحيى: " لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه هذه الأربع: أداء الفرائض بالسنن، وأكل الحلال بالورع، واجتناب النهي عن الظاهر والباطن والعبد على ذلك حتى الممات .. وقد أورد ابن خلكان حكاية عن ورعها وتقواها فقال: قالت رابعة العدوية لأبيها: يا أبت، لست أجعلك في حل من حرام تطعمينه فقال لها: أرأيت إن لم أجد إلا حراماً؟ قالت: نصبر في الدنيا على الجوع خير من أن نصبر في الآخرة عن النار ما اجمل واروع .. ورع هذه العابدة للرب العاشقة للذات الالهية. فالورع في ديننا أن تطيب مطعمك فلا تأكل إلا الحلال وهكذا كان وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين إذ قال: مثل المؤمن كالنحلة، إذا أكلت لا تأكل إلا طيباً وإذا أخرجت لا تخرج إلا طيباً، إذا وقفت على عود نخر لم تكسره. وإن من أهم صفات أهل الله الصالحين، والصوفية المخلصين العزوف عن الدنيا وزخارفها، والإقبال بالقلب على الله. وهذا ما عنته رابعة العدوية في ردها على من طلب زواجها. أورد ابن خلكان حكاية عن رابعة العدوية قال فيها: "كان أبو سلمان الهاشمي له بالبصرة كل يوم ثمانين ألف درهم فبعث علماء البصرة في امرأة يتزوجها، فأجمعوا على رابعة العدوية، فكتب، إليها:

أما بعد فإن ملكي من غلة الدنيا في كل يوم ثمانون ألف درهم، وليس يمضي إلا قليل حتى أتمها مائة ألف إن شاء الله، وأنا أخطبك نفسك، فأجبيبني، فكتبت إليه: أما بعد فإنّ الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهمّ والحزن، فإذا أتاك كتابي فهي زادك وقدم لمعادك، وكن وصي نفسك، ولا تجعل وصيتك إلى غيرك وهم دهرك، واجعل الموت فطرك، فما يسرني أن الله خوّلني أضعاف ما خوّلك فيشغلني بك عنه طرفة عين . وكانت رابعة تعيش دهرها بين عبادة وذكر، خوف ورجاء وهكذا كان فهم الصوفية لديها.

***

رسالة العابدة ((رابعة العدوية)):

ومن الفضائل في رسالة رابعة لكل إنسان كانت: أن نحب من أحبنا أولاً وهو ((الله الخالق العظيم)).

ومـــن أقوالهـــا:

(سئلت رابعة العدوية: متى يكون العبد راضيًا..؟ فقالت: إذا سرته المصيبة كما سرّته النعمة).

***

أشعار رابعة العدوية في العشق الألهي:

تمتعت رابعة بموهبة الشعر وتأججت تلك الموهبة بعاطفة قوية ملكت حياتها فخرجت الكلمات منسابة من شفتيها تعبر عما يختلج بها من وجد وعشق لله، وتقدم

ذلك الشعر كرسالة لمن حولها ليحبوا ذلك المحبوب العظيم. ومن أشعارها في إحدى قصائدها التي تصف حب الخالق فتقول:

***

أحبك حبين حب الهوى ... وحب لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمّن سواك
وأما الذي أنت أهلٌ له ... فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمدُ في ذا وذاك
ولما علمت بأن قلبي فارغ ... ممن سواك ملأته بهواك
وملأت كلّي منك حتى لم ... أدع مني مكاناً خالياً لسواك
فالقلب فيه هيامه وغرامه ... والنطق لا ينفكّ عن ذكراك
والطرف حيث أجيله متلفتاً ... في كل شيء يجتلي معناك
والسمع لا يصغي إلى متكلم ... إلا إذا ما حدّثوا بحلاك

قصيدة عرفت الهوى:

عرفت الهوى مذ عرفت هواك ... واغلقت قلبي عمن سواك
وكنت اناجيك يا من ترى ... خفايا القلوب ولسنا نراك
احبك حبين حب الهوى ... وحبا لانك اهل لذاك
فاما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواك
واما الذي انت اهل له ... فكشفك للحجب حتى اراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاك
أحبك حبين حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذاك
واشتاق شوقين شوق النوى ... وشوق لقرب الخلي من حماك
فأما الذي هو شوق النوى ... فمسرى الدموع لطول نواك
أما اشتياق لقرب الحمى ... فنار حياة خبت في ضياك

•••

قصيدة راحتي:

راحتي يا أخوتي في خلوتي ... وحبيبي دائماً في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عوضاً ... وهواه في البرايا محنتي
حيثما كنت أشاهد حسنه ... فهو محرابي إليه قبلتي
إن أمت وجداً وماثم رضا ... واعناني في الورى وشقوتي
يا طبيب القلب يا كل المنى ... جد بوصل منك يشفي مهجتي
يا سروري وحياتي دائماً ... نشأتي منك وأيضاً نشوتي
قد هجرت الخلق جميعاً ارتجي ... منك وصلاً فهل أقضي أمنيتي

***

قصيدة يا سروري:

يا سروري ومنيتي وعمادي ... وأنيسي وعُدتي ومرادي
أنت روح الفؤاد أنت رجائي ... أنت لي مؤنس وشوق كزادي
أنت لولاك يا حياتي وأُنسي ... ما تشتتُ في فسيح البلاد
كم بدت مِنة وكم لك عندي ... من عطاءٍ ونعمةٍ وأيادي
حُبك الآن بُغيتي ونعيمي ... وجلاءُ لعين قلبي الصادي
ليس لي عندك ما حييت براحٍ ... أنت منى مُمكنُ في السواد
إن تكن راضياً عليَ فإني ... يا مُنى القلب قد بدا إسعادي

***

قصيدة وزادي قليل:

وا رحمتاً للعاشقين قلوبهم ... في تيه ميدان المحبة هائمه
قامت قيامة عشقهم فنفوسهم ... أبداً على قدم التذلل قائمه
إما إلى جنات وصل دائما ... أو نار صدٍ للقلوب ملازمه

وزادي قليل ما أراه مُبلّغي ... أللزاد أبكي أم لطول مسافتي
أتحرقُني بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائي فيك أين مخافتي
إني جعلتك في الفؤاد محدثي ... وأبحتُ جسمي من أراد جلوسي
فالجسم من للجليس مؤانس ... وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

***

قصيدة كأسي:

كأس المسرة والنعيم يديرها ... ساقي المدام على المدى متتابعه
فإذا نظرت فلا أُرى إلا له ... وإذا حضرت فلا أُرى إلا معه

***

قصيدة أن تكن راضيا:

إن تكن راضياً عليَ فإني ... يا مُنى القلب قد بدا إسعادي
راحتي يا إخوتي فيخلوتي ... وحبيبي دائما في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عوضا ... وهواه فيا لبرايا محنتي
حيثما كنت أشاهد حُسنه ... فهو محرابي إليه قبلتي
إنأمت وجداً وما ثم رضا ... واعنّاني في الورى وشقوتي
يا طبيب القلب يا كلالمنى ... جُد بوصلٍ منك يشفى مُهجتي
يا سروري وحياتي دائما ... نشأتي منكو أيضا نشوتي
قد هجرتُ الخلق جمعا أرتجي ... منك وصلا فهو أقصى مُنيتي
وارحمتاً للعاشقين قلوبهم ... في تيه ميدان المحبة هائمه
قامت قيامة عشقهم فنفوسهم ... أبداً على قدم التذلل قائمه
إما إلى جنات وصل دائما ... أو نار صدٍ للقلوب ملازمه
وزادي قليل ما أراه مُبلّغي ... أللزاد أبكي أم لطول مسافتي

أتحرقُني بالنار يا غاية المنى فأينرجائي فيك أين مخافتي
إني جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحتُ جسمي منأراد جلوسي
فالجسم من للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

***

قصيدة لا أرى الا الاله:

وتخللت مسلك الروح مني وبه سمى الخليل خليلا
فإذا ماتطقتْ كنت حديثي وإذا ما سكتُ كنت الغليلا
حبيبُ ليس يعدله حبيب ولا لسواه في قلبي نصيب

***

قصيدة ياحبيب القلب:

يا حبيب القلب يا كل المنى جد بوصل منك يشفي مهجتي
يا سروري وحياتي دائما نشأتي منك وأيضا نشوتي
قد هجرت الخلق جمعا أرتجي منك وصلا فهو أقصى منيتي

***

وفاتها:

ودعت (رابعة العدوية) الحياة بعد أن بلغت الثمانين من عمرها، وقد ذاقت ما ذاقت من البلاء، لكنها تمتعت بالأنس بالله والفرح بطاعته، وكانت ترى أنه لا راحة للمؤمن إلا بعد الموت على الإيمان الذي لم يفارقها ذكره، وقد كفنت في جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون، وقد رأتها خادمتها في المنام وعليها حلة من إستبرق وخمار من سندس أخضر لم ير أجمل منه.

وكانت وفاتها سنة ثمانين ومائة وقيل خمس وثمانين ومائة ودفنت بالقدس وقبرها على رأس جبل الطور وقد كرمها الله بهذه الذكرى الطيبة التي تحيي في القلوب الفاترة الغافلة الهمة واليقظة.

***

الخاتمة:

التحقيق فيما ينسب إلى رابعة العدوية أو غيرها من أقوال ومواقف، فليس كل ما نسب إليها صحيحًا موثقًا، بل قد يكون مشكوكًا في نسبته إليها، أو مقطوعًا بنفيه عنها.

من ذلك: أنهم نسبوا إليها هذه الأبيات المشهورة تناجي بها ربها سبحانه:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

***

والابيات ليست لرابعة، بل البيتان: الأول والثاني من شعر(أبي فراس الحمداني) في خطاب ابن عمه الأمير المشهور سيف الدولة، وهما مذكوران في ديوانه من قصيدة مطلعها:

أما لجميل عندكن ثواب ... ولا لمسيء عندكن متابُ
لقد ضل من تحوي هواهُ خريدة ... وقد ذل من تقضي عليه كعابُ

ومن أبياتها الشهيرة تقول:

بمن يثقُ الإنسان فيما ينوبهُ ومن أين للحر الكريم صحابه
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ذئابا على أجسادهن ثياب

(وأبو فراس) كان في القرن الرابع الهجري (ورابعة) في القرن الثاني فقد اختلفوا في سنة وفاتها فمنهم من قال: (سنة ١٣٥ هجرية ومن قال سنة ١٨٥ هجرية) والراجح هو الثاني.. أما البيت الأخير فهو من قصيدة للمتنبي في مدح كافور وكل ما في الأمر أن الصالحين وجدوا أن هذا الشعر لا يجوز أن يخاطب به إلا الله جل جلاله فنسبوا الخطاب فيه إلى من هو أهل له.

***

الشاعرة الفاطمية (تقية بنت غيث)

لقد اختص الإسلام المرأة بامتيازات تقديرا واكراما لها .. فالمرأة على درجة واحدة مع الرجل في التكريم والإجلال عند الله لقوله تعالى: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)) والمرأة في الزواج سكناً ومصدرا للمودة والحنان والرجل لها ذلك لقول الله تعالى:((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) .

***

ودون أدنى شك فقد كرم الاسلام المرأة وكفل لها حق الحياة ونهى عن تلك البربرية التي كانت سائدة في الجاهلية ألا وهي وأد البنات ومنح المرأة من الحقوق ما رفع مكانتها وأعلى من شأنها بالنسبة لما كانت عليه قبل الإسلام ومن الواضح

جليا أن الاتجاه السائد في الخطاب القرآني وفي الأحاديث النبوية الشريفة هو المساواة التامة فيما يختص بالعبادات والواجبات الدينية وكذلك خصها الإسلام بالتكريم بوصفها أما ومنحها مكانة سامية في الجنة كما جاء في الحديث الشريف **(الجنة تحت أقدام الأمهات)**.

كذلك جاء في القرآن الكريم كثير من الآيات ومن المصطلحات التي تؤكد التسوية بين الرجل والمرأة.. وتكليف المرأة بنفس ما كلف به الرجل فيما عدا ما يتنافى مع طبيعة المرأة وتكوينها الفسيولوجي.. مثل الجهاد في سبيل الله حيث أن الجهاد فرض كفاية وليس فرض عين وأعفى الله سبحانه وتعالى المرأة من مسئولية الجهاد ومن هذه المصطلحات التي تؤكد التسوية بين الرجل والمرأة عبارات فيها ضبط قياسي وتطابق لغوي مثلما جاء في الآية الكريمة من قوله تعالى ((والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)) وكان يمكن الاكتفاء بجمع المذكر فقط حيث أنه من المعروف في قواعد اللغة العربية أن جمع المذكر يشمل المذكر والمؤنث ولكن حرص الخطاب القرآني على تكرار جمع المؤنث للتأكيد على أن النساء لهن مثل الرجال من أجر وثواب.

وكذلك من قوله تعالى ((للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب)) ومن قوله ايضا ((هن متاع لكم وانتم متاع لهن)) هذا التطابق في الآيات الكريمة ما هو الا تأكيدا على التكافؤ والتكامل بين الرجل والمرأة

***

وعبر التاريخ الإسلامي شاركت المرأة المسلمة مع الرجل جنبا إلى جنب في الكفاح لنشر الإسلام والمحافظه عليه فقد اشتركت المرأة المسلمة في أول هجرة للمسلمين إلى الحبشة وكذلك في الهجرة إلى المدينة المنورة وخرجت مع الرجال في الغزوات التي قادها الرسول (عليه الصلاة والسلام) لنشر الإسلام .واقول ان التاريخ الإسلامي يؤكد لنا أن أول شهيدة في الإسلام هي امرأة تمسكت بالدين الإسلامي وبالتوحيد حتي استشهدت وشاركت النساء في مبايعة الرسول(عليه الصلاة والسلام)

والمبايعة او البيعة معناها الانتخاب والتصويت طبقا للمصطلح الحديث.. بايعت النساء المسلمات النبي(عليه الصلاة والسلام) في بيعتي العقبة الاولى والثانية طبقا لما ذكرته كتب السنة وعن رواية للصحابية الجليلة (أميمة بنت رقيقة) **عندما قالت:** (جئت الى النبي الكريم في نسوة نبايعه فقال لنا فيما استطعتن وأطقتن)) وهذه المشاركة النسائية في البيعة لرسولنا الكريم تعتبر اقرارا لحقوق المرأة السياسية. إذ أن بيعة العقبة تعتبر عقد تأسيس الدولة الإسلامية الاولى في يثرب .كما أن الإسلام منح المرأة حق الذمة المالية قبل كل الحضارات الأخرى التي كانت تعتبر المرأة ملكا لزوجها يتصرف هو في مالها بحرية وليس لها الحق في مراجعته وكان هذا هو حال المرأة الغربية في أوروبا منذ القرون الوسطى وحتى نهاية القرن التاسع عشر بينما المرأة المسلمة تمتعت بهذا الحق منذ ظهور دين الاسلام الحنيف .

* * *

وتكريما لدور المرأة الادبي في مختلف العصور نستعرض معكم احبتي الغوالي السيرة الذاتية للشاعرة الفاطمية تقية بنت غيث مع قطوف من ديوانها الخالد.

_ تقية بنت غيث:

يقول عنها (ابن خلكان في وفيات الأعيان)..هي: تقية بنت علي بن فاضل بن سعد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن يحيى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن محمد بن صمدون بن غيث.

كانت فاضلة ولها شعر جيد وتتلمذت على يد الحافظ أبا الطاهر أحمد بن محمد السِّلَفي الأصبهاني رحمه الله.. زماناً بالإسكندرية.. وذكرها في بعض تعاليقه وأثنى عليها.

مولدهـــا:

ولدت (تقية بنت غيث) في شهر المحرم من العام ٥٠٥ هجري الموافق للعام ١١١١ ميلادي ولما اكتمل عمرها ثلاثة عشر عاما كانت مدينة (صور) قد احتلتها

القوات الصليبية سنة ٥١٨ هجرية وعليه رحل والدها مع عائلته من دمشق الى الاسكندرية حيث اصبح هناك قاضيا و سكنت مدينة الإسكندرية .

لقبهـــا:

هي :شاعرة العصر الفاطمي.. لقبت (بست النعم) وكانت من الأديبات المرموقات في عصرها الفاطمي.

نشأتهـــا:

نشأت (تقية بنت غيث) في بيت ثقافي شعري و علمي وقالت الشعر منذ صباها وكانت نجيبة ذكية حافظة كانت تشبعت منذ صغرها بالشعر وتذوقته في الصغر ولا غرابة في ذلك فقد كان جدها أبو الحسن علي بن عبد السلام من الشعراء البارزين في مدينة (صور) وقد كان ابوها ابو الفرج غيث كاتبا وخطيبا وكان جدها أبو الحسن علي بن عبد السلام من الشعراء البارزين في مدينة صور وقد ذكرها علي أبوطاهر في كتابه ووصفها بأنها سيدة تقية شعرها لم ير له نظيرا وكانت مثقفة ثقافة واسعة وأشاد بشعرها أدباء آخرون مثل: الصفدي.. والمنذري. والمقدسي .

ما قيل عن (تقية بنت غيث):

ويقول ابن (خلكان) حكى لي الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري رحمه الله أن تقية بنت غيث نظمت قصيدة تمدح بها الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين رحمهما الله.. وكانت القصيدة خمرية ووصفت آلة المجلس وما يتعلق بالخمر فلما وقف عليها قال: الشيخة تعرف هذه الأحوال من زمن صباها .. فبلغها ذلك فنظمت قصيدة أخرى حربية ووصفت الحرب فيها وما يتعلق بها على أحسن وصف ثم سيرت إليه تقول) علمي بهذا كعلمي بهذا وكان قصدها براءة ساحتها مما نسب إليها وكانت قد سألت الشيخ الإمام العالم أبا الطاهر إسماعيل بن عوف الزهري عن الشعر فقال: هو كلام إن

تكلمت بحسن فهو لك وإن تكلمت بشرٍّ فهو عليك اي ان حسن الشعر حسن وقبيحة قبيح.

ويحكي عنها القاضي ..أبو القاسم حمزة بن عثمان المخزومي المصري انه عندما وفد إلى دمشق في شعبان سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ومعه دفتر يحتوي على شعر تقية بنت غيث وقد سمعه منها وخطها عليه وكان ذلك بتاريخ محرم سنة تسع وستين وخمسمائة بالإسكندرية يقول نظمت الشاعرة تقية بنت غيث قصائد في المديح فمدحت المظفر ابن أخي السلطان صلاح الدين ..وقالت شعرها في المعارك والملاحم والفخر وكانت لها البراعة التامة وقوة تطويع المعاني والكلمات ويتميز شعرها ببلاغته واسلوبه الجيد ومعانيه الرائعة وكانت لها القابلية على تطويع شعرها كيفما تشاء وكان نظمها بديعا متقنا مغاير لشعر النساء العرب من قبلها.

***

_ مقتطفات من ديوان شعر ((تقية بنت غيث)):

تقول تقية بنت غيث:

أعوامُنَا قد أَشْرَقَتْ أيّامُهَا ... وعلا على ظَهْرِ السِّماكِ خيامُهَا
والروضُ مُبْتَسِمٌ بنَوْرِ أقاحِهِ ... لما بكى فَرَحاً عليه غَمَامُهَا
والنَّرْجِسُ الغضُّ الذي أحْدَاقُهُ ... تَرْنُو لتَفْهَمَ ما يقولُ خُزَامها
والوردُ يحكي وجنةً محمَرّةً ... انحــلّ من فَــرْطِ الحيــاءِ لِثامها

***

وتقول: (تقية بنت غيث)

فَدَتْكَ حياتي قد تقدَّمَ قبلنا ... إلى مدْحهم قومٌ وقالوا فأفْصحوا
وللمتنبي أحرُفٌ في مديحه ... على نَفْسِهِ بالحقّ والحقُ أوْضَحُ
أرُوني فتاةً في زماني تَفُوقُني ... وتَعْلُو على عِلْمي وتَهْجُو وتَمْدَحُ

***

وتقول: (تقية بنت غيث)

قل لذوي العلم وأهل النهى ... قل لذوي العلم وأهل النهى
ويحكمُ لا تبذلوا دفترا ... فإن تُعيروهُ لذي فطنةٍ
لا بدَّ أنْ يحبسه أشهُرا ... وإنْ تعودوا بعد نُصحي لكمْ

***

وتقول: (تقية بنت غيث)

هاجتْ وساوسُ شوقي نحوَ أوطاني ... وبان عنّي اصطباري بعد سلْواني
وبتُ أرْعى السُّها والليلُ معْتكرٌ ... والدمعُ منْسجمٌ من سحْب أجْفاني
وعاتبتْ مُقْلتي طيفاً ألمَّ بها ... أهكذا فِعلُ خلاّنٍ بخلاّن
نأيْتَ عنكم وفي الأحشاءِ جمْرُ لظىً ... وسُقْمُ جسْمي لما أهْواهُ عنْواني
إذا تذكرتُ أيّاماً لنا سلفتْ ... أعانَ دمعي على تغْريق نسياني

***

وتقول: (تقية بنت غيث)

أعوامُنا قد أشْرقتْ أيّامُها ... وعلا على ظهْرِ السّماكِ خيامُها
والروضُ مُبْتسمٌ بنوْرِ أقاحِه ... لما بكى فرحاً عليه غمامُها
والنّرْجسُ الغضُّ الذي أحْداقُهُ ... ترْنو لتفْهمَ ما يقولُ خزامها
والوردُ يحكي وجنةً محمرّةً ... انحلّ من فرْطِ الحياءِ لثامُها

وتقول: (تقية بنت غيث)

خانَ أخلاّني وما خُنْتُهُمْ ... وأبْرزُوا للشرِّ وجهاً صفيقْ
وكُدّرَ الودُّ القديمُ الذي ... قد كان قدْماً صافياً كالرحيق
وياعدوني بعد قُرْبي لهُمْ ... وحمّلُوا قلبيَ ما لا أُطيقْ

وتقول: (تقية بنت غيث)

نأيت وما قلبي على النأي بالراضي فلا تغترر مني بصدى وإعراضي
وإني لمشتاق إليهم متيم وقد طعنوا قلبي بأسمر عراض
إذا ما تذكرت الشآم وأهله بكيت دماً حزناً على الزمن الماضي
ومذ غبت عن وادي دمشق كأنني يقرض قلبي كل يوم بمقراض
أبيت أراعي النجم والنجم راكد وقد حجبوا عن مقلتي طيب إغماضي
فهل طارق منهم يلم بناظري فإن لقاء الطيف أكبر أغراضي
لعل الليالي أن تجرد صارماً على البين أو يقضي لنا حكمه قاض

***

وتقول: (تقية بنت غيث)

وتُوتٍ أتانا ماؤُهُ في احمرارِهِ كدَمْعي على الأحباب حين ترَحّلُوا
هدية من فاقتْ جمالاً وفطنةً وأبهى من البَدْرِ المنيرِ وأجْمَلُ

***

ونختم بقولها:

لَو وجدتُ السبيلَ جدتُ بخدّي عِوضاً عَن خمارِ تلكَ الوليده
كَيفَ لي أن أقبّلَ اليوم رِجلاً سلكـت دهـرهـا الطـريقَ الحَـميد

***

وفاة الشاعرة الفاطمية تقية بنت غيث:

توفيت (تقية بنت غيث) في أوائل شوال سنة تسع وسبعين وخمسمائة هجريا في الاسكندرية رحمها الله تعالى وغفرلها واسكنها عوالي جنته

***

الخاتمة:

ويؤكد المفكرين الاوروبيين ان اللجوء الى الشريعة الاسلامية وتطبيق منهج المساواة بين الرجل والمرأة والنصوص التي وردت بالقرآن والاحاديث النبوية هي الحلول المثلى لإقامة مجتمع صحي لكافة الدول مع الغاء الانظمة المعمول بها على ارض هذا الكوكب والرجوع الى شرع الله ومن التجربة (الماركسية الشيوعية) يقول جورباتشوف في كتابه الشهير (بيريسترويكا) طيلة سنوات تاريخنا البطولي والمتألق عجزنا أن نولي اهتماماً لحقوق المرأة الخاصة واحتياجاتها الناشئة عن دورها كأم وربة منزل ووظيفتها التعليمية التي لاغنى عنها في الاسرة وعلية قررت بعض الدول الى نسخ النظام الاجتماعي الاسري المأخوذ من قيم وتعاليم الاسلام والشريعة كي تطبقه كمنهجية لتقويم النظام الاجتماعي لديهم .. واعطاء المرأة حقوقها وتكريمها بالأفضلية كما امر الله ورسوله الكريم.

*****

(الشعر في العصر الحديث)

الشعر العربي في العصر الحديث.. و يُقصد بالعصر الحديث الإطار الزمني الذي تتميز فيه معالم الحياة عن الأزمنة السابقة.. ومن هنا اعتاد دارسو الشعر العربي تصنيفه إلى فترتين أساسيتين الشعر القديم.. والشعر الحديث فالشعر العربي القديم يقصد به كل شعر عربي كتب قبل عصر النهضة العربية و يقصد به كل شعر كتب على نمطه فيما بعد. ويمكن أن يسمى أيضا بالشعر التقليدي لكونه يسير في ركاب التبعية والتقليد كما يسمى بالشعر العمودي نسبة إلى أسلوب كتابة أشطره

المتناظرة بشكل عمودي والشعر العربي الحديث يقصد به كل شعر عربي كتب بعد النهضة العربية وهو يختلف عن الشعر القديم في أساليبه وفي مضامينه المستجدة والمختلفة..

شاعر الانتفاضة: (محمود درويش)

(محمود درويش) هو: أحد أهم شعراء(فلسطين) والعرب وهو الذين ارتبط اسمه بشعر(الانتفاضة الفلسطينية) ويعتبر (محمود درويش) أحد أبرز من ساهم بتطوير الشعر العربي الحديث وإدخال الرمزية عليه وفي شعر درويش يمتزج الحب بالوطن في قالب رمزي متطور وكانت أول قصائد (محمود درويش) عندما كان طالباً في المدرسة الإبتدائية.. حيث ساهم في اكتشاف (محمود درويش) الشاعر والفيلسوف اللبناني (روبير غانم) عندما بدأ هذا الأخير ينشر قصائد لمحمود درويش على صفحات الملحق الثقافي لجريدة الأنوار والتي كان يترأس تحريرها(درويش) كان يرتبط بعلاقات صداقة بالعديد من الشعراء منهم (محمد الفيتوري من السودان ونزار قباني من سوريا وفالح الحجية من العراق) وغيرهم من أفذاذ الأدب في الشرق الأوسط وكان له نشاط أدبي ملموس على الساحة الأردنية فقد كان من أعضاء الشرف في نادي أسرة (القلم الثقافي) بالاردن .

كانت قصائد (درويش) الكفاحية في النضال تاكد دوما على الوجود الفلسطيني معيدة التأكيد على الهوية بعد شتات عام ٤٨ م.. ويقول درويش كنت صغيرا جدا لأرى التوازن بين وقوفي ضد هذه الظروف أو العثور على سماء مفتوحة لجناحي الصغيرين شاعرا أغوتني المغامرة غير أن الحكم النهائي كان لابد لي بالجهاد بالكلمة الي آخر المطاف.

***

((نبذة عن حياة درويش))

محمود درويش هو شاعر عربي (فلسطيني) وعضو المجلس الوطني

الفلسطيني التابع (لمنظمة التحرير الفلسطينية) وله دواوين شعرية مليئة بالمضامين الحداثية

مولـــــده:

ولد عام ١٩٤١م في قرية ((البروة)) وهي قرية فلسطينية تقعفي الجليل قرب (ساحل عكا) لاسرة مسلمة من السنه وكانت أسرته الفلسطينية تمتلك أرضًا في هذه القرية وخرجت الأسرة برفقة ((اللاجئين الفلسطينيين)) في العام ١٩٤٨م إلى لبنان ثم عادت متسللة عام ١٩٤٩م بعد توقيع اتفاقيات الهدنة لتجد القرية مهدمة وقد أقيم على أراضيها (قرية زراعية إسرائيلية)من وضع الكيان الغاصب .

دراســـــه:

منعت على(درويش) الدراسة العليا في(إسرائيل)ولذا درس الاقتصاد السياسي في (موسكو) في العام١٩٧٠م لكنه غادرها بعد عام وانتقل بعدها لاجئًا إلى (القاهرة) في ذات العام حيث التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية ثم الى لبنان حيث عمل في مؤسسات النشر والدراسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية علمًا بانه استقال من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير إحتجاجًا على (اتفاقية أوسلو) كما أسس مجلة ((الكرمل)) الثقافية

***

أشهر أعمال محمود درويش:

من قصيدته في القدس:

في القدس أعني داخلَ السُّور القديم ... أسيرُ من زمنٍ إلى زمنٍ بلا ذكرى

تُصوِّبُني فإن الأنبياءَ هناك يقتسمون ... تاريخَ المقدّس يصعدون إلى السماء

ويرجعون أقلَّ إحباطاً وحزناً، فالمحبّةُ ... والسلام مُقدّسان وقادمان إلى المدينة

كنت أمشي فوق مُنْحَدرٍ وأهْجِسُ كيف ... يختلف الرُّواةُ على كلام الضوء في حَجَرٍ

أمِنْ حجرٍ شحيحِ الضوء تندلعُ الحروبُ ... أسير في نومي أحملق في منامي

لا أرى أحداً ورائي لا أرى أحداً أمامي
ثم أصير غيري في التّجلّي
النّبَويّ: إنْ لم تُؤْمنوا لن تأمَنُوا
بيضاءُ إنجيليّةٌ ويداي مثل حمامتَيْن
لا أمشي أطيرُ، أصيرُ غَيْري في
أنا لا أنا في حضرة المعراج لكنّي
يتكلّمُ العربيّةَ الفُصْحَى. وماذا بعد
هُوَ أنتَ ثانيةً ألم أقتلْك

كُلّ هذا الضوءِ لي أمشي أخفُّ أطيرْ
تنبُتُ الكلماتُ كالأعشاب من فم أشعيا
أمشي كأنّي واحدٌ غيْري. وجُرْحي وَرْدَةٌ
على الصليب تُحلّقان وتحملان الأرضَ
التجلّي. لا مكانَ و لا زمان . فمن أنا
أفكّرُ وَحْدَهُ، كان النبيّ محمّدٌ
ماذا بعد؟ صاحت فجأة جنديّةٌ
قلت قَتَلْتني ونسيتُ، مثلك أن أموت

من قصيدة (بطاقة هوية):

بطاقة هوية" التي "عندما كان في الثانية والعشرين من العمر أصبحت قصيدة يخاطب فيها شرطياً إسرائيليا ويقول:-

سجل..
أنا عربي
ورقم بطاقتي خمسون ألف
وأطفالي ثمانية
وتاسعهم سيأتي بعد صيف
فهل تغضب..!!
سجل..
أنا عربي
وأعمل مع رفاق الكدح في محجر
وأطفالي ثمانية

أسل لهم رغيف الخبز

والأثواب والدفتر

من الصخر

ولا أتوسل الصدقات من بابك

ولا أصغر

أمام بلاط أعتابك

فهل تغضب

سجل

أنا عربي..!!

أنا إسم بلا لقب

صبور في بلاد كل ما فيها

يعيش بفورة الغضب

جذوري..!!

قبل ميلاد الزمان رست

وقبل تفتح الحقب

وقبل السرو والزيتون

وقبل ترعرع العشب

أبي من أسرة المحراث

لا من سادة نجب

وجدي كان فلاحا

بلا حسب ولا نسب

يعلمني شموخ الشمس

قبل قراءة الكتب

وبيتي كوخ ناطور

من الأعواد والقصب

فهل ترضيك منزلتي

أنا إسم بلا لقب

سجل

أنا عربي..!!

ولون الشعر فحمي

ولون العين بني

وميزاتي

على رأسي عقال فوق كوفية

وكفي صلبة كالصخر

تخمش من يلامسها

وعنواني

أنا من قرية عزلاء منسية

شوارعها بلا أسماء

وكل رجالها في الحقل والمحجر

يحبون الشيوعية

فهل تغضب

سجل

أنا عربي..!!

سلبت كروم أجدادي

وأرضا كنت أفلحها

أنا وجميع أولادي
ولم تترك لنا ولكل أحفادي
سوى هذي الصخور
فهل ستأخذها
حكومتكم كما قيل
إذن...؟!
سجل برأس الصفحة الأولى
أنا لا أكره الناس
و لا أسطو على أحد
و لكني إذا ما جعت
آكل لحم مغتصبي
حذار حذار من جوعي
ومن غضبي ..!!
*****

من قصيدة (وطني ليس حقيبة):

آه يا جرحي المكابر وطني ليس حقيبة وأنا لست
مسافر إنني العاشق والأرض حبيبةْ
وإذا استرسلت في الذكرى!
نما في جبهتي عشب الندمْ
وتحسرت على شيئ بعيدْ
وإذا استسلمت للشوق،

تَبَنّيْتُ أساطير العبيد
وأنا آثرت أن أجعل من صوتي حصاة
ومن الصخر نغم!
جبهتي لا تحمل الظل..
وظلي لا أراه..
وأنا أبصق في الجرح الذي
لا يشغل الليل جباه
خبئي الدمعة للعيد..
فلن نبكي سوى من فرح
ولْنَسَمِّ الموت في الساحة
عرساً... وحياه!!!
وترعرعتُ على الجرح، وما قلت لأمي
ما الذي يجعلها في الليل خيمةْ
أنا ما ضيّعتُ ينبوعي وعنواني واسمي
ولذا أبصرت في أسمالها
مليون نجمةْ
رايتي سوداءُ
والميناء تابوتٌ
وظهري قنطرةْ
يا خريف العلم المنهار فينا
يا ربيع العالم المولود فينا
زهرتي حمراءُ
والميناء مفتوح
وقلبي شجرةْ
لك عندي كلمةْ

لم أقلها بعد...
فالظل على الشرفة يحتل القمرْ
وبلادي ملحمةٌ
كنت فيها عازفاً... صرت وترْ!
غيمة الصيف التي... يحملها ظهر الهزيمةْ
عَلّقَتْ نسل السلاطين
على حبل السراب!!!
وأنا المقتول والمولود في ليل الجريمةْ
هاأنا ازددت التصاقاً... بالتراب !!

*****

من قصيدة ((برقية من السجن):

من آخر السجن، طارت كفّ أشعاري
تشد أيديكم ريحا.. على نار!.
أنا هنا، ووراء السور، أشجاري
تطوّع الجبل المغرور.. أشجاري
مذ جئت أدفع مهر الحرف، ما ارتفعت
غير النجوم على أسلاك أسواري
أقول للمحكم الأصفاد حول يدي..!
هذي أساور أشعاري وإصراري
في حجم مجدكم نعلي، و قيد يدي
في طول عمركم المجدول بالعار..
أقول للناس ،للأحباب: نحن هنا

أسرى محبتكم في الموكب الساري
في اليوم، أكبر عاما في هوى وطني
فعانقوني عناق الريح للنار !!!

*****

من قصيدة ((شال حرير)):

شال حرير..!!
شال على غصن شجرة. مرّت فتاةٌ من هنا
أو مرّت ريح بدلاً منها، وعلّقت شالها على
الشجرة. ليس هذا خبراً. بل هو مطلع
قصيدة لشاعر متمهّل أعفاه الحُبُّ من الألم.
فصار ينظر اليه – عن بعد – كمشهد..!
طبيعةٍ جميل. وضع نفسه في المشهد
الصفصافة عالية والشال من حرير. وهذا
يعني أن الفتاة كانت تلتقي فتاها في
الصيف، ويجلسان على عشب ناشف. وهذا
يعني أيضاً أنهما كانا يستدرجان العصافير
إلى عرس سري، فالأفق الواسع أمامهما
على هذه التلة، يغري بالطيران، ربما قال
لها: أحنّ اليك، وأنتِ معي، كما لو
كنتِ بعيدة. وربما قالت له: أحضنكَ
وأنت بعيد، كما لو كنتَ تهديّ. وربما
قال لها: نظرتك إليّ تذوّبني، فأصير

موسيقى. وربما قالت له: ويدك على
ركبتي تجعل الوقت يعرق، فافْرُكْني لأذوب
واسترسل الشاعر في تفسير شال الحرير
دون أن ينتبه الى أن الشال كان غيمة
تعبر، مصادفة، بين أغصان الشجر عند
الغروب ..!!

*****

من قصيدة (لا تعتذر عما فعلت) :

أقول في سرّي. أقول لآخري الشخصيّ
ها هيَ ذكرياتُكَ كلُّها مرئيّةٌ:
ضَجَرُ الظهيرة في نُعاس القطِّ
عُرْفُ الديكِ
عطرُ المريميّةِ
قهوةُ الأمِّ
الحصيرةُ والوسائدُ..
بابُ غُرفَتِكَ الحديديُّ
الذبابةُ حول سقراطَ
السحابةُ فوق أفلاطونَ
ديوانُ الحماسةِ
صورةُ الأبِ..
مُعْجَمُ البلدانِ
شيكسبير
الأشقاءُ الثلاثةُ، والشقيقاتُ الثلاثُ

وأصدقاؤك في الطفولة، والفضوليّون:
هل هذا هُوَ؟.. اختلف الشهودُ:
لعلّه. وكأنه. فسألتُ: مَنْ هُوَ؟
لم يُجيبوني. همَسْتُ لآخري:
أهو ..؟؟
الذي قد كان أنتَ... أنا؟ فغضّ
الطرف. والتفتوا إلى أُمّي لتشهد
أنني هُوَ... فاستعدّتْ للغناء على
طريقتها: أنا الأمُّ التي ولدتْهُ،
لكنّ الرياحَ هيَ التي ربّتْهُ.
قلتُ لآخري: لا تعتذر إلاّ لأمّكْ..!!

*****

قصيدة (أثر الفراشة):

أثر الفراشة لا يُرَى !!
أثر الفراشة لا يزولُ
هو جاذبيّةُ غامضٍ
يستدرج المعنى، ويرحلُ
حين يتّضحُ السبيلُ
هو خفّةُ الأبديّ في اليوميّ
أشواقٌ إلى أعلى
وإشراقٌ جميلْ
هو شامةٌ في الضوء توميءُ

حين يرشدنا الى الكلماتِ
باطننا الدليلُ
هو مثل أُغنية تحاولُ
أن تقول، وتكتفي
بالاقتباس من الظلالِ
ولا تقولُ..!!
أثرُ الفراشة لا يُرَى
أثرُ الفراشة لا يزولُ!
أنت، منذ الآن، أنت
الكرملُ في مكانه السيّد.. ينظر من علٍ إلى!.
البحر. والبحر يتنهّد، موجةٌ موجةٌ، كامرأةٍ
عاشقةٍ تغسل قدَميْ حبيبها المتكبّر!
كأني لم أذهب بعيداً. كأني عُدتُ من
زيارة قصيرة لوداع صديق مسافر، لأجد
نفسي جالسة في انتظاري على مقعد حجري
تحت شجرة تُفّاح
كل ما كان منفى يعتذر نيابةً عني..
لكلّ ما لم يكن منفى!
يأتي المخاض الى عذراء في الثلاثين،
وتلدني على مرأى من مهندسي الديكور
والمصوّرين!
جرت مياه كثيرة في الوديان والأنهار.
ونبتت أعشاب كثيرة على الجدران. أمّا
النسيان فقد هاجر مع الطيور المهاجرة
شمالاً شمالاً..

ألزمن والتاريخ يتحالفان حيناً، ويتخاصمان
حيناً على الحدود بينهما. الصفصافةُ العاليةُ
لا تأبه ولا تكترث. فهي واقفة على
قارعة الطريق.!!

*****

من قصيدة (لا ينظرون وراءهم):

لا ينظرون وراءهم ليودّعوا منفى
فإنّ أمامهم منفى، لقد ألفوا الطريق
الدائريّ، فلا أمام ولا وراء
ولاشمال ولا جنوب. "يهاجرون" من
السياج الى الحديقة. يتركون وصيةً
في كل مترٍ من فناء البيت
" لا تتذكروا من بعدنا..
إلا الحياة "
يسافرون من الصباح السندسي
الىغبارٍ في الظهيرة، حاملين نُعوشَهُم ملأى
بأشياء الغياب: بطاقة شخصية، ورسالةٍ
لحبيبةٍ مجهولةِ العنوانِ
لا تتذكري من بعدنا..
إلا الحياة !!..
و"يرحلون" من البيوت الى الشوارع،
راسمين إشارة النصر الجريحة، قائلين
لمن يراهُمْ ..؟؟

لم نَزَلْ نحيا، فلا تتذكّرونا
يخرجون من الحكاية للتنفّس والتشمّس
يحلمون بفكرة الطيرانِ أعلى... ثم أعلى
يصعدون ويهبطون. ويذهبون ويرجعون
ويقفزون من السيراميك القديم الى النجوم
ويرجعون الى الحكاية... لا نهاية للبدايةِ
يهربون من النعاس الى ملاك النوم
أبيضَ، أحمرَ العينين من أثر التأمّل
في الدم المسفوك
لا تتذكروا من بعدنا
إلا الحياة...!!؟

*****

من قصيدة (ريتـــا):

بين ريتا وعيوني.. بندقيهْ
والذي يعرف ريتا .. ينحني
ويصلي..
لإلهٍ في العيون العسليَهْ!
وأنا قبّلت ريتا
عندما كانت صغيره
وأنا أذكر كيف التصقتْ
بي وغطّت ساعدي أحلى ضفيره
وأنا أذكر ريتا..
مثلما يذكر عصفورٌ غديره
آه .. ريتا ...!؟

بيننا مليون عصفور وصوره
ومواعيد كثيره
أطلقتْ ناراً عليها.. بندقيّهْ
إسمُ ريتا كان عيداً في فمي
جسم ريتا كان عرساً في دمي
وأنا ضعت بريتا .. سنتين
وهي نامت فوق زندي سنتين
وتعاهدنا على أجمل كأس واحترقنا
في نبيذ الشفتين
وولدنا مرتين!
آه .. ريتا !!!
أي شيء ردّ عن عينيك عينيّ
سوى إغفائتين
وغيوم عسليّهْ
قبل هذي البندقيهْ
كان يا ما كان
يا صمت العشيّهْ
قمري هاجر في الصبح بعيداً

في العيون العسليّهْ
والمدينة
كنست كل المغنين وريتا
بين ريتا وعيوني . بندقيّهْ !!..

*****

من قصيدة (في الانتظار):

في الانتظار، يُصيبُني هوس برصد !!..
الاحتمالات الكثيرة: رُبّما نَسيتْ حقيبتها
الصغيرة في القطار، فضاع عنواني
وضاع الهاتف المحمول، فانقطعت شهيتها
وقالت: لا نصيب له من المطر الخفيف
وربما انشغلت بأمر طارئ أو رحلةٍ
نحو الجنوب كي تزور الشمس، واتّصلَتْ
ولكن لم تجدني في الصباح، فقد
خرجت لاشتري غاردينيا لمسائنا
وزجاجتين من النبيذ..!!
وربما اختلفت مع الزوج القديم على
شئون الذكريات، فأقسمت ألا ترى
رجلاً يُهدِّدُها بصُنع الذكريات
وربما اصطدمت بتاكسي في الطريق
إليّ، فانطفأت كواكب في مَجرّتها
وما زالت تُعالج بالمهدىء والنعاس
وربما نظرت الى المرآة قبل خروجها
من نفسها، وتحسّست أجاصتَيْن كبيرتين
تُموّجان حريرها، فتنهّدت وترددت
هل يستحقّ أنوثتي أحد سواي
وربما عبرتْ، مصادفةً، بحُبٍّ
سابق لم تَشْفَ منه، فرافقته إلى
العشاء ..

وربّما ماتت..
فان الموت يعشق فجأة، مثلي،
وإن الموتَ، مثلي، لا يحبُّ الانتظار.!!

*****

من قصيدة (لي حكمة المحكوم بالإعدام):

يطير الحمام..
يطيرُ الحمامُ يَحُطّ الحمامْ
أعدّي لي الأرضَ كي أستريحفإني أُحبُّكِ حتى التَعَبْ
صباحك فاكهةٌ للأغاني وهذا المساءُ ذَهَبْ
ونحن لنا حين يدخل ظلٌ إلى ظِلّه في الرخام
وأُشْبِهُ نَفْسِيَ حين أُعلّقُ نفسي
على عُنُق لا تُعانِقْ غيرَ الغَمامِ
وأنتِ الهواءُ الذي يتعرّى أمامي كدمع العِنَبْ
وأنت بدايةُ عائلة الموج حين تَشَبّثَ بالبرّ
حين اغتربْ!!..
وإني أُحبُّكِ , أنتِ بدايةُ روحي , وأنت الختامُ

يطير الحمامُ
يَحُطُ الحمامُ!!..
أنا وحبيبيَ صوتان في شَفَةٍ واحدهْ
أنا لحبيبي أنا ,وحبيبي لنجمته الشاردهْ
وندخل في الحُلْمِ , لكنهُ يتباطأُ كي لا نراهُ
وحين ينامُ حبيبي أصحو لكي أحرس الحُلْمَ

مما يراهُ..

وأطردُ عنه الليالي التي عبرتْ قبل أن نلتقي

وأختارُ أيّامنا بيديّ

كما اختار لي وردةَ المائدهْ

فَنَمْ يا حبيبي

* * *

ليصعد صوتُ البحار إلى ركبتيّ

ونَمْ يا حبيبي

لأهبط فيك وأُنقذَ حُلْمَكَ من شوكةٍ حامدهْ

ونَمْ يا حبيبي..

عليكَ ضفائر شعري , عليك السلامُ

يطيرُ الحمامُ

يَحُطُّ الحمامُ

* * *

رأيت على البحر إبريل

قلتُ: نسيتِ انتباه يديكِ

نسيتِ التراتيلَ فوق جروحي

فكَمْ مرّةً تستطيعين أن تُولَدي في منامي

وكَمْ مرّةً تستطيعين أن تقتليني لأصرُخَ..

أني أحبّكِ..

كي تستريحي ؟

أناديكِ قبل الكلام

أطير بخصركِ قبل وصولي إليكِ

فكم مرّةً تستطيعين أن تَضَعي في مناقير هذا الحمامِ

عناوين روحي!!!

يطيرُ الحمامُ

يَحُطُ الحمامُ

* * *

إلى أين تأخذني يا حبيبيَ من والديّ

ومن شجري , ومن سريري الصغير ومن ضجري

من مراياي من قمري,, من خزانة عمري ومن سهري

من ثيابي ومن خفري ؟

إلى أين تأخذني يا حبيبي إلى أين

تُشعل في أُذنيَ البراري , تُحَمِّلَني موجتين

وتكسر ضلعين , تشربني ثم توقدني , ثم

تتركني في طريق الهواء إليكِ

حرامٌ ... حرامٌ

يطيرُ الحمامُ

يَحُطُ الحمامُ ...!!

لأني أحبك خاصرتي نازفهْ

وأركضُ من وجعي في ليالٍ يُوسِّعها الخوفُ مما أخافُ..

تعالي كثيراً , وغيبي قليلاً

تعالي قليلاً , وغيبي كثيراً..

تعالي تعالي ولا تقفي آه من خطوةٍ واقفهْ

أحبُّكِ إذْ أشتهيكِ , أُحبُّك إذْ أشتهيك

وأحضُنُ هذا الشُعاعَ المطّوق بالنحل

والوردة الخاطفهْ..

أحبك يا لعنة العاطفهْ

أخاف على القلب مك أخاف على شهوتي أن تَصِلْ!..

أُحبُّكِ إذْ أشتهيكِ

أحبك يا جسداً يخلق الذكريات ويقتلها قبل أن تكتملْ..

أُحبُّكِ إذْ أشتهيكِ

أُطوّع روحي على هيئة القدمين –على هيئة الجنّتين

أحكُّ جروحي بأطراف صمتك ..والعاصفةْ

أموتُ ليجلس فوق يديكِ الكلامْ

يطيرُ الحمامْ

يَحُطُّ الحمامْ !!..

***

لأني أُحبُّك " يجرحني الماءْ"

والطرقاتُ إلى البحر تجرحني

والفراشةُ تجرحني

وأذانُ النهار على ضوء زنديك يجرحني

يا حبيبي , أُناديكَ طيلة نومي

أخاف انتباه الكلام

أخاف انتباه الكلام إلى نحلة بين فخذيّ تبكي

لأني أحبُّك يجرحني الظلّ تحت المصابيح, يجرحني..

طائرٌ في السماء البعيدة عِطْرُ البنفسج يجرحني..

أوّل البحر يجرحني

آخرُ البحر يجرحني

ليتني لا أُحبُّك

يا ليتني لا أُحبُّ

ليشفى الرخامُ

-أراكِ فأنجوا من الموت .جسمُكِ مرفأُ

بعشرِ زنابقَ بيضاء , عشر أناملَ تمضي السماءَ

إلى أزرق ضاع منها

وأُمْسِكُ هذا البهاء الرخاميّ , وأُمْسِكُ

رائحةً للحليب المُخبّأ..

في خوختين على مرمر , ثُم أعبد مَنْ يمنح البرّ

والبحر ملجأ..

على ضفّة الملح والعسل الأوّلين , سأشرب خَرّوبَ ليْلِكِ

ثم أنامُ !!..

على حنطةٍ تكسر الحقل , تكسر حتى الشهيق ..فيصدأ..!!

أراك فأنجو من الموت . جسمك مرفأ

فكيف تُشَرّدني الأرضُ في الأرض

كيف ينامُ المنامْ

يطيرُ الحمامْ

يَحُطُّ الحمامْ..!!

حبيبي أخافُ سكوتَ يديكْ

* * *

فَحُكَّ دمي كي تنام القرسْ

حبيبي , تطيرُ إناثُ الطيور إليكْ

فخذني أنا زوجةً أو نَفَسْ

حبيبي , سأبقى ليكبر فُستْقُ صدري لديكْ

ويجتثّني منْ خُطَاكَ الحرَسْ

حبيبي , سأبكي عليكَ عليكَ عليكْ

لأنك سطحُ سمائي

وجسميَ أرضُكَ في الأرض

جسمي مقامْ

يطيرُ الحمامُ
يَحُطُّ الحمامُ..!!

***

لِي حِكْمَةُ المحكوم بالإعدامِ..
لا أشياءَ أملكُها لتملكني,
كتبتُ وصيّتي بدمي:
ثِقُوا بالماء يا سُكّانَ أُغنيتي!
ونِمتُ مُضرّجاً ومُتوّجاً بغدي...
حَلِمْتُ بأنّ قلب الأرض أكبرُ
من خريطتها,
وأوضحُ من مراياها ومَشْنَقَتي
وَهمْتُ بغيمةٍ بيضاء تأخذني
إلى أعلى
كأنني هُدْهُدٌ, والريحُ أجنحتي
وعند الفجر, أيقظني
نداء الحارس الليليّ
من حُلْمي ومن لغتي
ستحيا ميتَةٌ أخرى
فَعَدِّلْ في وصيتِكَ الأخيرةِ
قد تأجّل موعدُ الإعدام ثانيةً
سألت: إلى متى؟
قال: انتظر لتموت أكثرَ
قُلْتُ: لا أشياء أملكها لتملكني
كتبتُ وصيّتي بدمي
ثِقُوا بالماء

يا سكّان أغنيتي !!..

*****

من قصيدة (أجمـــل حـــب):

كما ينبت العشب بين مفاصل صخرة

وجدنا غريبين يوما

وكانت سماء الربيع تؤلف نجما .. ونجما

وكنت أؤلف فقرة حب

لعينيك.. غنيتها!

أتعلم عيناك أني انتظرت طويلا

كما انتظر الصيف طائر

ونمت.. كنوم المهاجر

فعين تنام لتصحو عين.. طويلا

وتبكي على أختها

حبيبان نحن، إلى أن ينام القمر

و نعلم أن العناق، و أن القبل

طعام ليالي الغزل

و أن الصباح ينادي خطاي لكي تستمرّ

على الدرب يوما جديداً

صديقان نحن، فسيري بقربي كفا بكف

معا نصنع الخبز و الأغنيات

لماذا نسائل هذا الطريق .. لأي مصير

يسير بنا ..؟

و من أين لملم أقدامنا ؟

فحسبي، و حسبك أنا نسير

معا للأبد..!!

لماذا نفتش عن أغنيات البكاء

بديوان شعر قديم ؟

و نسأل يا حبنا ! هل تدوم ؟

أحبك حب القوافل واحة عشب و ماء

و حب الفقير الرغيف

كما ينبت العشب بين مفاصل صخرة

وجدنا غريبين يوما

ونبقى رفيقين دوما..!!

* * *

من قصيدة (أحبك أكثر..!!)

تكبّر.. تكبرّ..

فمهما يكن من جفاك

ستبقى بعيني و لحمي ملاك

و تبقى، كما شاء لي حبنا أن أراك

نسيمك عنبر.

وأرضك سكر

وإني أحبك.. أكثر

يداك خمائل..

ولكنني لا أغني

ككل البلابل..

فإن السلاسل
تعلمني أن أقاتل
أقاتل.. أقاتل
لأني أحبك أكثر..!
غنائي خناجر ورد
وصمتي طفولة رعد
وزنيقة من دماء
فؤادي..
وأنت الثرى و السماء
وقلبك أخضر
وجزر الهوى، فيك مدّ
فكيف إذن، لا أحبك أكثر
وأنت، كما شاء لي حبنا أن أراك
نسيمك عنبر..
وأرضك سكر
وقلبك أخضر..!
وإنّي طفل هواك
على حضنك الحلو
أنمو و أكبر ..!!

* * *

من قصيدة (الآن في المنفى):

الآن في المنفى.. نعم في البيتِ
في السنّتين من عُمْرٍ سريعِ

يُوقدون الشّمعَ لك..
فافرح بأقصى ما استطعتَ من الهدوء
لأنّ موتاً طائشاً ضلّ الطريق إليك
من فرط الزحام..وأجّلك
قمرٌ فضوليٌّ على الأطلال
يضحك كالغبي..
فلا تصدّق أنه يدنو لكي يستقبلك
هُوَ في وظيفته القديمة، مثل آذار الجديدِ
أعادَ للأشجار أسماءَ الحنين
وأهملكْ!..
فلتحتفلْ مع أصدقائكَ بانكسار الكأس.
في الستين لن تجدَ الغدَ الباقي
لتحملَهُ على كتفِ النشيد.. ويحملكْ
قُلْ للحياةِ كما يليقُ بشاعرٍ متمرّس:
سيري ببطء كالإناث الواثقات بسحرهنّ
وكيدهنّ. لكلّ واحدةْ نداءُ ما خفيّ:
هَيْتَ لَكْ .. ما أجملكْ
سيري ببطءٍ، يا حياةُ لكي أراك
بكامل النُقصان حولي. كم نسيتُكِ في
خضمّكِ باحثاً عنّي وعنكِ. وكلّما أدركتُ
سرّاً منك قُلتِ بقسوةٍ: ما أجهلكْ!
قُلْ للغياب: نَقَصتني
وأنا حضرتُ .. لأُكملكْ..!!

وفاتـــه:

ويقول درويش وهو علي سرير المرض في المستشفى المعالج أنا لا أخشى الموت ألان اكتشفت أمرا أصعب من الموت.. فكرة الخلود أن تكون خالدا هو العذاب الحقيقي ليست لدي مطالب شخصية من الحياة لأنني أعيش على زمان مستعار ليست لدي أحلام كبيرة إنني مكرس لكتابة ما علي كتابته قبل أن اذهب إلى نهايتي.

لقد عاش (محمود درويش) شاعراً إنسانياً ولم يعتقد يوما أن فلسطين هي مجرّد أرض وإن كان الشاعر يتحدر من هذه الأرض ليعيش أنسنة الأرض بداخله الجوهري فالأرض ليست هذا السهل ولا هي هذه البيوت والضواحي بل هي عمق الإنسان الذي وُلِد من ترابهاوتفيأ ظلالها وتنفّس عبيرها وعاش على ظهرها ودُفن جسمانه الطاهر في باطنها ليعود الى امه الحقيقية وهي الارض كي تنبت لنا عوضا عنه سنابل.. وقامات من الشعراء اللذين سوف يجددون الانتفاضة ويثورن على منهجية الشعر فيخرج لنا وطن مغلف بالحداثة الادبية ومفعم بالكبرياء.

توفي (محمود درويش) في الولايات المتحدة الأمريكية:

وكان ذلك يوم السبت ٩ أغسطس ٢٠٠٨ بعد إجراءه لعملية القلب المفتوح في (مركز تكساس الطبي في هيوستن)التي دخل بعدها في غيبوبة أدت إلى وفاته وعليه فقد أعلن رئيس السلطة الفلسطينية (محمود عباس) الحداد ثلاثة أيام في كافة الأراضي الفلسطينية حزنا على وفاة (درويش) واصفاً له بانه كان عاشق فلسطين ورائد المشروع الثقافي الحديث وقد وري جثمانه الثرى في١٣أغسطس (برام الله) حيث خصصت له هناك قطعة أرض في قصر رام الله الثقافي. وتم الإعلان أن القصر تمت تسميته (بقصر محمود درويش للثقافة) وقد شارك في جنازته آلاف من أبناء الشعب الفلسطيني والعربي. رحمه الله واسكنه واسع جنته في عوالي الجنان .

الخاتمـــة :

(البروة الفلسطينية) هي قرية (محمود درويش) شاعر الحداثة وشاعر (الانتفاضة الفلسطينية)..ففي أثناء حرب عام (١٩٤٨م) وبالتحديد في(١١يونيو من العام١٩٤٨م) اجلو الصهاينة سكان القرية بعد أن استولوا عليها فأصبح سكانها لاجئين بعضهم هجرو الى داخل فلسطين وبعضهم ذهب الي(مخيمات اللاجئين في لبنان) والبروه هي قرية فلسطينية كانت تابعة لقضاء (عكا) وتقع على بعد (٧ أميال شرق عكا) ذكرها الجغرافيون العرب في (القرن الحادي عشر الميلادي) وكانت تعرف عند الصليبيين باسم (برويت باللاتينية) فقد انتزعها (العثمانيون) من أيدي(المماليك) في (القرن السادس عشرالميلادي) وقد كانت ((البروة)) في القرن التاسع عشر قرية كبيرة تضم مسجداً وكنيسة ومدرسة أولية للبنين كما بنيت بها مدرسة للبنات أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين هذا البلد الحبيب المغتصب والواقع تحت الاحتلال الصهيوني داعيا الله ان ترفرف رايات الحرية على هذه الاراضي المقدسة الطيبة .

((بـــدر شـــاكر الســـياب))

العراق هي: واحدة من أقدم الثقافات في العالم الثقافية تاريخياً. وبلد العراق هو المكان الذي يطلق عليه قديماً بلاد ما بين النهرين القديمة وموطن نشأة الحضارات والتي تركت أثرها الواضح على حضارات العالم (في اختراع الكتابة، وتخطيط المدن، وتطور علم القانون في العالم القديم) ثقافياً، والعراق لديه تراث غني جدا ومن المعروف كثرة الشعراء, الرسامين والنحاتين في البلاد من بينهم الأفضل في العالم العربي، وبعضهم يجري على المستوى العالمي. وتتميز بعض مناطقه بأنتاج المشغولات اليدوية الجميلة، بما في ذلك البسط والسجاد. ويعتبر فن العمارة في العراق في العاصمة المترامية الاطراف بغداد مزيجاً بين المعاصرة والتراث، حيث ان البناء جديد في معظمها، مع بعض الجزر من المباني القديمة الرائعة مثل شارع السعدون، وشناشيل البصرة وأماكن أخرى في الآلاف من المواقع القديمة والحديثة في مختلف أنحاء العراق.

على عكس العديد من بلدان العالم العربي، يحتضن العراق ويحتفل بإنجازات ماضيه في العصر البابلي والآشوري حيث تؤكد الآثار المكتشفة عن حضارة عريقة سادت ثم بادت في وادي الرافدين.

أقدم لغة مكتوبة معروفة في بلاد ما بين النهرين كانت السومرية، وهي لغة معزولة متراصة. لهجات سامية كانت تتحدث في بلاد ما بين النهرين في وقت مبكر مع السومرية. في وقت لاحق لغة سامية، الأكدية، جاءت لتكون اللغة السائدة، على الرغم من أن السومرية كان يحتفظ بها للأغراض الادارية، الدينية، الأدبية، والعلمية. أصناف مختلفة من الأكدية استخدمت حتى نهاية الفترة البابلية الثانية. ثم أصبحت الآرامية، التي كانت قد أصبحت شائعة في بلاد ما بين النهرين، اللغة

الإدارة الإقليمية الرسمية للإمبراطورية الفارسية الأخمينية. توقف استخدام الأكدية ولكن كلا من السومرية والأكديه كانت لا تزال تستخدم في المعابد لبضع قرون

في زمن الدولة البابلية كانت هناك مكتبات في معظم المدن والمعابد ؛ مثل سومري قديم يقول : "الذي من شأنه التفوق في مدرسة الكتبة يجب أن يستيقظ مع الفجر". النساء مثل الرجال تعلمن القراءة والكتابة، وللبابليون الساميين ،ذلك تضمن معرفة للغة السومرية المنقرضة التي دلت على ثقافة العراق الرافدين قديما.

ويزخر العراق بالعديد من الأسماء العظيمة والكبيرة في مجالات الفن والأدب فعلى صعيد الشعر نذكر كمثال أحد اعظم الشعراء العرب ألا وهو أبو الطيب المتنبي في العصر العباسي وكذلك الفرزدق أما في العصر الحديث مثل عبد الوهاب البياتي ومحمد مهدي الجواهري ونازك الملائكة وأحمد مطر وبدر شاكر السياب وجميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي وغيرهم من الادباء والشعراء المبدعين.

*****

بدر شاكر السياب:

الاســـــم:

(بدر شاكر السياب) ولدفي محافظة البصرة في جنوب العراق (٢٥ ديسمبر ١٩٢٦ ٢٤ ديسمبر١٩٦٤) شاعر عراقي يعد واحداً من الشعراء المشهورين في الوطن العربي في القرن العشرين، كما يعتبر أحد مؤسسي الشعر الحر في الأدب العربي.

المولـــــد:

وُلد (بدر شاكر السيّاب) في قرية جيكور قرية صغيرة لا يزيد عدد سكانها

آنذاك علي (٥٠٠) نسمة، اسمها مأخوذ في الأصل من الفارسية من لفظة (جوي كور) أي (الجدول الأعلى)، تُحدّثنا كتب التاريخ علي أنها كانت موقعاً من مواقع الزنج الحصينة، دورها بسيطة مبنية من طابوق اللبن، الطابوق غير المفخور بالنار وجذوع أشجار النخيل المتواجدة بكثرة في بساتين جيكور التي يملك (آل السياب – أسرة سنية المذهب من قبيلة ربيعة) فيها أراضٍ مزروعة بالنخيل تنتشر فيها أنهار صغيرة تأخذ مياهها من شط العرب، وحين يرتفع المد تملئ الجداول بمائه، وكانت جيكور وارفة الظلال تنتشر فيها الفاكهة بأنواعها مرتعاً وملعباً وكان جوّها الشاعري الخلاب أحد ممهدات طاقة السياب الشعرية وذكرياته المبكرة فيه ظلت حتى أخريات حياته تمدّ شعره بالحياة والحيوية والتفجر (كانت الطفولة فيها بكل غناها وتوهجها تلمع أمام باصرته كالحلم. ويسجل بعض اجزائها وقصائده ملأى بهذه الصور الطفولية كما يقول صديقه الحميم، صديق الطفولة : الشاعر محمد علي إسماعيل .

***

طفولتـــه:

وعاش (بدر) طفولة سعيدة غير إنها قصيرة سرعان ما تحطمت إذ توفيت أمه عام ١٩٣٢م أثناء المخاض لتترك أبناءها الثلاثة وهى في الثالثة والعشرين من عمرها. وبدا بدر الحزين يتساءل عن أمه التي غابت فجأة، وكان الجواب الوحيد: ستعود بعد غد فيما يتهامس المحيطون به: أنها ترقد في قبرها عند سفح التل عند أطراف القرية وغابت تلك المرأة التي تعلق بها ابنها الصغير، وكان يصحبها كلما حنت إلى أمها، فخفت لزيارتها، أو قامت بزيارة عمتها عند نهر بويب حيث تملك بستانا صغيرا جميلا على ضفة النهر، فكان عالم بدر الصغير تلك الملاعب التي تمتد بين بساتين جيكور ومياه بويب وبينها ما غزل خيوط عمره ونسيج حياته وذكرياته وما كان أمامه سوى اللجوء إلى جدته لأبيه (أمينة) وفترة علاقته الوثيقة بأبيه بعد أن تزوج هذا من امرأة أخرى سرعان ما رحل بها إلى دار جديدة بعيدا عن بدر وأخويه، ومع أن هذه الدار في بقيع أيضا، غير أن السياب أخويه انضموا

إلى دار جده في جيكور القرية الأم ويكبر ذلك الشعور في نفس بدر بأنه محروم مطرود من دنيا الحنو الأمومي ليفر من بقيع وقسوتها إلى طرفه تدسها جدته في جيبه أو قبلة تطبعها على خده تنسيه ما يلقاه من عنت وعناء، غير أن العائلة تورطت في مشكلات كبيرة ورزحت تحت عبء الديون، فبيعت الأرض تدريجيا وطارت الأملاك ولم يبق منها إلا القليل يذكر بالعز القديم الذي تشير إليه الآن أطلال بيت العائلة الشاهق المتحللة ويذهب بدر إلى المدرسة، كان عليه أن يسير ماشيا إلى قرية باب سليمان غرب جيكور لينتقل بعدها إلى المدرسة المحمودية الابتدائية للبنين في أبي الخصيب التي شيدها محمود جلبي العبد الواحد أحد أعيان أبي الخصيب، وكان بالقرب من المدرسة البيت الفخم الذي تزينه الشرفات الخشبية المزججة بالزجاج الملون الشناشيل والتي ستكون فيما بعد اسما لمجموعة شعرية متميزة هي شناشيل ابنة الجلبي- الجلبي لقب للأعيان الأثرياء.

***

سيرته الأدبية:

اتسم شعره في الفترة الأولى بالرومانسية وبدا تأثره بجيل علي محمود طه من خلال تشكيل القصيد العمودي وتنويع القافية ومنذ ١٩٤٧ انساق وراء السياسة وبدا ذلك واضحا في ديوانه أعاصير الذي حافظ فيه السياب على الشكل العمودي وبدأ فيه اهتمامه بقضايا الإنسانية وقد تواصل هذا النفس مع مزجه بثقافته الإنجليزية متأثرا بإليوت في أزهار وأساطير وظهرت محاولاته الأولى في الشعر الحر وقد ذهبت فئة من النقاد إلى أن قصيدته "هل كان حبا" هي أول نص في الشكل الجديد للشعر العربي وما زال الجدل قائما حتى الآن في خصوص الريادة بينه وبين نازك الملائكة، ومن ثم بينهما وبين شاذل طاقه والبياتي.وفي أول الخمسينات كرس السياب كل شعره لهذا النمط الجديد واتخذ المطولات الشعرية وسيلة للكتابة فكانت "الأسلحة والأطفال" و"المومس العمياء" و"حفار القبور" وفيها تلتقي القضايا الاجتماعية بالشعر الذاتي. مع بداية الستينات نشر السياب ديوانه "أنشودة المطر"

الذي انتزع به الاعتراف نهائيا للشعر الحر من القراء وصار هو الشكل الأكثر ملائمة لشعراء الأجيال الصاعدة وأخذ السيات موقع الريادة بفضل تدفقه الشعري وتمكنه من جميع الأغراض وكذلك للنفس الأسطوري الذي أدخله على الشعر العربي بإيقاظ أساطير بابل واليونان القديمة كما صنع رموزا خاصة بشعره مثل المطر، تموز، عشتار، جيكور قريته التي خلدها. وتخللت سنوات الشهرة صراعات السياب مع المرض ولكن لم تنقص مردوديته الشعرية وبدأت ملامح جديدة تظهر في شعره وتغيرت رموزه من تموز والمطر في "أنشودة المطر" إلى السراب والمراثي في مجموعته "المعبد الغريق" ولاحقا توغل السياب في ذكرياته الخاصة وصار شعره ملتصقا بسيرته الذاتية في "منزل الأقنان" و"شناشيل ابنة الجلبي".

***

حبه للقراءة والمطالعة:

عُرف عن السيّاب حبه الشديد للمطالعة والبحث، وقراءة كل ما يقع بيده من كتب وأبحاث على اختلاف مواضيعها، وقد أشار إلى ذلك صديقه الأستاذ فيصل الياسري حيث يقول: وكان السياب قارئاً مثابراً فقد قرأ الكثير في الأدب العالمي والثقافة العالميّة، كما أنه قرأ لكبار الشعراء المعاصرين قراءة أصيلة عن طريق اللغة الإنكليزية التي كان يجيدها . وكان يقرأ الكتب الدينية كما يقرأ الكتب اليسارية ويستمر الياسري في وصفه للسياب ليكشف لنا بعضاً من صفاته التي لا يعرفها إلا القليل: وكذلك السيّاب على ما أذكر لم يكن كثير الكلام، ولكنه كان يفتخر أنه من البصرة؛ المدينة التي أنجبت الأخفش وبشار بن برد والجاحظ وسيبويه والفرزدق وابن المقفع. ..والفراهيدي واضع عروض الشعر .

مراحل تطور شعر السياب:

كان السيّاب شاعراً فذّاً اصطبغ شعره بصبغة الأطوار التي تقلّبت فيها حياته المعاشيّة والاجتماعية والفكريّة. عصره الألم في شبابه، وشعر بالغربة القاسية وهو في بيت أبيه، كما شعر بها وهو في بيئته؛ ولم يجد قلبه الشديد الحساسيّة مَن يخرجه

من أتون آلامه، ولم يجد في طريقه فتاة أحلامه، تلك الفتاة التي يسكب روحه في روحها، فتنتشله من أحلامه وأوهامه، وتُغرقه في عالمٍ من الحنان والرقة؛ ورافق ذلك كله تتبّع فكريّ وعاطفي لحركة الومانطيقية التي شاعت في أوربّة والتي ازدهرت في بعض الأقطار العربيّة ولاسيّما لبنان المقيم والمهاجر، فاندفع في تلك الحركة، وراح في قصائده الأولى يداعب شجونه في جوٍ من الصبابية اليائسة، وفي انحطام لا يخلو من نبضات ثورية حالمة، وراح يناجي الموت، وينظر إلى مصيرة نظرة اللوعة والإرنان، ويهوي في لجة عالمه المنهار:

***

لا تزيديـــه لوعـــة فهو يلقاك ... لينسى لديك بعض اكتئابه
قربي مقلتيك من قلبي الذاوي ... تري في الشحوب سر انتحابه
وانظري في غضونه صرخة اليأس ... وأشباح غاير من شبابه
لهفة تسرق الخطى بين جفنيه ... وحلم يموت في أهدابه

***

تلك كانت المرحلة الأولى من مراحل شعر السيّاب؛ أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الخروج من الذاتية الفرديّة إلى الذاتية الاجتماعية، وقد انطلق الشاعر، في نزعته الاشتراكيّة ورومنطيقيّته الحادة، يتحدث عن آلام المجتمع وأوصاب الشعب

ويُهاجم الظلم في أصحابه، ويُصوّره في (حفار القبور) مارداً جشعاً يرقص على جثث الموتى ويتغذى جشعه بأرواحهم **فيقول** :

واخيبتاه..! ألن أعيش بغير موت الآخرين..؟
والطيبات: من الرغيف، إلى النساء، إلى البنين
هي منة الموتى عليّ. فكيف أشفق بالأنام..!؟
فلتمطرنهم القذائف بالحديد وبالضرام..!!

***

وبعد هذه المرحلة نرى السيّاب ينزع نزعة (الواقعية الجديدة) – على حدّ قوله ويعمل على تحليل المجتمع تحليلاً عميقاً، وعلى تصويره تصويراً واقعيّاً فيه من الحقائق الحياتية ما يستطيع الشاعر ادراكه بنفاذ بصره وقوة انطباعيته. وقد امتاز بدر في هذه الفترة من حياته بنزعته القوميّة العربيّة وذلك بعد تركه للحزب الشيوعي.

يرى بعض الباحثين إن السياب تأثر بشعراء عرب وأجانب في مراحل تطور تجربته الشعرية وبخاصة في الخمسينيات "في مرحلة الالتزام الماركسي وما تلاها" ناقلاً عن السيّاب قوله إنه يحب البريطانيين وليام شكسبير وجون كيتس. وذكر أن السيّاب كان يقول: «وأكاد أعتبر نفسي متأثراً بعض التأثر بكيتس من ناحية الاهتمام بالصور بحيث يعطيك كل بيت صورة، وبشكسبير من ناحية الاهتمام بالصور التراجيدية العنيفة. وأنا معجب بتوماس إليوت.. متأثر بأسلوبه لا أكثر... ولا تنس دانتي فأنا أكاد أفضله على كل شاعر.» ويقول هذا الباحث : إن السياب ذكر عام ١٩٥٦ أن البحتري "أول شاعر تأثر به ثم وقع تحت تأثير الشاعر المصري علي محمود طه (الذي توفي عام ١٩٤٩) فترة من الزمن وعن طريقه تعرف على آفاق جديدة من الشعر حين قرأ ترجماته للشعراء الإنجليز والفرنسيين." ويتطرق هذا الناقد إلى تأثر السيّاب بكل من أبي تمام والبريطانية سيتويل وينقل عنه قوله: «حين أراجع إنتاجي الشعري ولا سيّما في مرحلته الأخيرة أجد أثر هذين الشاعرين واضحاً فالطريقة التي أكتب بها أغلب قصائدي الآن هي مزيج من طريقة أبي تمام وطريقة إديث سيتويل». ولطالما أشاد السياب بالشاعر العراقي المعروف محمد مهدي الجواهري (١٨٩٩-١٩٩٧) الذي كان يلقب (متنبي العصر) واعتبره"

(أعظم شاعر في ختام النهج التفعيلي للشعرالعربى)

(مدرسة السياب وأسلوبه الشعرى)

يقف السيّاب من الشعر الحديث موقف الثائر الذي يعمل على قلب الأوضاع الشعريّة, ونقل الشعر من ذهنية التقليد وتقديس الأنظمة القديمة إلى ذهنية الحياة الجديدة التي تنطق بلغة جيدة، وطريقة جديدة، وتعبّر عن حقائق جديدة. وساعدَ السيّاب في عمله جرأة في طبيعته، وتحرّك اجتماعيّ وسياسيّ ثوري هز العالم الشرقيّ هزاً عنيفاً، ثم انفتاح على أدب الغرب وأساليب الغرب في التفكير والتعبير. وقد أدخل السيّاب على الشعر العربي ثورته التي قام بها في مجتمعه، فحوّله من نظام العروض الخليلي إلى نظام الحرية، وأخرج الأوزان القديمة من قواعدها المألوفة إلى أوزان أملتْها عليه معانيه ونبضات وجدانه، وتصرف بالتفاعيل والقوافي وفاقاً للمزاجيّة الشعريّة التي يوحي بها مقتضى الحال، هذا فضلاً عن التيارات الفكرية والتحليلات العميقة التي زخر بها شعره وانساق في مجاريها انسياقاً فُرانيّاً يمتدّ امتداداً حافلاً بالغنى ومتأججاً بتأجّج العاطفة والحياة والخيال التي ينطلق منها.

تروعك في شعر السيّاب تلك الثروة الفكرية، وتلك الغزارة المعنوية، وذلك التلاحق الهائج المائج في تدفّقه الذي يجمع الصّخب إلى التغلغل في طوايا النفس؛ وذلك العصف الفكري والعاطفي المرهق، ثم تلك الواقعية اللفظية الضارية والإلحاح على المشهد المثير واللفظة المعبّرة عن الثورة الحياتية المتفجرة، ثم أخيراً تلك الرمزية التصويرية تستعين بالميثولوجيا والإشارات التاريخيّة التي تزيد الكلام حدّةً وبُعد له رونق .

وهكذا فالسيّاب شاعر التحرّر وشاعر الحياة والعنفوان. ويمثل شعر بدر أهم الاتجاهات الشعرية التي عرفها عصره، وكانت له حصيلة واسعة من الموروث الشعري الكلاسيكي، بالإضافة إلى ترجماته لمختارات من الشعر العالمي إلى العربية.

بدأ بدر كلاسيكياً، ثم تأثّر برومانسية أبي شبكة من لبنان وبودلير من فرنسا لكن إضافاته الشعرية وإنجازاته بدأت بشعره الواقعي، ولاسيما قصائد حفّار القبور المومس العمياء؛ الأسلحة والأطفال. وشعر بدر التّموزي أبدع ما ترك من آثارلاسيما ديوان أنشودة المطّر، ففيه نماذج كثيرة للقصيدة العربية الحديثة، التي توفر فيها شكل فني حديث متميّز، ومضمون اجتماعي هادف في آن واحد، ومن أشهرها أنشودة المطر، ومدينة السندباد؛ والنهر والموت؛ وبروس في بابل؛ وقصيدة المسيح. وتعد قصيدتاه: أنشودة المطر؛ وغريب على الخليج صوتاً مميزاً في الشعر العربي الحديث، وفيهما يظهر صوته الشعري المصفى وقدرته الإبداعية العميقة يقول مطلع أنشودة المطر:

***

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر أو شُرْفَتَان راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبسمان تورق الكروم وترقص الأضواء كالأقمار في نهر

وتبلغ القصيدة ذورتها في قوله:

أتعلمين أي حزن يبعث المطر وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياع بلا انتهاء كالدم المراق، كالجياع
كالحب كالأطفال كالموتى هو المطر

***

ومن خشيته للموت بعيداً عن أرض هذا الوطن، وهي مثال لشعر الاغتراب:

ليت السفائن لاتقاضي راكبيها عن سفار..
أو ليت أن الأرض كالأفق العريض بلا بحار
مازلت أحسب يانقود، أعدكن وأستزيد..!!
مازلت أنقص، يانقود، بكن من مدد اغترابي
مازلت أوقد بالتماعتكن نافذتي وبابي..
في الضفة الأخرى هناك فحدثيني يانقود
متى أعود، متى أعود..
واحسرتاه... فلن أعود إلى العراق..!!

***

وهذه قصيدته الشهيرة (هل كان حباً) من ديوانه (أزهار ذابلة) الصادر سنة ١٩٤٧ يقول فيها :

هلْ تُسمّينَ الذي ألقى هياما.. ؟
أمْ جنوناً بالأماني.. ؟ أم غراما.. ؟
ما يكون الحبُّ ؟ نوْحاً وابتساما.. ؟
أم خُفوقَ الأضلعِ الحرّى، إذا حانَ التلاقي
بين عينينا، فأطرقتُ، قراراً باشتياقي
عن سماعٍ ليس تسقيني، إذا ما ..؟
جئتُها مستسقياً، إلاّ أواما

***

العيون الحور، لو أصبحنَ ظِلاً في شرابي
جفّتِ الأقداحُ في أيدي صحابي
دون أن يَحْضَين حتى بالحباب

هيئي، يا كأسُ، من حافاتكِ السُّكْرَى ، مكانا
تتلاقى فيه، يوماً ، شَفَتانا
في خفوقٍ والتهابٍ
وابتعادٍ شاعَ في آفاقهِ ظلُّ اقترابِ
***
كم تَمنّى قلْبيَ المكلومُ لو لم تستجيبي
من بعيدٍ للهوى، أو من قريبِ
آهِ.. لو لم تعرفي، قبل التلاقي، من حبيب
أيُّ ثغرٍ مَسَّ هاتيك الشفاها
ساكباً شكواهُ آهاً... ثم آها..؟
غير أنّي جاهلٌ معنى سؤالي عن هواها
أهو شيءٌ من هواها... يا هواها..؟
أحْسدُ الضوءَ الطروبا
مُوشكاً، مما يلاقي، أن يذوبا
في رباطٍ أوسع الشّعرَ التئاما،
السماء البكرُ من ألوانه آناً، وآنا
لا يُنيلُ الطَّرْفَ إلاّ أرجوانا
ليتَ قلبي لمحةٌ من ذلك الضوءِ السجينِ
أهو حُبٌّ كلُّ هذا ؟! خبّريني
***

ريادته لمدرسة الشعر الحر:

قام بعض رواد الشعر في العراق ومنهم السيّاب بمحاولات جادّة للتخلص من رتابة القافية في الشعر العربي، فقد تأثر السيّاب بالشعر الإنجليزي ويشاركه بذلك البياتي و نازك الملائكة، وأرادوا نقل تلك الحرية التي شاهدوها في الشعر الأجنبي

إلى الشعر العربي، وفي الواقع كانت هناك محاولات قبل هؤلاء الثلاثة للتغيير ولكنها كانت مجرد استطراف، وأما هؤلاء الثلاثة فقد كانت محاولاتهم جادّة وتتخذ من هذا التغيير مذهباً تدافع عنه وتنافح من أجله، « وإنما الذي يميّز هذه الحركة عن كل ما سبقها أن اعتمادها للشكل الشعري الجديد أصبح مذهباً لا استطرافاً، وأن إيمانها بقيمة هذا التحول كان شمولياً لا محدوداً، وأن أفرادها في حماستهم لهذا الكشف الجديد رأوا وما زالوا يرون – عدا استثناءات قليلة – أن هذا الشكل يصلح دون ما عداه وعاء لجمع التجربة الإنسانية إذا أريد التعبير عنها بالشعر.» إلا أنه وقع كلام بين الباحثين في تحديد الرائد الأول للشعر الحديث، فالمعروف أن هناك نزاع بين السيّاب ونازك الملائكة على الريادة.

ترجماتـــه:

كان السيّاب يجيد اللغة الإنجليزية ولذا ساهم مساهمة فعّالة في ترجمة الكثير من الأعمال العالمية لأدباء العالم، وممن ترجم لهم السيّاب الإسباني فدريكو جارسيا لوركا والأمريكي إزرا باوند والهندي طاغـــور والتركأي ناظم حكمـــت والإيطالي أرتورو جيوفاني والبريطانيان تي إس إليوت وإديث سيتويل ومن تشيلي بابلونيرودا.

أول إصداراته من المترجمات :

أصدر السيّاب مجموعة ترجماته لأول مرة عام ١٩٥٥ في كتاب أسماه: (قصائد مختارة من الشعر العالمي الحديث) .

وهذا نموذج من ترجماته، ففي ترجمته الرائعة لقصيدة «الوطن» من للشاعرة (البلجيكية إميلي كامير) **يقول السياب:**

إنه صوت بذاته: صوت جرس في برج بعيد، وهو ضوء الشمس على الغبراء بين الشجر، أو عَبّ ديمة من المطر، وهو سقف بذاته، تحت سماء بالذات، وأريج ممشى في شاعر بالذات، وحدور تجثو لديه مزرعةٌ، وإحساسك بالعشب تحت الأقدام، وأريج ممشى في شارع بالذات، ونظرة خاطفة، واهتزاز يد بيضاء: شيء من الماضي، يعيا على الفهم من سرعته، هو ما تُحسّ به وتعجز أن تقول، حتى إذا غنّيت، وخير ما يقال فيه: إنه كلّ هذه الأشياء، هو ما تذوق وما تراه، هو ما تتنفس وتسمع، التبغ والجنة والرغيف، وأوراق شجر زاهية، وزفيف ريح، والمشاهد المألوفة والأصوات، ومائدة في لقاء: هو ما تُحسّ وتعجز أن تقول، حتى إذا غنيت وخير ما يقال فيه إنه كل هذه الأشياء. هو غبطة البدن ونعماه وخفق القلب للأطفال تحملهم على الصدور، وهو رائحة الطريق، وهو طعم الأغنية، هو الحلم، وتباريح الثواء.

- أعماله الأدبية:

* **أزهار ذابلة**
* **أساطير**
* **حفار القبور**
* **الأسلحة والأطفال**
* **أنشودة المطر**
* **المعبد الغريق**
* **منزل الأقنان**
* **أزهار وأساطير**
* **شناشيل ابنة الجلبي**

* إقبال
* إقبال وشناشيل ابنة الجلبي
* قيثارة الريح
* أعاصير
* الهدايا
* البواكير
* فجر السلام

* الترجمات الشعرية :

- عيون إلزا أو الحب والحرب
- قصائد عن العصر الذري
- قصائد مختارة من الشعر العالمي الحديث
- قصائد من ناظم حكمت

***

* وفاة: (بدر شاكر السياب) :

وفي سنة ١٩٦١ بدأت صحة السياب بالتدهور حيث بدأ يشعر بثقل في حركة وأخذ الألم يزداد في أسفل ظهره، ثم ظهرت بعد ذلك حالة الضمور في جسده وقدميه، وظل يتنقل بين بغداد وبيروت وباريس ولندن للعلاج دون فائدة.

أخيراً ذهب إلى الكويت لتلقي العلاج في المستشفى الأميري في دولة الكويت حيث قامت هذه المستشفى برعايته وأنفقت عليه خلال مدة علاجه. فتوفي بالمستشفى هناك في ٢٤ كانون الأول عام ١٩٦٤ ونُقل جثمانه إلى البصرة وعاد إلى قرية

(جيكور) في يوم من أيام الشتاء الباردة الممطرة. وقد شيّعه عدد قليل من أهله

وأبناء محلته، ودفن في مقبرة الحسن البصري في الزبير.

أين جيكور..؟

جيكور ديوان شعري

موعد بين ألواح نعشي وقبري .

مات السياب.. بعد ان اخرج لنا مدرسة جديدة في عالم شعر التفعيله والمسمي بالشعر الحر مات شاعرنا عن عمر يناهز ٣٨ عاما في ريعان الشباب تاركا لنا اجمل الاشعار وعزب الكلمات بموت الشاعر وهذه سنة الحياة .. ولا يموت الشعر ابدا .. فهو في ذاكرة الازمان والوجدان. وسيظل ديوان العرب يذخر بالقامات والهامات التي دوما ما تخلد .

الشاعر المعاصر..(أدونيس)

(ادونيس) الاسطورة هو : أحد ألقاب الآلهة في اللغة الكنعانية الفينيقية فالكلمة (أدون) تحمل معنى سيد أو (إله بالكنعانية) مضاف إليها السين (التذكير باليونانية). وهو معشوق(الإلهة عشتار) انتقلت أسطورة أدونيس من الحضارة والثقافة (الكنعانية)) للثقافة (اليونانية) القديمة . فاصبح يجسد لديهم رمزا للربيع والإخصاب لدى الكنعانين والإغريق. وكان يصور كشاب رائع الجمال ولفظ «تموز» هو الاسم الحقيقي للرب (أدونيس) وهو اسم مشتق من اللفظ (الكنعاني السوري) « آدون » الذي يفيد معنى « السيد » أو (الرب) فجعل الإغريق من هذا اللفظ اسماً (لادونيس) اشتهر به. وقد عرف الاسم في بلاد(كنعان) قبل أن يشتهر به في الأساطير اليونانية الكلاسيكية والهلينية وهو « تموز» في حضارة بلاد الرافدين.

أدونيس .. فيلسوف الشعراء :

_ اسمـــــه:

علي أحمد سعيد إسبر المعروف باسمه المستعار أدونيس شاعر عربي سوري.

_ مولـــــده:

ولد عام١٩٣٠م بقرية (قصابين) التابعة لمدينة جبلة في (سوريا).

_ سر اسم أدونيس :

اطلق على نفسه.. اسم أدونيس (تيمناً بأسطورة أدونيس الفينيقية) الذي خرج به على تقاليد التسمية العربية .

- شيء مـــن حياتـــه :

(ادونيس) لم يعرف مدرسة نظامية قبل سن الثالثة عشرة حفظ القرآن على يد أبيه، كما حفظ عددًا كبيرًا من قصائد القدامي.

***

* قصيدة وطنية تغير مجرى حياة أدونيس:

وفي ربيع ١٩٤٤م ..ألقى قصيدة وطنية من شعره أمام شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية حينذاك والذي كان في زيارة للمنطقة.نالت قصيدته الإعجاب فأرسلته الدولة إلى المدرسة الفرنسية في طرطوس فقطع مراحل الدراسة قفزاً وتخرج من جامعة دمشق متخصصاً في (الفلسفة) سنة ١٩٥٤م. التحق بالخدمة العسكرية عام ١٩٥٤م .

* سجنه وانتمائة للحزب السوري القومي :

قضى (ادونيس) سنة في السجن بلا محاكمة بسبب انتمائه للحزب السوري القومي الاجتماعي الذي تركه تنظيميا عام ١٩٦٠. غادر سوريا إلى لبنان عام ١٩٥٦م حيث التقى(بالشاعر يوسف الخال) وأصدرا معاً مجلة شعر في مطلع عام١٩٥٧م . ثم أصدر أدونيس (مجلة مواقف) بين عامي١٩٦٩ وعام ١٩٩ ميلادي.

* أدونيس ينال الدكتوراة في الأدب العام:

درّس في الجامعة اللبنانية, ونال درجة (الدكتوراة في الأدب عام) ١٩٧٣م من جامعة القديس يوسف وأثارت أطروحته الثابت والمتحول سجالاً طويلاً. بدءاً من عام ١٩٥٥م وتكررت دعوته كأستاذ زائر إلى جامعات ومراكز للبحث في (فرنسا وسويسرا.. والولايات المتحدة وألمانيا). تلقى عدداً من الجوائز العالمية وألقاب التكريم وتُرجمت أعماله إلى ثلاث عشرة لغة عالمية .

*** أدونيس والدراسات النقدية حول أعماله الأدبية:**

صدرت بعض الدراسات النقدية عن إنتاج (أدونيس)الأدبي ومنها كتاب بعنوان (أدونيس) بين النقاد قدمه المفكر العربي العالمي(إدوارد سعيد) فيه بأنه الشاعر العربي العالمي الأول، كتب كثيرة تناولته بالنقد والتجريح، وكتب كثيرة وصفته محاوراً.

رغم ترشيحه المتكرر من قبل بعض المؤسسات الثقافية لنيل جائزة نوبلفي الاداب إلا أنه لم يحصل عليها.

***

*** الجوائز التي حصل عليها أدونيس :**

- **جائزة جان مارليو للآداب الأجنبية. فرنسا**
- **جائزة فيرونيا سيتا دي فيامو روما. إيطاليا.**
- **جائزة ناظم حكمت. إسطنبول**
- **جائزة البحر المتوسط للأدب الأجنبي... فرنسا**
- **جائزة المنتدى الثقافي اللبناني. ب. فرنسا**
- **جائزة الإكليل الذهبي للشعر.مقدونيا**
- **جائزة نونينو للشعر. إيطاليا.**
- **جائزة ليريسي بيا. إيطاليا**
- **جائزة غوته (بالإنجليزية) ..(فرانكفورت).**

***

*** من أشهر دواوينه الشعرية:**

دوان : (قصائد أولى)

ديوان : (أوراق في الريح)

ديوان :(أغاني مهيار الدمشقي)

* مختارات من قصائده :

- من(قصيدة الفيلسوف)

"كلَ يومٍ أفتشُ عن هاربٍ تحت جلدي"
يقولُ كرّر: "جسمي حصارٌ، وأرضي حصارٌ."
ويؤكّدُ: "لا، لستَ أشكو". ويسألُ:
ما ذلك النّواحُ .. المدينةُ، هذا المساءْ
ورقٌ طائرٌ.
هل يقومُ الترابُ على قدميه..؟

* * *

- من(قصيدة لون الماء)

لونكَ لونُ الماء
يا جَسَدَ الكَلامْ
حين يكون الماءْ
خميرةً أو صاعقاً أو نارْ
واشْتعَلَ الماءْ وصارَ صاعقاً وصارْ
خميرةً ونارْ،
نَيْلوفراً
يسْألُ عن وسادتي
ينامْ...
يا نَهرَ الكَلامْ
سافرْ معي يومين، جمعتين في خميرة الأسرارْ
نلتقطُ البحارَ، أو نستكشف المحارْ

نُمطرُ ياقوتاً وآبنوساً
نعرفُ أنَ السَحرْ
جنّيةٌ سوداءْ
ترفضُ أن تعشقَ غير البَحرْ.

***

- من (قصيدة الصمت)

سكَنَتْ وجهها
سكَنَتْ في نخيل؟ من الصمّتِ بين رؤاها وأجفانها
بيتُها شارد...
في قطيع الرّياحِ, وأيّامُها
سَعَف.. يابس..
ورمال...
منْ يقولُ لزينَب: عيناي ماء
ووجهيَ بيت.. لأحزانِها..؟؟

***

ألمحُ الآنَ أحزانَها
كالفراشاتِ, تضربُ قِنديلَها
حُرّةً, ذاهلَهْ
وأراها تُمزّق منديلَها
ألمحُ الآنَ أمّي:
وَجْهُها حُفْرة... ويداها
وردة.. ذابلَهْ !!.

- من(قصيدة مفرد بصيغة الجمع)

لم تكن الأرض جرحًا كانت جسدًا
كيف يمكن السفر بين الجرح والجسد
كيف تمكن الإقامة؟؟
كان لإقامته بين الشجر والزّرْع شحوبُ
القصب وسكْرَةُ الأجنحة
تآصرَ مع الموج...
أغْرى بهدأة الحجر
أقْنع اللّغة أن تؤسّس حبْرَ الخشخاش
وكان سَلّمٌ يقال له الوقت يتكىء على اسْمه
ويصعد نبوءةٌ !!..
من الأجنحة يخرج الأثير
من المصادفة يخرج الحتْم
لكن.....؟؟
أيتها الشمس الشمس ماذا تريدين مني؟؟
وجهٌ يجتمع بُحيرةٌ يَفْترق بجعًا
صدرٌ يرتعش قبَرةٌ يهدأ لُوتسًا
حوضٌ يتفتّح وردةٌ ينغلق لؤلؤةٌ
تلك هي أدغال الهجرة ورايات القَفْر
وللنهار يدا لعبة
وللفَلَكِ نَبرةُ المهرّج
لكن....؟؟
أيتها الشمس الشمس ماذا تريدين مني
يلبس الموتُ حالةَ البنفسج

يسكن النَرجس آنيةَ الثلج
يحلم أن الحبّ وجهٌ
وأنّه مرآته-
الحجرُ برعمٌ..الغيمةُ فراشةٌ
وعلى العتبة جسدٌ - شرارةٌ لقراءة الليل
ليس الموتُ عزلةَ الجسد
الموت عزلةُ ما ليس جسدًا

***

- من (قصيدة الحب جسد)

الحب جسد أحنّ ثيابه الليل
للأعماق منارات
لا تهدي إلاّ الى اللجّ
شجرة الحور مئذنة
هل المؤذّن الهواء ..؟؟
أقسى السجون وأمرّها
تلك التي لا جدران لها.
كان أبي فلاّحًا
يحبّ الشعر ويكتبه,
لم يقرأ قصيدة
إلاّ وهي تضع على رأسها رغيفًا
الحلم حصان
يأخذنا بعيدًا
دون أن يغادر مكانه

***

- من(قصيدة هرة الكيمياء)

ينبغي أن أسافرَ في جنّةِ الرّمادْ
بين أشجارها الخَفيّهْ
في الرّمادِ الأساطيرُ والماسُ والجُزّةُ الذّهبيّهْ.
ينبغي أن أسافرَ في الجوع، في الورد، نحو الحصادْ
ينبغي أن أسافرَ، أن أستريحْ
تحت قوسِ الشّفاهِ اليتيمهْ،
في الشّفاهِ اليتيمةِ في ظلّها الجَريحْ
زهرةُ الكيمياءِ القديمهْ .

* * *

- من (قصيدة شطح)

وأقول بلا دهشةٍ
واتني يا زمانَ التّعبْ
صرتُ أهوى الجلوسَ إلى صخْرةِ المستحيلْ
مثلَ طفْلٍ يحبّ الرّحيلْ
في الفضاءِ على صهْوةٍ من قصَبْ.
-لا تقولوا: هروبٌ ويأسْ
تَهربُ الرّيحُ كي تحضنَ الأرضَ
واليأسُ يفتح أبوابه الملكيّهْ
لانفجارِ المداراتِ، قولوا: نذيرْ
واسمعوا الشّاهدَ المُغطّى
بجذوعِ النخيلْ!!..
واقرأوا الشّاهدَ المُدوّنَ بالتّمْرِ والزّنْجبيلْ
في صحائفَ إستَبْرَقِ...

وأقولُ بلا دهشةٍ للنّدى
هل رأيتَ المكانَ خبرتَ الحقولْ
بَشَرٌ هؤلاء الذي يُغطّونَها أم بُقُولْ؟
هكذا أتجرّأ أن أعشقَ النّدى
وأُغنّيه، يَجْري كأنّ السّحَرْ
ضفّتاه ..!!

***

- من (قصيدة في عتمة الاشياء)

في عَتْمة الأشياء في سرّها
أحبُّ أن أبقى
أحبُّ أن أستبطنَ الخَلْقا
أحبُّ أن أشردَ كالظنّ
كغربة الفنّ
كالمبهم الغُفْل وغير الأكيدْ
أولَدُ في كلّ غدٍ من جديدْ

***

- من (قصيدة عرافة)

حاجبُها كجرسٍ يَرِنُّ
ملائكةٌ بغيْبي
بواقعي وربّي
بكلّ ما أُدِنُّ.
تنظرُ .. فالأحاجي
تُضيء كالسّراج
كأنها تعلّقتْ

بهدْب الزمانِ
فَهْيَ مع الصباحِ
والغيم والرّياحِ
والصّعب والمتاحِ ،
عُقدةٌ كلّ آنٍ.
تُمسك لي أصابعي وتُحدقْ
وتُطرقُ
وتلجُ الكهوفا
وتنبشُ الحروفا
ألا اضْحكي ، ألا ابْتَسي
ألا اهْمُسي
هذي يدي – خذي يَدي
خُذي غدي
وفَسّري واجْتَهدي
ووَشْوشيني واحْذَري
أن تجْهري..!

***

– من (قصيدة من الذاكرة)

كم نفضنا عن أغانينا الكآبه
وملأنا الأفْقَ أجفاناً ، وصِحْنا : يا سَحابه
أمْطرينا ،
نحن ذاك الموسمُ المنتظرُ
والزّهَرُ ،
غافلينا،

وافتحي قُربتَك الملأى وصبّيها علينا

يا سحابه

يا التي جاءت من البحر إلينا.

***

- من (قصيدة اغنية الى الزمن الضد)

***

لو تجرّأتُ، قلتُ: النجوم، السماء وتاريخُها..

الناسُ، واللغةُ القائمهْ

جُثَثٌ عائمهْ

لو تجرّأتُ، ساءلتُ: منْ يُحرقُ الآنَ؟

ماذا يُسيّرُ، بماذا يُجاهِرُ؟ هل

قال؟ هل كان؟ هلاّ؟

لو تجرأتُ، غنّيتُ للمدن الآفله

للرّماد المُدمّى ، وللآلة الآكلهْ

ولأعلنْتُ: هذي

آيةُ الوقْتِ، أرضٌ

تتناسلُ في جُثّةٍ، وربّ

علّقتهُ الجريمهْ

فوق أقواسها.. تميمهْ..!!

(مظفـــر النـــواب)

اسمـــــه:

((مظفر عبد المجيد النواب)) شاعر عراقي معاصر ومعارض سياسي بارز وناقد تعرّض للملاحقة وسجن في العراق وعاش بعدها في عدة عواصم منها بيروت ودمشق ومدن أوربية اخرى.

نسبـــــه:

ينتمي باصوله القديمة إلى عائلة النواب التي ينتهي نسبها إلىالامام (موسى الكاظم) وهي أسرة ثرية مهتمة بالفن والأدب العربي.

نفي عائلة النواب:

تعرض والد النواب إلى هزة مالية أفقدته ثروته خلال ترحال أحد اجداده في الهند أصبح حاكماً لإحدى الولايات فيها قاوم الإنجليز لدى احتلالهم للهند فنفي افراد العائلة خارج الهند فاختاروا العراق وفي بغداد ولد (عام ١٩٣٤) ميلادي اكمل دراسته الجامعية في كلية الآداب ببغداد. وبعد انهيار النظام الملكي في العراق (عام ١٩٥٨)تم تعيينه مفتشاً فنياً بوزارة التربية في بغداد.

فترة سجنه:

في عام ١٩٦٣ اضطر لمغادرة العراقب بعد اشتداد التنافس بين القوميين والشيوعيين الذين تعرضوا إلى الملاحقة والمراقبة الشديدة من قبل النظام الحاكم فكان هروبه إلى الأهواز عن طريق البصرة إلا ان المخابرات الإيرانية في تلك الأيام ألقت القبض عليه وهو في طريقه إلى روسيا وسلمته إلى الأمن السياسي العراقي فحكمت عليه المحكمة العسكرية هناك بالإعدام إلا ان المساعي الحميدة التي

بذلها أهله وأقاربه أدت إلى تخفيف الحكم القضائي إلى السجن المؤبد وفي سجنه الصحراوي القريب من الحدود السعوديةالعراقية أمضى وراء القضبان مدة من الزمن ثم نقل إلى سجن (الحلة) الواقع جنوب بغداد.

هروبه من السجن:

في هذا السجن قام مظفر النواب ومجموعة من السجناء بحفر نفق من الزنزانة يؤدي إلى خارج أسوار السجن وبعد هروبه المثير من السجن توارى عن الأنظار في بغداد وظل مختفياً فيها ثم توجه إلى الجنوب وعاش مع الفلاحين والبسطاء حوالي سنة. وفي (عام ١٩٦٩) صدر عفو عن المعارضين فرجع إلى سلك التعليم مرة ثانية. غادر بغداد إلى بيروت في البداية ومن ثم إلى دمشق وراح ينتقل بين العواصم العربية والأوروبية واستقر به المقام أخيراً في دمشق بسوريا وتوفى مظفر النواب عن عمر يناهز.. (٧٩ عاما)..رحمه الله..

* مختارات من أعماله الشعرية :

- قصيدة (القدس عروس عروبتكم)

يا وطني المعروض كنجمة صبح في السوق..
في العلب الليلية يبكون عليك
ويستكمل بعض الثوار رجولتهم
ويهزون على الطبلة والبوق
أولئك أعداؤك يا وطني
من باع فلسطين سوى أعداؤك أولئك يا وطني
من باع فلسطين وأثرى بالله
سوى قائمة الشحاذين على عتبات الحكام
ومائدة الدول الكبرى
فإذا أجن الليل تطق الأكواب بأن القدس عروس عروبتنا
من باع فلسطين سوى الثوار الكتبة
أقسمت بأعناق أباريق الخمر
وما في الكأس من السم
وهذا الثوري المتخم بالصدف البحري ببيروت
تكرش حتى عاد بلا رقبة
أقسمت بتاريخ الجوع.. ويوم السغبة
لن يبقى عربي واحد
ما دامت حالتنا هذي الحالة
بين حكومات الكتبة
القدس عروس عروبتكم
فلماذا أدخلتم كل زنات الليل الى حجرتها

وسحبتم كل خناجركم

وتنافختم شرفاً

وصرختم فيها ان تسكت صوناً للعرض

***

- قصيدة (بنفسج الضباب)

عبد الله الارهابي..

الليل و عبدالله أقارب

العرق البارد والنار و حزن الأيام

وعبد الله أقارب

يفهم في اللج..

وأفضل من يصنع مجدافين ولا يملك قارب

يدفع جفنيه يقاتل لولا الصف البطلي

يزيح الجدران

يصاهر نار الأيام

أحبك يا عبد الله لنفسك غاضب

وعلى نفسك غاضب..

***

- قصيدة (الأساطيل)

إيه الأساطيل لا ترهبوها..

قفوا لو عراة كما لو خلقتم

وسدوا المنافذ في وجهها

والقرى والسواحل والأرصفة

انسفوا ما استطعتم إليه الوصول

من الأجنبي المجازف واستبشروا العاصفة

مرحبا أيها العاصفة..

مرحبا...مرحبا...مرحبا أيها العاصفة

مرحبا أيها العاصفة...

ارقوا أطقم القمع من خلفكم!! ..

فالأساطيل والقمع شيء يكمل شيئا

* * *

- قصيدة (الثـــورة)

فالثورة ليست خيمة فصل للقوات

ولا تكية سلم للجبناء

نفذ نارك!! ..

يا اللّه ننفذ أقدارك

يا نسر إذا حاصرك الأعداء

يا نسر إذا لم يبق لديك قنابل.

يا نسر إذا حان لقاء اللّه

خل جبين الطائرة الفذة نحو الأرض

تماما نحو الأرض!.

خذ سرعتك القصوى انفجر

دمر أي مكان في العاصمة الاسرائيلية واستشهد

فاللّه سيلقاك قبيل وصول الأرض!!..

* * *

- قصيدة (الخوازيق)

أو أنت وصلت احتضنتك فلسطين
لله ما تلد البنادق من قيامة
إن جاع سيدها وكف عن القمامة
إن هب نفح مساومات كان قاحل قاتلا
لا ماء فيه ولا علامة!!..
هو السلاح المكفهر دعامة
حتى إذا نفذ الرصاص هو الدعامة
قاسى فلم يتدخلوا
حتى إذا شهر السلاح
تدخل المبغى ليمنعه اقتحامه
لا يا قحاب سياسة
خلوه صائم موحشا فوق الزناد
فإن جنته صيامه
قالوا مراحل!!..
قولوا قبضنا سعرها سلفا
ونقتسم الغرامة
لكن أرى غيما بأعمدة الخيام
تعبث الأحقاد فيه جهنما
وتحجرت فيه الغلامة
حشد من الأشداء ميسرة تمج دما
وحلق في اليمين لمجهض دمه أمامه

حتى قلامة أظفر كسرت

ستجرح قلبا ظالما!!..

فما تنسى القلامة

وأرى خوازيقا صنعن على

لله ما تذر البنادق حاكمين مؤخرات في الهواء

ورأسهم مثل النعامة

ودم فدائي بخط النار يلتهم الجيوش

كما السراط المستقيم به اعتدال واستقامة

لم ينعطف خل على خل كما سبابة فوق الزناد

عشي معركة الكرامة

نسبي إليكم أيها المستفردون

وليس من مستفرد في عصرنا إلا الكرامة!!..

(أمل دنقل ..الملقب بصعلوك شعراء الحداثة)

ستظل أعمال الشاعر (آمل دنقل) خالدة رغم رحيله قبل اكثر من عشرين عاما وذلك لان قصيدته بالمعنى الجمالي لا زالت صالحة لهذا العصر ولا زالت تقرأ وتطبع حتى الآن وكما أن قصيدته حديثة وتجديدية على المستوى الجمالي تواكب عصرها رغم مرور كل هذا الوقت. اما على المستوى الفكري أظن أنها اكثر القصائد حضورا في علاقتها بالواقع ورغبتها في تغييره وهي أيضا قصيدة مرتبطة بالتاريخ والمتتبع لتاريخ مصر والوطن العربي يكتشف أن هذا التغيير التاريخي مرتبط بشكل أساسي بالتغيير الاجتماعي وهو ما يوجد في قصيدة أمل دنقل وهذه هي الأسباب التي أبقت أمل دنقل حتى الآن .

اسمـــه:

هو :((محمد أمل فهيم أبو القسام محارب دنقل)) وسمي أمل دنقل بهذا الاسم لأنه ولد بنفس السنة التي حصل فيها والده على اجازة العالمية فسماه باسم أمل تيمنا بالنجاح الذي حققه .

مولـــده:

ولد أمل دنقل عام (١٩٤٠ ميلادية) لاسرة صعيدية (بقرية القلعة لمركز يسمى قفط)على مسافة قريبة من مدينة قنا في صعيد مصر، وقد كان والده عالماً من علماء الأزهر الشريف مما أثر في شخصية أمل دنقل وقصائده بشكل واضح .

تاثرة بوالده:

ورث أمل دنقل عن والده موهبة الشعر فقد كان يكتب الشعر العمودي، وأيضاً كان يمتلك مكتبة ضخمة تضم كتب الفقه والشريعة والتفسير وذخائر التراث العربي

مما أثر كثيراً في أمل دنقل وساهم في تكوين اللبنة الأولى للأديب أمل دنقل. فقد أمل دنقل والده وهو في العاشرة من عمره مما أثر عليه كثيراً واكسبه مسحة من الحزن تجدها في كل أشعاره.

شيئ من حياتـــه:

رحل أمل دنقل إلى القاهرة بعد أن أنهى دراسته الثانوية في قنا وفي القاهرة التحق بكلية الآداب ولكنه انقطع عن الدراسة منذ العام الأول لكي يعمل. عمل أمل دنقل موظفاً بمحكمة قنا وجمارك السويس والإسكندرية و كان دائماً ما يترك العمل وينصرف إلى كتابة الشعر وهذا هو حال المبدعين لا يتحملون ملل ورتابة الروتين الوظيفي . وكمعظم أهل الصعيد، شعر أمل دنقل بالصدمة عند نزوله إلى القاهرة أول مرة، وأثر هذا عليه كثيراً في أشعاره ويظهر هذا واضحاً في اشعاره الأولى مخالفاً لمعظم المدارس الشعرية في الخمسينيات استوحى أمل دنقل قصائده من رموز التراث العربي، وقد كان السائد في هذا الوقت التأثر(بالميثولوجيا) <١> الغربية عامة واليونانية خاصة. عاصر امل دنقل عصر أحلام العروبة والثورة المصرية مما ساهم في تشكيل نفسيته وقد صدم ككل المصريين بانكسار مصر في (عام ١٩٦٧م) وعبر عن صدمته في رائعته "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" ومجموعته "تعليق على ما حدث ".

شاهد أمل دنقل بعينيه النصر وضياعه وصرخ مع كل من صرخوا ضد معاهدة السلام، ووقتها أطلق رائعته "لا تصالح" والتي عبر فيها عن كل ما جال بخاطر كل المصريين، ونجد أيضاً تأثير تلك المعاهدة وأحداث شهر (يناير عام ١٩٧٧م) واضحاً في مجموعته "العهد الآتي". كان موقف أمل دنقل من عملية السلام سبباً في اصطدامه في الكثير من المرات بالسلطات المصرية وخاصة ان أشعاره كانت تقال في المظاهرات على ألسن الآلاف.

عبر أمل دنقل عن مصر وصعيدها وناسها، ونجد هذا واضحاً في قصيدته (الجنوبي) في آخر مجموعة شعرية له (أوراق الغرفة رقم ٨)، حيث عرف القارئ العربي شعره من خلال ديوانه الأول (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) الصادر (عام ١٩٦٩م) الذي جسد فيه إحساس الإنسان العربي(بنكسة ١٩٦٧م) وأكد ارتباطه العميق بوعي القارئ العربي ووجدانه تجاه القضية العربية آنذاك .

لقب (آمل دنق) بالشاعر الصعلوك:

الشاعر الصعلوك هذا اللقب كان يتردد كثيرا في الأوساط الأدبية المصرية كلما ذكر أمل دنقل وهذا الوصف يعد تحية كريمة لشاعر معاصر ينأى بنفسه عن الاقتداء بالشعراء المدجنين شعراء الحواضر والصالونات المعطرة والبدلات الأنيقة والسيارات الفارهة من كتاب (سيرة آمل دنقل) للصحفية عبلة الرويني زوجة امل دنقل:.. ذكرت(عبلة الرويني) في كتابها فقالت كان آمل دنقل دائما يؤكد لها أن علاقتهما تشبه الصداقة لا غير وليس بها شبهة العواطف، وهو ما كان يستفزها كثيرا، ولكنه اضطر للإعتراف بقوله: إنني رجل بدأت رحلة معاناتي في سن العاشرة، وفي السابعة عشرة اغتربت عن كل ما يمنح الطمأنينة حتى الأبد، وأعتقد أن السهم الوحيد الذي يمكن أن يصيبني في مقتل سوف يجيء من امرأة، ولذلك اتسمت علاقاتي دائما بالرفض، كنت أستغرق في الحب لكنني في صميمي كنت هاربا من التمسك بها".

وتشرح (عبلة) الصعوبات التي واجهت إتمام زفافها من أمل قائلة: كانت المسافة كبيرة بين عالمي وعالم أمل في صورتها الظاهرية، فقد كنت أنتمي إلى أسرة محافظة وثرية وإلى منزل هادئ، كما أن طفولتي كانت قادمة من أيدي الراهبات الفرنسيات، كنت أمتلك الكثير من الأشياء والكثير من التدليل للابنة الوحيدة بالأسرة، بينما كان أمل ينتمي للريح والاضطراب، فبالرغم من عزوة عائلته وقوتها

وثرائها، إلا أنه كان دائما لا ينتمي إلا إلى نفسه، عرف معنى الرجولة مبكرا حينما توفي والده، وهو لايزال في سن العاشرة، فكان رجل البيت الذي تولى شئون أمه وأخواته.

كان أمل ينتمي إلى الشوارع، والحواري والأزقة والطرقات. حتى انه ذكر يوما أن تاريخ الأرصفة هو تاريخه الشخصي ، ولكن مع ذلك تم الزواج وتصف عبلة الحياة بينهما بعد الزواج فتقول: "كان أمل يستيقظ ظهرا وكنت أصحو قبل ذلك كثيرا حتى يمكنني الذهاب إلى جريدتي والعودة قبل استيقاظه كمن هي على موعد غرامي جديد، فقد كنت أشعر دائما بفرحة حضوره وأحرص على تواجدي معه.

أعماله الشعرية :

المجموعة الشعرية الاولى البكاء بين يدي زرقاء اليمامة. المجموعة الثانية تعليق على ما حدث المجموعة الثالثة مقتل القمر المجموعة الرابعة العهد الآتي المجموعة الخامسة أقوال جديدة عن حرب البسوس المجموعة السادسة (أوراق الغرفة ٨) .

أشهر قصائده :

هي : قصيدة (لا تصالح) يقول فيها :

لا تصالحْ ..!
ولو منحوك الذهب
أترى حين أفقأ عينيك
ثم أثبت جوهرتين مكانهما هل ترى..؟
هي أشياء لا تشترى
ذكريات الطفولة ..

بين أخيك

وبينك حسّكما – فجأةً – بالرجولةِ

هذا الحياء الذي يكبت الشوق..

حين تعانقهُ الصمتُ

مبتسمين لتأنيب أمكما

وكأنكما ما تزالان طفلين..!!

تلك الطمأنينة الأبدية بينكما

أنّ سيفانِ سيفكَ صوتانِ صوتكَ

أنك إن متّ للبيت ربٌّ وللطفل أبْ

هل يصير دمي – بين عينيك– ماءً ..؟

أتنسى ردائي الملطّخَ بالدماء

تلبس – فوق دمائي– ثيابًا مطرّزةً بالقصب ..؟

إنها الحربْ قد تثقل القلبَ

لكن خلفك عار العرب لا تصالحْ..

ولا تتوخَ الهرب..!

ويقول في نهايتها :

لا تصالح ..!

ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ

والرجال التي ملأتها الشروخ

هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم

وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ

لا تصالح..!

فليس سوى أن تريد ..!

أنت فارسُ هذا الزمان الوحيد

وسواك.. المسوخ ..! لا تصالحْ.. !!

جزء من قصيدة: (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة)

أيتها العراقة المقدّسةْ جئتُ إليك ..؟!
متخناً بالطعنات والدماءْ
أزحف في معاطف القتلى..!
وفوق الجثث المكدّسة
منكسر السيف ..
مغبّر الجبين والأعضاءْ.
اسأل يا زرقاءْ عن فمكِ الياقوت
عن، نبوءة العذراء عن ساعدي المقطوع..
وهو ما يزال ممسكاً بالراية المنكّسة
عن صور الأطفال في الخوذات ملقاةً على الصحراء ..
عن جاريَ الذي يَهُمُّ بارتشاف الماء
فيثقب الرصاصُ رأسَه في لحظة الملامسة ..!
عن الفم المحشوِّ بالرمال والدماء ..!!
أسأل يا زرقاء.. ؟؟
عن وقفتي العزلاء بين السيف والجدارْ ..!
عن صرخة المرأة بين السَّبي. والفرارْ.. ؟

***

جزء من قصيدة: (بكائيات)

الإصحاح الأول:

عائدون وأصغر إخوتهم ذو العيون الحزينة
يتقلب في الجب..!

أجمل إخوتهم لا يعود ..!

وعجوز هي القدس

يشتعل الرأس شيبا تشم القميص فتبيض أعينها بالبكاء

ولا تخلع الثوب حتى يجئ لها نبأ عن فتاها البعيد

أرض كنعان – إن لم تكن أنت فيها – مراع من الشوك!

يورثها الله من شاء

من أمم فالذي يحرس الأرض

ليس الصيارف إن الذي يحرس الأرض رب الجنود.!

آه من في غد سوف يرفع هامته

غير من طأطأوا حين أزّ الرصاص!

ومن سوف يخطب – في ساحة الشهداء

سوى الجبناء..

ومن سوف يغوى الأرامل..

إلا الذي سيؤول إليه خراج المدينة!!؟

***

الإصحاح الثاني :

أرشق في الحائط حد المطواة ..!!

والموت يهب من الصحف الملقاة..

أتجزأ في المرآة ..!!

يصفعني وجهي المتخفي خلف قناع النفط ..!

من يجرؤ أن يضع الجرس الأول..

في عنق القط..؟

الإصحاح الثالث :

منظر جانبي لفيروز

وهي تطل على البحر من شرفة الفجر ..!

لبنان فوق الخريطة: منظر جانبي لفيروز..

والبندقية تدخل كل بيوت الجنوب ..

مطر النار يهطل، يثقب قلباً..

فقلبا ويترك فوق الخريطة ثقباً.. فثقباً..

وفيروز في أغنيات الرعاة البسيطة تستعيد المراثي

لمن سقطوا في الحروب تستعيد..الجنوب !..

***

***وعن ديوان: (أوراق الغرفة ٨)**

يضم هذا الديوان القصائد الأخيرة التي كتبها أمل دنقل طوال فترة مرضه الذي صارعه أربع سنوات، فالديوان ينطوي على أوراق امل الأخيرة، (والغرفة رقم ٨) هي آخر الغرف التي قاوم فيها أمل مرضه، قرابة عام ونصف، في الدور السابع من "المعهد القومي للأورام" من فبراير ١٩٨٢إلى يوم رحيله الساعة الرابعة من صباح السبت، الحادي والعشرين من مايو ١٩٨٣ميلادية.

***

- قصيدة: (ضد من.. ؟؟)

في غُرَفِ العمليات..

كان نِقابُ الأطباءِ أبيضَ لونُ المعاطفِ

أبيض تاجُ الحكيماتِ أبيضَ،

أرديةُ الراهباتِ الملاءاتُ..

لونُ الأسرّةِ، أربطةُ الشاشِ

والقُطْنُ قرصُ المنوِّمِ، أنبوبةُ المَصْلِ..!!

كوبُ اللّبن..!
كلُ هذا يُشيعُ بِقَلْبي الوَهَنْ..!
كلُ هذا البياضِ يذكّرني بالكَفَنْ ..
فلماذا إذا متُ . .؟؟
يأتي المعزونَ مُتّشحينَ بشاراتِ لونِ الحِداد؟؟
هل لأنّ السوادْ . .؟
هو لونُ النجاة من الموتِ . .
لونُ التميمةِ ضدّ.. الزمنْ..!!
***

- قصيدة:(يوميات كهل صغير السن)

١- أعرف أن العالم في قلبي.. مات
لكني حين يكف المذياع..
وتنغلق الحجرات أنبش قلبي
أخرج هذا الجسد الشمعي
وأسجيه فوق سرير الآلام
أفتح فمه، أسقيه نبيذ الرغبة
فلعل شعاعا ينبض في الأطراف
الباردة الصلبة لكن..
تتفتت بشرتُه في كفي
لا يتبقى منه.. سوى: جمجمةٍ.. وعظام !!..
***

٢- تنزلقين من شعاعٍ لشعاع وأنت تمشين
تُطالعين- في تشابك الأغصان في الحدائق حالمةً..
بالصيف في غُرفات شهر العسل القصير في الفنادق
ونزهةٍ في النهر.. واتكاءةٍ على شراع

٣- وفي المساء في ضجيج الرقص والتعانق..
تتزلقين من ذراعٍ لذراع ..!
تتنقلين في العيون، في الدخان العصبيِ، في سخونة الإيقاع . .!
وفجأة.. ينسكب الشراب في تحطم الدوارق ..
يبل ثوبك الفَرَاشيَ..
من الأكمام حتى الخاصرة . .!
وحين يفغر المغني فمه مرتبكاً تنفجرين ضحكاً
تشتعلين ضحكاً . .!
وتخلعين الثوبَ في تصاعدات النغم الصارخ..
والمطارق وتخلعين خُفّك المشتبكا..!!

* * *

وفـــاتـــه:

أصيب أمل دنقل بالسرطان وعانى منه لمدة عدة سنوات ليرحل أمل دنقل عن دنيانا في ٢١ مايو عام ١٩٨٣ميلادي .. لتنتهي معاناته عن عمر يناهز (٤٣ عاماً) ودفن بقريتة القلعة مركز قفط التابع لمدينة قنا.. بصعيد مصر معنى كلمة (الميثولوجيا) يطلق هذا المصطلح على علم الاساطير وتشير إلى مجموعة من الفلكلوراو الأساطير الخاصة بالثقافات التي يعتقد أنها صحيحة وخارقة، تستخدم لتفسير الأحداث الطبيعية وشرح الطبيعة والإنسانية

(صلاح عبد الصبور.. رائد المسرح الشعري)

ولدت الحداثة الشعرية العربية متزامنة مع الفترة التي انبثقت عنها حركات التحرر وذلك عقب (الحرب العالمية الثانية) وخرجت لنا التجارب الشعرية والحداثة في الشعر العربي وتمخضت التجارب و تمحورت حول الانسان وعما يتدفق في اعماقه من مشاعر ..وافكار ورؤى في محاولة رصد انتصاراته وانكساراته وعلاقته ايضا بالكون والحياة والتفاعل مع مجرياتها ومن هنا نستطيع ان نقول ان التجربة الشعرية هي تجربة انسانية في بعدها الاعمق ويعتبر الشعر نافذة تطل على الحياة الاجتماعية يعبر من خلالها عن آلامها وتطلعاتها وبذلك اخذت مدارس الحداثة الشعرية على مسؤلية محاولة تمثيل وفهم روح العصر الحديث . ومن هنا ندراك ان الانسان وتجربته الحياتية هو المحور الذي يدور حوله الابداع في شعر(صلاح عبد الصبور) فهو يحاول ان يكشف لنا عن مهية الانسان ..ووعي الانسان لذاته هو بمثابة نقطة الانطلاق الكبري في كشف الحقائق عن النفس البشرية التي عجز في كشف اسرارها الفلاسفة والشعراء

***

وعليه نقول بان الذات او استبطانها يؤدي بالشاعر الى صياغة تجربة تنطلق من الذات لكنها تهدف في نهاية الامر الى التواصل مع الآخر وبذلك تغدو القصيدة جسرا بين الذات والآخر وهذا ما يجعل القصيدة عند (صلاح عبد الصبور) قصيدة ذاتية وموضوعية في الوقت ذاته وهذا ما مميزه وجعله (فيلسوف المسرح الشعري) ..(ورائد من رواد الحداثة في شعر التفعيلة) ماجعل اسمه يخلد لتفخر به مكتبة الادب العربي في عصرنا الحديث

* صلاح عبد الصبور:

الاســـــم:

هو:(محمد صلاح الدين عبد الصبور يوسف الحواتكى).. ويعد (صلاح عبد الصبور (أحد أهم رواد حركة الشعر الحر العربي ومن رموز الحداثة العربية المتأثرة بالفكر الغربي كما يعدّ واحداً من الشعراء العرب القلائل الذين أضافوا مساهمة بارزة في التأليف المسرحي وفي التنظير للشعر الحر.

المــولــد:

وُلد الشاعر ((صلاح عبد الصبور عام ١٩٣١)) بمدينة الزقازيق في إحدى قرى شرقيّ دلتا النيل وتلقى تعليمه في المدارس الحكومية ثم درس اللغة العربية في (كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول)..(جامعة القاهرة حاليا) وفيها تتلمذ على رائد الفكر الشيخ (أمين الخولي) الذي ضم تلميذه النجيب إلى جماعة (الأمناء) التي كوّنها ثم انتقل إلى (الجمعية الأدبية) التي ورثت مهام الجماعة الأولى.

وكان للجماعتين تأثير كبير على حركة الإبداع الأدبي والنقدي في مصر. عبد الصبور عضو بجماعة الامناء الادبية للشيخ (امين الخولي).(٣) التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة العربية في عام١٩٤٧م وفيها تتلمذ علي يد الشيخ أمين الخولي الذي ضمه إلى جماعة (الأمناء) التي كوّنها ثم إلى (الجمعية الأدبية) التي ورثت مهام الجماعة الأولى. كان للجماعتين تأثير كبير على حركة الإبداع الأدبي والنقدي في مصر .

***

عبد الصبور يلتقي مع عبد الحليم على
مقهى الطلبة ويثمر اللقاء بقصيدة (لقاء)

على مقهى الطلبة في الزقازيق تعرف على أصدقاء الشباب ومنهم الشاعر الغنائي (مرسى جميل عزيز) و(المطرب عبد الحليم حافظ) وطلب عبد الحليم حافظ

من صلاح أغنية يتقدم بها للإذاعة وسيلحنها له كمال الطويل فكانت قصيدة لقاء. تخرج صلاح عبد الصبور عام ١٩٥١م وعين بعد تخرجه مدرسا في المعاهد الثانوية ولكنه كان يقوم بعمله عن مضض حيث استغرقته هواياته الأدبية.

***

عبد الصبور يتاثر بشعراء الصعاليك العرب وفلسفة شعراء الغرب

تأثر (صلاح عبد الصبور) بشعر الصعاليك إلى شعر الحكمة العربي مروراً بسيَر وأفكار بعض أعلام الصوفيين العرب مثل (الحلاج).(١)(وبشر الحافي).(٢) كما استفاد الشاعر من منجزات الشعر الرمزي الفرنسي والألماني والشعر الفلسفي الإنكليزي.

***

(صلاح عبد الصبور) يعمل مستشارا ثقافيا لسفارة مصر ببلاد الهند :

انتقل(صلاح عبد الصبور) إلى وزارة الثقافة فعمل بإدارة التأليف والترجمة والنشر ثم رئيسًا لتحرير مجلة السينما والمسرح وبعدها نائبًا لرئيس تحرير (مجلة الكاتب).

***

وعمل مستشارا ثقافياً لسفارة بلاده في(الهند) بل أستفاد خلالها من كنوز الفلسفات الهندية ومن ثقافات الهند المتعددة وكذلك كتابات (كافكا السوداوية) هذا إلي جانب تأثره بكتاب (مسرح العبث) كما ذكر ذلك بنفسه في تذييل مسرحيته (مسافر ليل) .

موهبته وشاعريته:

ظهرت موهبة الشعرعند (صلاح عبد الصبور) في سن مبكرة وكان ذلك في مرحلة دراسته الثانوية واخذ ينشر قصائده في مجلة الثقافة القاهرية والآداب البيروتية وكان صلاح عبد الصبور مهتما بقراءة كتب الفلسفة والتاريخ كما اهتم بقراءة الادب العربي والعالمي وهذا ما بلور شخصيته الادبية .. ونبوغه في كتابة فنيات المسرح الشعري فكان رائدا لهذا الفن المركب الذي يشمل فنون المسرح وابداع الشاعر.

وتميز الشاعر المجدد ((صلاح عبد الصبور)) بموهبة شعرية فريدة لما يتمتع به من ثقافات مختلفة وإطلاع على العديد من الألوان الشعرية المختلفة من شعر الصعاليك إلى شعر الحكمة العربي مروراً بأفكار بعض أعلام (الصوفيين العرب) كابن (الحلاج) وغيرهم وبدأ (عبد الصبور) في نشر أشعاره بالصحف وزادت شهرته بعد نشره قصيدته ((شنق زهران)) خاصة بعد صدور ديوانه الأول الناس في بلادي.

أشهر أعماله الشعرية:

تطور المسرح الشعري على يد(صلاح عبد الصبور) بشكل ملحوظ وكان السبب الرئيسي فى ذلك اتصاله بالمسرح العالمى الذي لم يكن اتصالاً عاديًا إنما عن وعي ونفاذ بصيرة وثقافة غزيرة بالإضافة إلى الموهبة الفريدة.

لقد تميز الابداع المسرحي عند ((صلاح عبد الصبور)) بنبرة سياسية ناقدة لكنها لم تسقط في الإنحيازات والانتماءات الحزبية مطلقا ولكنه كان تعبير عن انفعالات الشارع ..والمواطن ..والمعاناة الحياتية فخرج ذلك في معظم كتاباته الشعرية والمسرحية

* مقتطفات من أعماله الشعرية:

- يقول صلاح عبد الصبور في قصيدته أحلام الفارس القديم:

لو أننا كنّا كغُصنيْ شجـ[illegible]

الشمسُ أرضعتْ عروقَنا معاً

والفجرُ روّانا ندىً معاً

ثم اصطبغنا خضرةً مزدهره

حين استطلنا فاعتنقنا أذرُعا

وفي الربيع نكتسي ثيابَنا الملوّنه

وفي الخريف نخلعُ الثيابَ، نعرى بدَنا

ونستحمّ في الشتا يدفئنا حُنوّ[illegible]

لو أننا كنا بشطّ البحر موجتينْ

صفّيتا من الرمال والمحارْ

تُوّجتا سبيكةً من النهار والزبدْ

أسلمتا العِنانَ للتيّارْ

يدفعُنا من مهدنا للحْدِنا معا

في مشيةٍ راقصةٍ مدندنه

تشربُنا سحابةٌ رقيقه

تذوب تحت ثغر شمسٍ حلوة رفيقه

ثم نعودُ موجتين توأمينْ

أسلمتا العنان للتيّارْ

في دورة إلى الأبدْ

من البحار للسماءْ

من السماء للبحارْ

لو أننا كنا بخيْمتين جارتينْ

من شرفةٍ واحدةٍ مطلعُنا

في غيمةٍ واحدةٍ مضجعُنا

نضيء للعشّاق وحدهم وللمسافرينْ

نحو ديارِ العشق والمحبّه

وللحزانى الساهرين الحافظين موثقَ

الأحبّه..!!

وحين يأفلُ الزمانُ يا حبيبتي

يدركُنا الأفولْ

وينطفي غرامُنا الطويل بانطفائنا

يبعثنا الإلهُ في مسارب الجِنان دُرّتينْ

بين حصىً كثيرْ

وقد يرانا ملَكٌ إذ يعبر السبيلْ

فينحني، حين تشدّ عينَهُ إلى صفائنا

يلقطنا، يمسحنا في ريشه، يعجبُه بريقُنا

يرشقنا في المفرق الطهورْ

لو أننا كنّا جناحيْ نورسٍ رقيقْ

وناعمٍ، لا يبرخُ المضيقْ

مُحلّقٍ على ذؤابات السُّفنْ

يبشّرُ الملاحَ بالوصولْ

ويوقظ الحنينَ للأحباب والوطنْ

منقاره يقتاتُ بالنسيمْ

ويرتوي من عَرَق الغيومْ

وحينما يُجنّ ليلُ البحر يطوينا معاً.. معا

ثم ينام فوق قِلْعِ مركبٍ قديمْ

يؤانس البحّارةَ الذين أُرهقوا بغربة الديارْ

ويؤنسون خوفَهُ وحيرتهْ

بالشدو والأشعارْ

والنفخ في المزمارْ

لو أننا !!

لو أننا.. !!

لو أننا.. وآهٍ من قسوة لو !!

* * *

- ويقول في قصيدته (ذلك المساء)

حدثتموني عن سنابك مجنحه

تفتق الشرار في أهلة المآذن

عن عصبة من السيوف لا تقل

قد أغمدت في الصخر لاتسل

إلا إذا قرأتم دونها أسماءكم

ياعصبة الأماجد

الأشاوس

الأطهار

الأحرار

وقلتم)

يا أيها المُغني غننا

مُسمل العينين في حضرتنا

لحناً يثير زهونا

ويذكر انتصارنا

إذا تحين ساعة موعودة

نغيم في أشراطها

لم تتخلع عن غيمها إلا لنا
الساعة التي تصير فيها خوذةَ الشيطان
كأسا لخمر سيد الفرسان

***

ويقول (عبد الصبور) في قصيدة إليّ غرباء

***

إليّ ... إليّ يا غرباء يا فقراء يا مرضى..!!
كسيري القلب والأعضاء ، قد أنزلت مائدتي
إليّ ... إليّ
لنطْعَمَ كسرة من حكمة الأجيال مغموسه
بطيش زماننا الممراح
نُكسّر، ثم نشكر قلبنا الهادي
ليرسينا على شط اليقين، فقد أضل العقل مسرانا
إليّ إليّ
أنا، طوفت في الأوراق سواحاً، شبا قلمي
حصاني، بعد أن حلمت بي الأوهام والغفله
سنين طوال في بطن اللجاج وظلمة المنطق
وكنت إذا أجن الليل واسنخفى الشجيونا
وحنّ الصدر للمرفأ
وداعبت الخيالات الخليينا
ألوذ بركني العاري بجنب فتيلي المرهق
وأبعث من قبورهم عظاماً نخرة ورؤوس
لتجلس قرب مائدتي، تبث حديثها الصياح والمهموس
وان ملت، وطال الصمت لا تسعى بها أقدام
وان نثرت سهام الفجر تستخفي كما الأوهام

وقالت:

بأن النهر ليس النهر، و الإنسان لا الإنسان

وأن حفيف هذا النجم موسيقى

وأن حقيقة الدنيا ثوت في كهف

وأن حقيقة الدنيا هي الفلسان فوق الكف

وأن الله قد خلق الأنام ، ونام

و أن الله في مفتاح باب البيت

ولا تسأل غريقاً كُبَّ في بحرٍ على وجهه

لينفخ بطنه عشباً وأصدافاً وأمواها

كذلك كنتُ

وذات صباح

رأيت حقيقة الدنيا

سمعت النجم و الأمواه والأزهار موسيقى

رأيت الله في قلبي

لأني حينما استيقظت ذات صباح

رميت الكتب للنيران، ثم فتحت شُباكي

وفي نفس الضحى الفواح

خرجت لأنظر الماشين في الطرقات، والساعين للأرزاق

وفي ظل الحدائق أبصرت عيناي أسراباً من العشاق

وفي لحظة

شعرت بجسمي المحموم ينبض مثل قلب الشمس

شعرت بأنني امتلأت شعاب القلب بالحكمه

شعرت بأنني أصبحت قديساً

وأن رسالتي

هي أن أقدسكم..!!

***

- ومن قصيدته (دموع على ضريح القلب)

جنوب .. ياجنوبي

يامرتع الظباء

ياموئل الحبيب

يازهرة فواحةً

تحبها القلوب

جنوب أرضك كالجنان

ملأى بأنواع الحنان

وثراك مسك أدفر

ورباك من حب الجمان

والناس في صحرائك

كالورد في الروض المصان

***

جنوب أنت في دمي

وفي إفترارة مبسمي

في ضحكتي .. في دمعتي

في مسحة الحزن التي

تغفو على شاطيء فمي

جنوب أمي في رباك

وأبي هنا

على بساطٍ من ثراك

وأنا تسيل مدامعي

ويثور في صدري هواك

أنفاس أمي وأبي

في الجو تعبق كالعبير

وحديثهم كحنين حسونٍ حزين

يذوب مع همس الخرير

وأطيافهم بيضاء تبدو

كالملائك في السماء

كدعاء قد□□□

يرفرف بين هالات الضياء

في كل شيءٍ في الوجود أراهما

ربي سألتك أن تبل ثراهما

أتراهما .. ياحسرتي

يسمعان صدى النواح

والريح تعول في المساء

وفي الصباح

***

جنوب لا تقس علي

فأنا حزين تائه

وهواك أغلى مالدي

هذا فؤادي

فوق سطح الطرس أهديه لكم

فتقبلوا□

فهو آخر مابقى في يدي□□□□

- ويقول في قصيدته (زيارة الموتى)

زرنا موتانا في يوم العيد□□

وقرأنا فاتحة القرآن، وللمنا أهداب الذكرى

وبسطناها في حضن المقبرة الريفية

وجلسنا، كسرنا خبزاً وشجوناً

وتساقينا دمعاً و أنيناً

وتصافحنا، وتواعدنا، وذوي قربانا

أن نلقى موتانا

في يوم العيد القادم..

يا موتانا..

كانت أطيافكم تأتينا عبر حقول القمح الممتدة

ما بين تلال القرية حيث ينام الموتى

و البيت الواطئ في سفح الأجران

كانت نسمات الليل تعبركم ريشاً سحرياً

موعدكم كنا نترقبه في شوق هدهده الاطمئنان

حين الأصوات تموت،

ويجمد ظل المصباح الزيتي على الجدران

سنشم طراوة أنفاسكم حول الموقد وسنسمع طقطقة الأصوات كمشي

ملاك وسنال□

هل جئتم تأنسون بنا.. ؟

هل نعطيكم طرفاً من مرقدنا..؟

هل ندفئكم فينا من برد الليل ..؟

نتدفأ فيكم من خوف الوحده

حتى يدنو ضوء الفجر□

ويعلو الديك سقوف البلدة

فنقول لكم في صوت مختلج بالعرفان

عودوا يا موتانا□

ستدبر في منحنيات الساعات هنيهات
نلقاكم فيها، قد لا تشبع جوعاً أو تروي ظمأ
لكن لقم من تذكار..
حتى نلقاكم في ليل آ□□..
مرت أيام يا موتانا مرت أعوا□□
يا شمس الحاضرة الجرداء الصلدة
يا قاسية القلب النار...
لم أنضجت الأيام ذوائبنا بلهيبك
حتى صرنا أحطاب محترقات حتى جف الدمع الديان..
على خد الورق العطشان..
حتى جف الدمع المستخفي في أغوار الأجفان
عفواً يا موتانا
أصبحنا لا نلقاكم إلا يوم العيد
لما أدركتم انا صرنا أحطاباً في صخر الشارع ملقاة
أصبحتم لا تأتون إلينا رغم الحب الظمآن
قد نذكركم مرات عبر العام.
كما نذاكر حلماً لم يتمهل في العين
لكن ضجيج الحاضرة الصخرية
لا يعفنا حتى أن نقرأ فاتحة القرآن
أو نطبع أوجهكم في أنفسنا و نلم ملامحكم
ونخبئها طي الجفن
يا موتانا□□..
ذكراكم قوت اللقب
في أيام عزت فيها الأقوات
لا تنسونا .. حتى نلقاكم

لا تنسونا .. حتى نلقاكم..!!

***

- من قصيدته (البحث عن وردة الصقيع)

أبحثُ عنك في ملاءة المساء !!..

أراك كالنجوم عاريه

نائمة مبعثره..

مشوقة للوصل والمسامره..

واقتداح الخمر والغناء

وحينما تهتزُ أجفاني

وتفلتين من شباك رؤيتي المنحسره..

تذوبين بين الارض والسماء

ويسقط الاعياء..

منهمرا كالمطره..

على هشيم نفسي الذابلة المنكسره

كأنه الإغماء..

أبحث عنك في مقاهي آخر المساء والمطاعم

أراك تجلسين جلسة النداء الباسم

ضاحكة مستبشره..

وعندما تهتز أجفاني

وتفلتين من خيوط الوهم والدعاء

تذوبين بين النور والزجاج..!!

ويقفز المقعدُ والمائدة الهياء

ويصبح المكان خاوياً ومعتماً

كأنه الصحراء

أبحث عنك في العطور القلقه

كأنها تُطل من نوافذ الثياب

أبحث عنك في الخطى المفارقه

يقودها إلى لاشئ ،لا مكان

وهم الانتظار والحضور والغياب

أبحث عنك في معاطف الشتاء إذ تُلف

وتصبح الاجسام في الظلام

توريةً ملفوفة

أونصباً من الرصاص والرخام

وفي الذراعين اللتين تكشفان عن منابت الزغب

حين يهل الصيف

ترتجلان الحركات الملغزه

وتعبثان في همود الموت والسموم والرخام

حين يدور العام..

أبحث عنك في مفارق الطرق

واقفة، ذاهلة، في لحظة التجلى

منصوبةً كخيمة من الحرير...

يهزها نسيم صيفٍ دافئ

أو ريح صبح غائم مبللٍ مطير

فترتخى حبالها ، حتى تميل في انكشافها

على سواد ظلي الاسير..

ويبتدي لينتهي حوارنا القصير

- ويقول ايضا في قصيدة له بعنوان (لحن)

جارتي مدت من الشرفة حبلاً من نغم

نغم قاس رتيب الضرب منزوف القرار

نغم كالنار..!!

نغم يقلع من قلبي السكينه..

نغم يورق في روحي أدغالاً حزينه

بيننا يا جارتي بحر عميق.

بيننا بحر من العجز رهيب وعميق

و أنا لست بقرصان، ولم اركب سفينه

بيننا يا جارتي سبع صحارى

و أنا لم ابرح القرية مذ كنت صبيا..

ألقيت في رجلي الأصفاد مذ كنت صبيا

أنت في القلعة تغفين على فرش الحرير

و تذودين عن النفس السآمه

بالمرايا الفارس الأشقر في الليل الأخير

(أشرقي يا فتنتي)

(مولاي)

(أشواقي رمت بي

آه لا تقسم على حبي بوجه القمر

ذلك الخداع في كل مساء

يكتسب وجهاً جديداً

جارتي ! لست أميراً..

لا ، ولست المضحك الممراح في قصر الأمير

سأريك العجب المعجب في شمس النهار

أنا لا املك ما يملأ كفيّ طعاما

وبخديك من النعمة تفاح وسكر

فاضحكي يا جارتي للتعساء..

نغّمي صوتك في كل فضاء

و إذا يولد في العتمة مصباح فريد

فاذكرينى

زيته نور عيوني وعيون الأصدقاء

ورفاقي الطيبين..

ربما لا يملك الواحد منهم حشوَ فم

و يمرون على الدنيا خفافاً كالنسم

ووديعين كأفراخ حمامه.

وعلى كاهلهم عبء كبير وفريد

عبء أن يولد في العتمة مصباح جديد..!!

***

-ويقول: صلاح عبد الصبور في قصيدة (رسالة سعيد)

يا سيدنا القادم من بعدى

أنا أصغر من ينتظرونك فى شوق محموم

لامهنة لي ، إذ أني الآن نزيل السجن

متهما بالنظر إلى المستقبل

لكني اكتب لك

باسم الفلاحين

وباسم الملاحين

باسم الحدادين

وباسم الحلاقين

والحمارة والبحاره

والعمال وأصحاب الأعمال

والأعيان وكتاب الديوان..!!

والبوابين وصبيان البقالين

وباسم الشعراء..

وباسم الخفراء..

والاهرام

وباب النصر

والقناطر الخيرية

وعبد الله النديم

وتوفيق الحكيم وألمظ

وشجرة الدر وكتاب الموتى

ونشيد بلادى بلادى

نرجو ان تأتى وبأقصى سرعة

فالصبر تبدد

واليأس تمدد

اما ان تدركنا الان

أو لن تدركنا بعد

حاشية: لاتنسى ان تحمل سيفك..!!

***

* أشهر أعماله المسرحة:

لقد ثار صلاح عبد الصبور على المدارس (التقليدية الكلاسيكية) في الشعر العربي ليبدأ السير في طريق جديد تماماً تحمل فيه القصيدة بصمته الخاصة زرع الألغام في غابة الشعر التقليدى الذي كان قد وقع في أسر(التكرار والصنعة) فعل ذلك للبناء وليس للهدم فأصبح فارساً في مضمار الشعر الحديث.

ومن أشهر أعماله المسرحية .(مسرحية ماساة الحلاج).. فقد تناول فيها شخصية (المنصور بن حسين الحلاج) المتصوف الذي عاش في منتصف (القرن الثالث للهجرة).

وتتكون المسرحية من فصلين الأول يرمز الى قيمة(الكلمة الحرة) والفصل الثاني يرمز الى حقيقة الموت وتعد هذه المسرحية حتى الآن أروع مسرحية شعرية عرفها العالم العربي .

*** أول مؤلفاته الشعرية :**

الناس في بلادي (وكان ذلك في عام١٩٥٧م) وهو يعد أول مجموعات عبد الصبور الشعرية كما كان أيضا أول ديوان للشعر الحديث) أو الشعر الحر أو شعر التفعيلة)واستلفتت أنظارَ القراء والنقاد إنذاك حيث استخدم (عبد الصبور) المفردات اليومية الشائعة والتي تسمى بالمفردات (الحياتية) في شعر التفعيلة.

*** دواوينـــه:**

- ديوان (أقول لكم)
- ديوان (تأملات في زمن جريح)
- ديوان (أحلام الفارس القديم)
- ديوان (شجر الليل)
- ديوان (الإبحار في الذاكرة)

*** مؤلفاته المسرحية :**

- مسرحية (الأميرة تنتظر)
- مسرحية (مأساة الحلاج)
- مسرحية (بعد ان يموت الملك)
- مسرحية (مسافر ليل)

- مسرحية (ليلى والمجنون)

*** أعماله النثرية :**

- على مشارف الخمسين
- و تبقي الكلمة
- حياتي في الشعر
- أصوات العصر
- ماذا يبقى منهم للتاريخ
- رحلة الضمير المصري
- حتى نقهر الموت
- قراءة جديدة لشعرنا القديم
- رحلة على الورق

*** الجوائز التي حصل عليها (صلاح عبد الصبور)**

- جائزة الدولة التشجيعية عن مسرحيته الشعرية (مأساة الحلاج) عام ١٩٦٦م
- جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام١٩٨٢م.
- الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة المنيا في نفس العام .
- الدكتوراه الفخرية من جامعة بغداد في نفس العام .

* تجربة صلاح عبد الصبور مع الصوفية في أعماله:

مزج (صلاح عبد الصبور) بين التجربتين الشعرية.. والصوفية فالشاعر في عملية الخلق الأدبي أشبه بالصوفي ورحلته للوصول الى الحقيقية ورحلة الابداع تشبه رحلة الصوفي الذي يرتقي ضمن جدل حميمي بين المقامات والحقائق ليصل الى غايته في التحرر من اغلال النفس والجسد وذلك للوصول الى الصفاء الداخلي عند الشاعر ليصل بصفائه لمرتبة المتصوف الى الله قلبا وجوارح ويأتي تفسير صلاح عبد الصبور للوجدان الشعري وذلك من خلال الوجد الصوفي كي يضفي على الابداع الشعري بعداً أخلاقيا وروحانيا وعملية الربط بين التجربتين من وجهة نظر صلاح عبد الصبور.. وتعد ثمرة من ثمرات الفلسفة الافلاطونية التي اثرت في أعمال صلاح عبد الصبور ورسمت له تجربة الحداثة التي استخدمها في المسرح وفي أعماله الشعرية الخالدة.

***

* صلاح عبد الصبور وتأثره بالأسطورة في أعماله :

وفي هذه الجزئية بالتحديد نقول أن نهج (صلاح عبد الصبور) في التعاطي مع (الاسطورة) فهو يعلن بصراحة تامة مسايرتها تارة ومخالفتها تارة اخرى شريطة ان تكون عنصرا فنيا يخدم كيان القصيدة او المسرحية الشعرية.. ورفضها حينما تلصق وتفرض على القصيدة الا في سياق فني ومعالجة للمادة التاريخية الأسطورية وغلغلتها ضمن القصيدة وتجنب محاولة التوظيف المباشر او الموازي الذي يدخل القصيدة في مجاهل الغموض وفتفقد رونقها الادبي وهذا كان واضحا جليا في اعماله الابداعية من مسرح وشعر مخالفا لما يقوله الكثير بتأثره بالكاتب(ت. اس. اليوت) الذي أثر في الكثير من المرموقين في عصر الحداثة المفرخ للكثير من المبدعين.

وفاتـــة :

في ١٣ أغسطس من العام ١٩٨١م رحل الشاعر(صلاح عبد الصبور) إثر تعرضه لنوبة قلبية حادة فارق على اثرها الحيا ..وترك (صلاح عبد الصبور) عدد من الدواوين والمسرحيات الشعرية التي أثرت وغيرت في أجيال متعددة من الشعراء في مصر والبلدان العربية خاصة ما يسمى (بجيل السبعينيات.. وجيل الثمانينيات) في مصر وقد حازت أعماله الشعرية والمسرحية قدرا كبيرا من اهتمام الباحثين والدارسين ولم تخل أية دراسة نقدية تتناول الشعر الحر□

من الإشارة إلى أشعاره ودواوينه وقد حمل شعره (سمات الحزن والألم) وتقلد عبد الصبور عددا من المناصب، وعمل بالتدريس وبالصحافة وبوزارة الثقافة وكان آخر منصب تقلده رئاسة الهيئة المصرية العامة للكتاب، وساهم في تأسيس (مجلة فصول للنقد الأدبي) فضلا عن تأثيره في كل التيارات الشعرية العربية الحداثية.

مسحراتي الشعراء (فؤاد حداد)

ان الملامح القومية الأصيلة لشخصية مصر العربية في أعمال الشاعر فؤاد حداد. تؤكدها أشعاره من قصيدة إلي أخري. وقد بلغ في دواوينه الأخيرة ذروة النضوج الشعري والفني والفكري بوجه عام درجة تقربه من أفذاذ الشعراء.

لقد قدم فؤاد حداد الكثير لهذا الوطن ولمثقفيه ولشعرائه وفؤاد حداد هو الشاعر الذي يمكن أن نطلق عليه عبارة الشاعر المعلم لأنه يدفع بالطاقة الفنية الهائلة التي تتحرك لتبني في صمت لتكسب الحياة نكهة شاعرية.. تأخذنا إلي مكتبات الزمن الجميل لنقراء من دواوين الخالدين.. ولا يعلم أحد كيف كنا سنعيش أحلامنا الثقافية والإبداعية لو لم تكن موجودة اعمال هؤلاء المبدعين .

* فـــؤاد حـــداد :

الاســـــــم:

فؤاد سليم امين حداد.

مولـــــــده:

ولد فؤاد حداد بحي الظاهر بقاهرة المعز في العام ١٩٢٨ م

ويعد فؤاد في الترتيب الابن الأول لسليم بك حداد (اللبناني المسيحي) البروتستانتي وقد أتم الأب تعليمه بالجامعة الأمريكية بالعاصمة اللبنانية بيروت حيث تخصص في الرياضة المالية ثم جاء الى القاهرة قبيل الحرب العالمية الأولى ليعيش فيها ويعمل مدرسا بكلية التجارة بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا)..تزوج الأب من سيدة مصرية (مسيحية كاثوليكية) ويذكر أن خالها هو المهندس (فريد بولاد) الذى درس الهندسة في فرنسا وعاد الى مصر ليصمم (كوبري كفر الزيات) الشهير.

وقد انجب سليم حداد منها عددا من الأولاد كان فؤاد أولهم ، وبعد ذلك حصل الاب على الباكوية. ويذكر أنه عندما نشأت نقابة التجاريين في القاهرة منحته العضوية رقم (١) وما زالت كتبه وجداوله تدرس باسمه حتى الآن وقد توفى الأب عام الاب عام ١٩٥٢ بالقاهرة.

أما عن والدته .. فهي من مواليد القاهرة فقد نزح أجدادها السوريون (الكاثوليكيون) إلي مصر واستقروا فيها وولد أبواها في القاهرة. أبوها من عائلة أسود التي جاءت من دمشق الشام وأمها من عائلة حلبية.

*** شيء من حياته:**

تمرد (فؤاد حداد) حتى على رغبة والدته التي كانت لا تتحدث معه إلا بالفرنسية في المنزل .. و مدرسته الفرنسية كانت تفرض عليه التحدث باللغة الفرنسية ويمنع عليه وعلى باقي الطلاب التحدث بالعربية .. واستطاع حداد أن ينقل الشعر الشعبي المصري من مساحة الزجل الذي يستهدف النقد الاجتماعي إلى مرحلة الشعر الصافي المرتبط بالقضايا الوطنية والمؤسس على جماليات جديدة واستفاد فيها من ميراث الشعر العربي التقليدي ومن الأدب الشعبي المصري والشامي والعربي بأشكاله المختلفة.

نشر فؤاد حداد ديوانه الأول (أحرار وراء القضبان) الذي كان اسمه (افرجوا عن المسجونين السياسين) بعد خروجه من المعتقل عام واعتقل مرة أخرى لمدة خمس سنوات وخرج ليكتب في شكل جديد لم يكن موجودًا في الشعر العربي، وهو شعر العامية كتب "**المسحراتي**" لسيد مكاوي وكتب له البرنامج الإذاعي "من نور الخيال وصنع الأجيال" ثلاثون حلقة واغنية (الأرض بتتكلم عربي) أصدر (ثلاثة وثلاثون ديوانا) منها (سبعة عشر ديوانا) أثناء حياته والباقي بعد وفاته.. فقد قام بنشر باقي دواوينه ابنه الشاعر أمين حداد وهو يعتبر أحد الشعراء الذين خرجوا من عباءة والده مسحراتي الشعراء وله ابنان آخران هما (سليم حداد) وهو الأخ الأكبر (وحسن حداد) وهو الأخ الأصغر.

*** إعتقاله:**

اعتقل فؤاد حداد للمرة الأولى في عام ١٩٥٣م إلى ١٩٥٦م وقد أفرج عنه لمدة شهرين فقط عام ١٩٥٤م وفي هذه الفترة كتب الشاعر ملحمة الشهيد الإيرانى التى اعتبرها انطلاقة شعرية جديدة له ويتجلى فيها تضامنه مع حركات التحرر والمقاومة فى العالم أجمع وتضم هذه الملحمة عدة قصائد عن كفاح وبطولات الشعب الإيرانى وقت تأميم البترول.

*** إعتقاله للمرة الثانية:**

اعتقل فؤاد حداد للمـــرة الثانـــية من أبريل ١٩٥٩م إلى أبريل ١٩٦٤م وفى هذه السنوات الخمس كتب كثيرًا فلم تكن أيامًا عجافًا داخل الأسوار والتعذيب بل فجرت بداخله طاقات فذة وصنعت تراثًا فريدًا؛ ففي أيام التعذيب في معتقل العَزَب قرر أن يكتب كل يوم قصيدة ليرفع من الروح المعنوية لزملائه.

فؤاد حداد يعتنق الإسلام:

في المعتقل تحول "فؤاد حداد" إلى الإسلام فقد اختار فؤاد حداد الاسلام دينا له وهو في العشرين من عمره وهذا ما اغضب عائلته على الرغم من ان فؤاد حداد كان يعشق والدته ووالده وكان ابن بر يحب والديه ويحمل لهم الجميل.

مختارات من أشعار فؤاد حداد:

كتب فؤاد حداد قصيدة "المسحراتي" للفنان سيد مكاوي عام١٩٦٤م والتي تعد كطقس دائم في شهر رمضان الكريم يقول مسحراتي الشعراء:

إصحى يا نايم وحد الدايم
وقول نويت بكره ان حييت
الشهر صايم والفجر قايم
اصحى يا نايم وحد الرزاق

رمضان كريم

مسحراتي ومعدي

منقراتي ومين قدي

الطبلة عاليه في احضاني

زي البيان زي النشره

في ستة اكتوبر عشره

من الهلال الرمضاني

كان قلبي صخر الحنيه

في المعركه للحريه

وللسلام اللي هداني

والنسمة هلت بحريه

يا مصر يا شهد الشهدا

الجنة شمسك وترابك

اصوم واصلى في محرابك

واسمع الشط الثاني

الله اكبر وأداني

آاه .. من هواي في اوطاني

آاه .. من شقاي ومن طربني

الارض تتكلم عربي

والدنيا تسمع بوداني

نور الوجود من وجداني

زقاقي يفتح لي ميداني

حبيبي خدني وعداني

المشي طاب لي والدق على طبلي

ناس كانوا قبلي قالوا في الامثال

الرجل تدب مطرح ماتحب
وانا صنعتي مسحراتي في البلد جوال
حبيت ودبيت كما العاشق ليالي طوال
وكل شبر وحته من بلدي حته من كبدي حته من موال
دخلت دار بعد دار والكل بيحيي
انا اللي حي وشهيد في الجنه وفي حيي
الله اكبر كأن الشمس من ضيي
على أرض سينا في نار المعركه والصهد
وانا والتراب المنور انتصرنا لبعض
وكنت صايم ملكت من السماء للارض
وكنت عطشان ما حدش ارتوى زيي
إصحى يانايم وحد الدايم
السعي للصوم خير من النوم
دي ليالي سمحه نجومها سبحه
إصحى يانايم يانايم اصحى
وحد الرزاق..

***

- من قصيدته (أنا المغني) يقول :

ليه كل ما نقول آه..؟؟
الناس تقول الله
أنا المُغني
ضلوعي زي الشجر
بتفرش الظله

وبتبني سقف البيت

لما الحيطان تعلي

وروح يا ليل بالسلامه

وهات يا ليل ابتسامه

من الجميل الغايب

هو الحبيب في الحبايب

هو اللي يعرف ياليل

ليه كل ما نقول آه

الناس تقول الله

أعمل ضلوعي شجر

علشان ترد اللي غاب

وترد قلبه شباب

أعملها سقف وباب

واعملها مركب

وأفضل ألف البحار

واغني فجر ومغرب

واغني ليل ونهار

لحد ما تستعجب

ليه كل ما نقول آه

الناس تقول الله

كان فيه شجر موعود

يصبح كمنجة وعود

تسمع في حسه الودود

ضي النسيم ع الغصن بيتمرجح

ويلاغي ظل الشجر

وسقف بيت في القمر
وجيران تطل وتفرح
وباب يفتح
لكل غايب يعود
ليه كل ما نقول آه
الناس تقول الله..!!

***

- ويقول: في قصيدته.. (رساله من الحمام)

رساله من الحمام
فى المسجد الحرام
من أرض الراشدين
تهدى صلاح الدين
والقاهرة
سلام..!!
جت فى ساعة ندى
الفجر اللى ابتدا
يشق من المشارق
على طول المدى
وطيبت حنين
اخواتها الفرحانين
فى مادنة الأمام
رساله من الحمام..
أنا من أرض الراشدين

وقلبى حن بى

الى السيف اللى دمر

الظلم الأجنبى

يايوسف الأمين

يادرع المسلمين

متبارك المقام

رساله من الحمام..!!

***

-من قصيدته (الحضرة الذكية) يقول:

المصطفى سيّد ولد عدنان

كان ياما كان

الليل وكان الليل أخضر منديّ

بيسمع القرآن يرفّ قلبي

لما انادي عليكيا طير كأنه البلبل الكروان..!!

***

- من قصيدته ..(هات كل الدنيا تنور) يقول:

أنا صاحي الفجر وخايف

لا النسمه تكون قلقتها

أنا باسأل عنها لقيتها

الحلوه بتسأل عني

أنا زي الحنه في إيدها

هات كل الدنيا تغني

هات كل الدنيا تنوّر

أنا زي الحنه في إيدها

زي الحنه في الكف

باتشمّس تحت السقف

أنا ليله جديده وألف

زي الزغروطه في ريقها

هات كل الدنيا تنوّر

هات كل الدنيا تغني

زي الزغروطه في ريقها

تعرف للجنه طريقها

أنا قلبي الطاير طاير

بيسبح للي خالقها

أنا زي الحلم معاها

هات كل الدنيا تنوّر

هات كل الدنيا تغني

أنا زي الحلم معاها

الدنيا اللي مطاوعاها

م الفرحه مش سايعاها

والرايحة تقول للجايه

والحنه تقول للفل

هات كل الدنيا تنوّر

هات كل الدنيا تغني

الحنه تقول للفل

والشمس تقول للقمره

والريحه تقول للزينه

إحنا بقينا لبعضينا
هات كل الكل الكل
هات كل الدنيا تغني
هات كل الدنيا تنوّر..!!

***

-ويقول فؤاد حداد:

احنا الجنود احنا العرق
احنا الكتابه على الورق
المطرقه ناحت على السندان
اتقسمت كتل الحديد قضبان
الرأسمالى بيملك الآله
الرأسمالى بيسجن الإنسان
الرأسمالى بيملك الآله
أغلال على استغلال على بطاله
يجعل حياتك يا فقير عاله
ويموتك ويبيع لك الأكفان ..!!

***

- ويقول :

ولا كل الخشب بيخف
ويعوم في الهوا ويطير
إسألهم يا شيخ دردير
أنا نمت الليلة دي كتير
يقولوا لك حلمت شويه

أيام العمل في الشمس

بتشر العرق وعينيّه

وشافوني في دار الأحياء

من رجب الإمام لبولاق

مستعصي على الإلغاء

نعناع العرب وفليه

أيام العمل في الشمس

بتشر العرق وعينيّه

مش خايب رجا ومتعوس

وديوك يناقروا تيوس

امبارح في روز اليوس

اجتمعوا في باط الحية

أيام العمل في الشمس

بتشر العرق وعينيّه

وتيوس يناطحوا ديوك

وانا قلبي موتور مفكوك

وبيحمل كما المكوك

الناس اللي رايحة وجاية

أيام العمل في الشمس

بتشر العرق وعينيّه

كان نور الخيال وياه

بيغني على ليلاه

باستغرب لأول آه

- ومن قصيدته (المراجيحي) يقول :

الحركة البركه

يا مراجيحي

يا علو حلو

يا مراجيحي

صابحين فاطرين

لابسين أخضر

كلنا على بعضنا يندور

لسة امبارح كنت منور

بقلوسي فانوسي الوحاويحي

يا صلاة النبي نازلة وطالعة

عقل وخف ولعب وصنعة

أنا طتاير وفي ريحي القلعة

أنا طاير والقلعة في ريحي

زغروطة في قلبك من جوه

تنده على أش تلاقيه هو

والدنيا تقول لك يا بو قوة

ما أحلي مجاياتي ومراويحي

والهوا على البحري وعلي ودنه

والشاطر أكبر من سنه

والجد يقول أوعي تونوا

واش قد الجد التفاريحي..!!

- ويقول والد شعراء العامية :

مش حملتينى تسعة اشهر ضنى
وحملتينى تسعة اشهر آمال
احملينى وانا فى العشرين سنه
وخطوط الدم من صدرى طوال
احملينى فى التاريخ مطّمنه
تعرفى الرد على كل سؤال
أسلحتنا من القلوب المؤمنه
العيال فى الحرب يا أم العيال
امسحى دموعك وبلينى غنا
واضحكى لى الأم تضحك فى النضال..!!

***

- ويقول في عمر الفاروق:

نتمنى نبقى عُمر
تحت الهلال القمر
تلقى الشعوب ظلها طارح جناحين
لهانوَار في قلب الليمون
الشمس قشرتها خضرا
وكل حاسّه تراها كما يراها
الحالمكما يراها الضمير
كما يراها الحقّنتمنى
نبقى عمرتحت الهلال القمر

كل البلابل علىشجرتنا لما تغنّيترمي
بصوتها لفوقيا اهل الأمانه ويأهل الندى والشوق
يا اهل الأمانه والندى والشوق
يقولُ عبدٌ من عباد اللهلما النبيّ كبّر
لمح البصر شفت التاريخ يسري
والحبّ نوّر في التراب المصري
وانا المتيّم جئتكم منشدًا شعري حَميله عند جنة عدن
شعري السلام تحت الضلوع والصبا والريح بتاخد قلوع
المنشآت في البحر كالأعلام..
صلّى الإلهُ على الرسولِ وسلّم "صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما"

* * *

* بعض من أعماله التي تحولت إلى أغنيات:

ألهمت كلمات الشاعر الراحل فؤاد حداد الملحنين والمطربين منذ مطلع ستينيات القرن الماضي وحتى يومنا هذا لكن يظل المطرب والملحن سيد مكاوي وعلي الحجار ومحمد منير أبرز من غنّوا اعماله الخالدة .

أغنية: الأرض بتتكلم عربي- غناها المطرب (سيد مكاوي)

أغنية: الجيرة والعشرة- غناها المطرب (محمد منير)

أغنية: تعالى نلضم أساميا- غناها المطرب (محمد منير)

أغنية: صلينا الفجر فين- غناها المطرب (علي الحجار)

أغنية: مافيش في الأغاني-غنتها المطربة (حنان ماضي)

أغنية: الليله يا سمرة غناها المطرب (محمد منير)

* من أشهر دواوين فؤاد حداد:

- أحرار وراء القضبان
- حنبنى السد
- بقوة العمال وقوة الفلاحين
- قال التاريخ أنا شعري أسود" ديوان فيتنام"
- المسحراتي
- ادهم الشرقاوي
- كلمة مصر
- من نور الخيال وصنع الأجيال فى تاريخ القاهرة
- استشهاد جمال عبد الناصر
- الحضرة الذكية
- حسن المغنواتي
- الحمل الفلسطيني
- أم تبات
- مرآة الصوت

***

* مترجمات فؤاد حداد:

ترجم (فؤاد حداد) قصة(الامير الصغير) لأنطوان دي سان إكزوبري عن الفرنسية لمسرحية غنائية بالعامية المصرية.

*** من أقواله المشهورة :**

أنا مصري من أصل شامي لا يغتفر احتشامي

حينطلق من حيشاني صوت الجموع المفرد

أنا مصري من أصل شامي لكني لم استورد

ولا أباع إلا بالعملة المحلية

* * *

*** من أقوال صلاح جاهين في شاعر العامية الكبير فؤاد حداد:**

يصفه (صلاح جاهين) بأنه كالجبل الذى ظهرت قمته فقط والباطن كان أكبر صلاح جاهين هذا الشاعر الكبير الذي يعرف بمكانته ودوره في شعر العامية المصرية فقد اثرى (جاهين) مكتبة الشعر العامي برباعيات جاهين ودواوينه التي اسعدتنا جميعا فله التحية **عندما قال :**

قلبى كان شخشيخه أصبح جرس

جلجلت به صحيوا الخدم والحرس

* * *

أنا المهرج.. قمتوا ليه خفتوا ليه

لا فى إيدى سيف ولا تحت منى فرس

* * *

*** الابنودي يكتب قصيدة (أنت الامام الكبير) لفؤاد حداد:**

إنت الإمام الكبير..

وأصلنا الجامع

وانت اللى نقبل نصلى وراك فى الجامع..

وحق من جالُه يحبى النبع فى صحراه

والنهر غيَر عشانه لهجته.. ومجراه

وحق أحلا اللى قال: «وطنى» وشدّ الآه..
وحق أحلا اللى حبّوه رُفقته وصُحباه
من شدّ شرايينُه ..
ركّبت ع العصّب أوتار..

من دمع عينه انْسقت فى كفّنا الورده
وحق من أثبت انّ السجن فيه أحرار
دول أربعين ضلع والاّ أربعين جلده..
اللى طلع ع الجبل يقطف زهور النار
ويرشها ع العباد فى الحارة.. والشارع
وانت الإمام الكبير وأصلنا الجامع..!!

الغنوة دى عن شعر فؤاد ..
وفؤاد ده إسمه فؤاد حداد ..
لازم مناورة ومداوره
ما دام بتكتب عن ثوره
مش كل من يعرف يقرا ..!!

وانت اللى نقبل نصلى وراك فى الجامع..
بسيط يا مولاى والضحكة فى صدْرك.. قوت
فقير يا مولاى.. ورازقنا حرير وياقوت..!!

***

*** وفاة والد شعراء العامية (فؤاد حداد):**

مات مسحراتي الشعراء.. فؤاد سليم حداد .. يوم ١ مايو ١٩٨٥م
ودفن بقاهرة المعز بجمهورية مصر العربية رحمه الله واسكنه عوالي جنته.

***

الخاتمـــة :

تظل تجربة فؤاد حداد واحدة من أكثر التجارب الشعرية طرحا للقضايا الإشكالية لتمتد تجاربه الشعرية بين التراث والمأثور الإنساني العربي الشعبي والتي كانت سببا مباشرا في خوف النقاد والدارسين من الاقتراب من عالمه لفك تداخلاتها فصل أنسجتها الملتحمة فعالم حداد يستعصي بالتأكيد علي غير عارف بحدود عوالمه واستلهاماته وذلك بتواجده داخل الأوساط الشعبيه التي استقى منها أعماله الخالدة تلك التي رسمت من ملامح الشعب فخرجت لنا أروع قصائده .

الشاعر .. والناقد

د. سيد غيث ..